

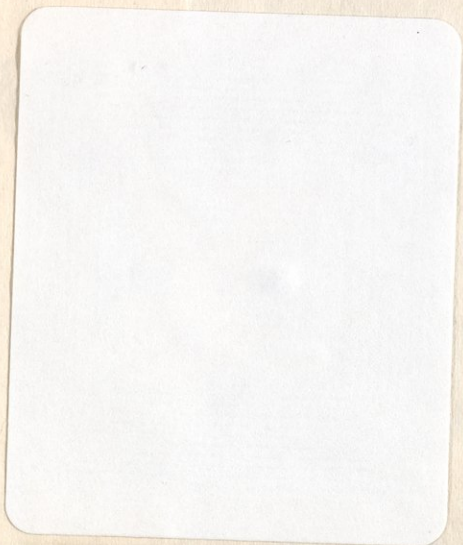
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



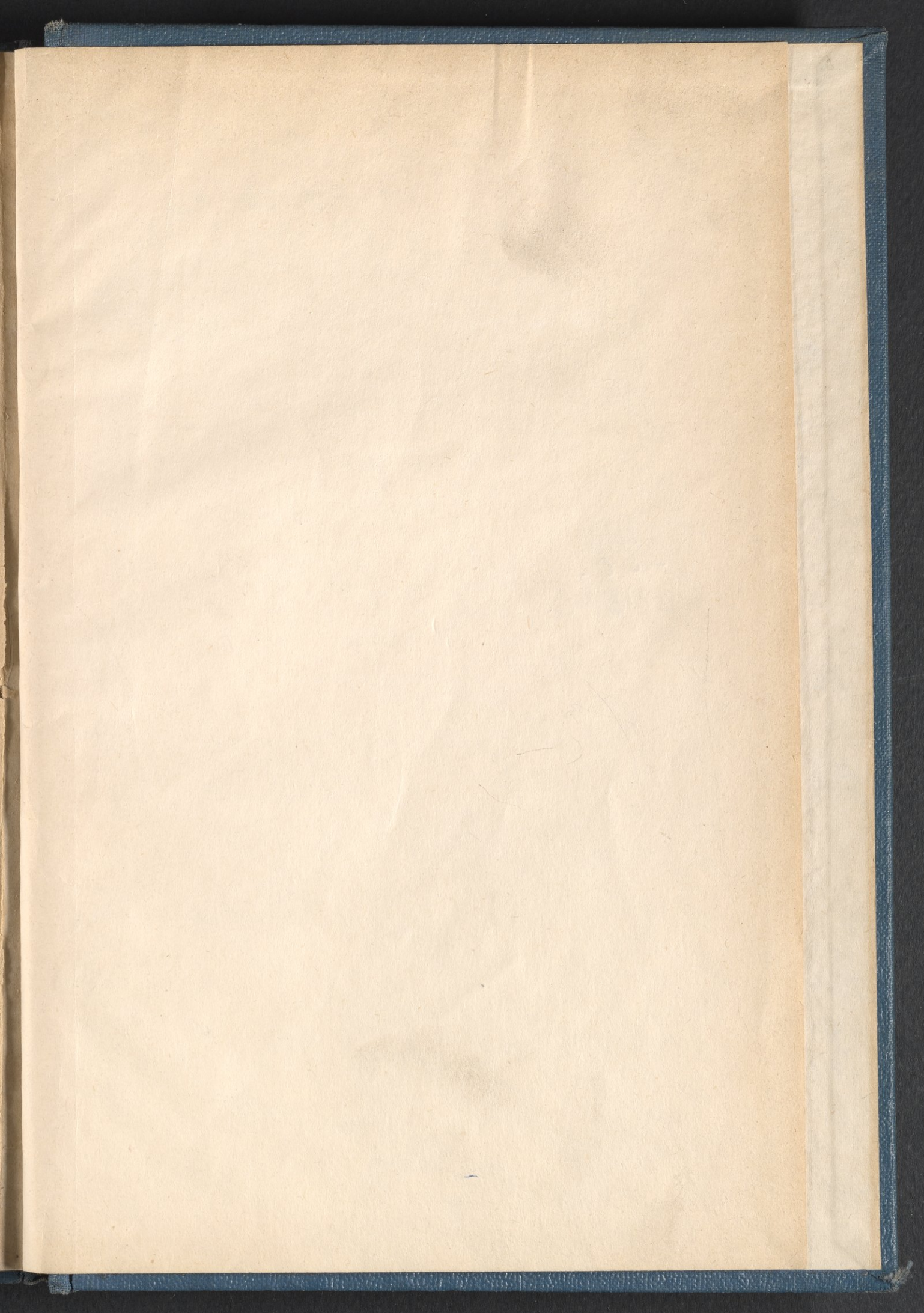
3 8534 01002 7682

03-B309

pt Jan 23



-NAF
-CC.
-MEAL.



PJ
7828
B41
M8X
1930

الغفل

وقصص أخرى

صوّر من الحياة المصرية

بفتاح
عبد الله حبيب

كل نسخة غير ممهورة بامضاء الناشر تعتبر مسروقة

ويحاكم حاملها وبائعيها قانوناً

عنيت بنشره مكتبة الرفد

إيضاحاً لمحمد محمود

بمصر

يباع في المكتبات الشهيرة بمصر والإقطار العربية

OCLC

60506546

B12600477

14021286

كلمة الناشر

اتقدم للقراء بهذا السفر القيم للكاتب الكبير، الاستاذ
عبد الله افندى حبيب، برأى بوعدى لهم فى اصدار نفائس الأدب
العصرى، بين منشور ومنظوم. وقد أصدرت فعلا من قبل عدداً
من الكتب الممتازة، أذكر منها كتاب (مختار القصص) وكتاب
(مصارع الخلفاء) للاستاذ الكاتب المتفنن كامل افندى كيلاني
وكتاب (الأدب الحى) للأديب المجدد الاستاذ ابراهيم افندى
المصرى ومذهب النشوء والارتقاء (لإسماعيل بك مظهر) ويوليوس
قيصر للكاتب الكبير محمد بك السباعى (وابو حامد الغزالى) لمحمد
افندى رضا الخ...

وسأتبع هذه المؤلفات بغيرها لمشاهير كتابنا وشعرائنا
تدريجياً، راجياً أن يستحق بذلك رضاء القراء ومؤازرتهم، وأن
أودى ما على من واجب لخدمة الأدب العصرى.

محمد محمود

(صاحب مكتبة الوفد)

الفهرست

مقدمة الناشر	(١١٣) اللآلىء الخداعه
الاهداء	(١٢٩) مملكة الدراويش
تمهيد	(١٤١) لله يا اسيادى
مقدمة تحليلية بقلم الكاتب الكبير	(١٤٩) اسماعيل الحلبي
عباس محمود المقاد	(١٥٣) البرنس
(١) المغفل	(١٦٠) الحاجه زهره
(١٣) ثمن البنزين	(١٦٨) ستيته الشحاذه
(٣٢) الشيخ عبد الله	(١٧٥) الكونت دى ملوى
(٤٩) الشحاذ الاعمى	(١٨١) فتوايه سوق الخضار
(٥٥) صديقي المحبوب	(١٨٩) موت محقق
(٧٢) السارق	(١٩٧) الغريق
(٨٣) مجنون ليلي السودانى	(٢٠٩) أبو صلاح ملك الربابه
(٩٠) الجندي	(٢١٦) السجين
(١٠٥) وساوس المرأة	(٢٢٢) المنامور الساحر
	(٢٢٦) الشيخ احمد



الاهراء

الى شقيقى الاستاذ السعيد حبيب المحامى

شقيقى العزيز

كنتُ نضو اعتقال واضطهاد يوم بدأت أكتب أولى
هذه القصص منذ عشرة أعوام، ولم أكن يومئذ أحفل
بنشرها

ثم نلت «إجازتي العلمية» بعد ذلك بأعوام قلائل،
واضطلعت بعملى الحكومى فلم تصرفنى شواغل الحياة عن
مواصلة الكتابة

و كنت أوجج فى نفسك نار الوطنية بما أبعث به
إليك من كتب ورسائل - فى فجر النهضة - أيام كنت طالبا
بمدرسة المنصورة الثانوية الاميرية و كنت تستزيدني
منها وتستوضحني أخبار العاصمة ابان الثورة لتقود صفوف
طلاب مدرستك عن علم وبينة، ثم نلت شهادة البكالوريا
وحضرت إلى القاهرة فغامرت معنا فى سبيل نصره البلاد
ماشاء الشباب أن نغامر، وتعشقت دراسة القانون فرحت

تنهل من مورده دون أن يصرفك واجبك العلى عن
واجبك الوطنى

ثم اصطفاك الرفاق لتكون من صفوفهم فى الطليعة ،
فكنت الجرىء القوى الايمان ، لم يغرك وعد ، ولم يرهبك
وعيد

يومئذ اضطغنت عليك الرجعية ، واضطرم أوار
غيتها فأقصت يد الظلم عن معهدك قرابة عامين ، فما وهن
لك عزم ، وما تضعضع منك إيمان وبقيت ترسل على أعداء
الحرية من قلبك لفحات متأججة مستعرة فلم تخش فى
الحق بطش الظالمين حتى دالت دولة المتجبرين

وعدت إلى معهدك ، فكنت فى المقدمة بين الناجحين
كما كنت فى المقدمة بين المجاهدين

ونلت فى هذا العام « إجازة الحقوق » فضربت للشباب
مثل الفوز للعاملين

.. وهذه صور من الحياة المصرية التى تحبها وتقدها
صغتها قصصا صغيرة وأخرجتها للناس كتابا ،
فوفاء لماضيك ، وإعجابا بحاضرک ، وتذكارا لنجاحك
أهدى اليك هذا الكتاب ؟

عبد الله حبيب

☆ تمهيد ☆

ليس لدى ما أقول في صدد هذه القصص سوى أنها صور من الحياة المصرية ، بعضها قوى عنيف ، وبعضها وصفي هادئ ، و انتى نشرت معظمها بمجلة « الفكاهة » الغراء فلقى من إعجاب القراء ومن تقديرهم أكثر مما كنت أتوقع

ولست أقدم هذا الكتاب بشيء من التردد أو التيب ، لأننى أعلم أن « فن القصة القصيرة » فى آدابنا العربية لا يزال ناشئاً وحسبى ان اكون أحد أولئك نفر القليل من كتاب مصر الذين تضافروا على بناء هذا الفن وهو فى اشد الحاجة الى النصراء والعاملين ولقد ضاعف سرورى حىال اخراج هذا الكتاب أن تفضل الصديق الوفى الكريم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد بوضع مقدمته ، فله الشكر الجزيل على حسن ظنه بمجهودى .

وأسأل الله أن يهبنا السداد والتوفيق

« عبد الله حبيب »

مصر الجديدة فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٠

« بقلم الكاتب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد »

فاذا أيقظ وتنبه فيه ذلك الشعور الغريب المسمى الحب دخل من الحياة في طفولة جديدة تراه الدنيا مرة أخرى وكأنه يراها أول مرة، فيشغف بالقصة في هذه الطفولة الجديدة أشد من شغفه بها في طفولته الأولى ويحب ان يرى لعواطفه وأحاسيسه أمثلة أخرى في سير الابطال والعشاق كأنه المشدوه لفرط ما يفاجئه من الشعور

فلا يزال محتاجا الى توكيد بعد توكيد ومثال بعد مثال
ثم يدخل في عداد الرجال فيعرف الحياة وتلجئه المعرفة الى
السلوى والتأسي والاعتبار بالحوادث فيأنس الى القصة ويستريح
الى أخبار الناس، ويحب من حين الى حين أن يستعيد غرارات
الصبا واشواقه فيقرأ القصه ويؤخذ بما فيها من شو اهد الصدق
والعلم وحسن التمثيل. أما في الشيخوخة فهو يفرغ من العمل
والتجربة والمشاهدة فلا يبقى له الا أن يقص مارآه أو يستمع
الى قصص الآخرين

ولانحسب الامة الا كالفرد في هذه العناية بالأقاصيص، فهي
من عهد الهمجية الى عهد الحضارة لاتخلو من القصة الصغيرة في
عصر من العصور، ويخطيء من يطن القصة الصغيرة شيئا حديثا
من مبدعات هذه الأيام، فهي من أقدم ما عرفته الامم في آدبها
ولا يرد على الخاطر انها شيء حديث الا لأنها ذاعت كثيرا بعد
نشأة الصحافة اليومية والاسبوعية وداخلها الاقتنان لتعدد
الكتاب واختلاف الامم، فقل ان القصة الصغيرة ظاهرة
طريفة وليست الظاهرة الطريفة الا الأداة التي استخدمت لنشرها
والاقتنان فيها

والقصة الصغيرة في اعتقادي لاتكون خليقة بأن تحسب من
اعمال الفن والأدب الا اذا كانت شارحة أو واصفة أو محللة أو
مسجلة، وماعدا ذلك فهو حكاية لايجنى منها غير از جاء الفراغ

فالقصة الشارحة هي التي تتناول فكرة معضلة لا تدرك الا بالتعمق
واجهاد الذهن واطالة الروية فيتعهد القاص بالتبسيط والتقريب
حتى تلوح للقارىء وكأنها من المألوفات في علاقات الناس
اليومية ، فيخف يحملها على الذهن وتعينه بعد ذلك على استكناه
تظايرها بصدق الملاحظة وحسن التخريج

والقصة الواصفة هي التي تصور المناظر والعواطف
تصويرا يشترك فيه الحس والخيال فتعرض على القارىء الوانامن
جمال الطبيعة ودقائق الأطوار

والقصة المحملة هي التي ترد طبائع النفوس وأخلاقها الى
بواعثها وأسبابها على منوال تختفي فيه الدراسة ويظهر فيه
الأثر الفنى والالهام

والقصة المسجلة هي أشبه شيء بالصورة التي يلتقطها السائح
في رحلاته من نماذج الوجوه والبلدان والمعالم والعادات ، ففيها
تسجيل لما يراه وحفظ له من الضياع

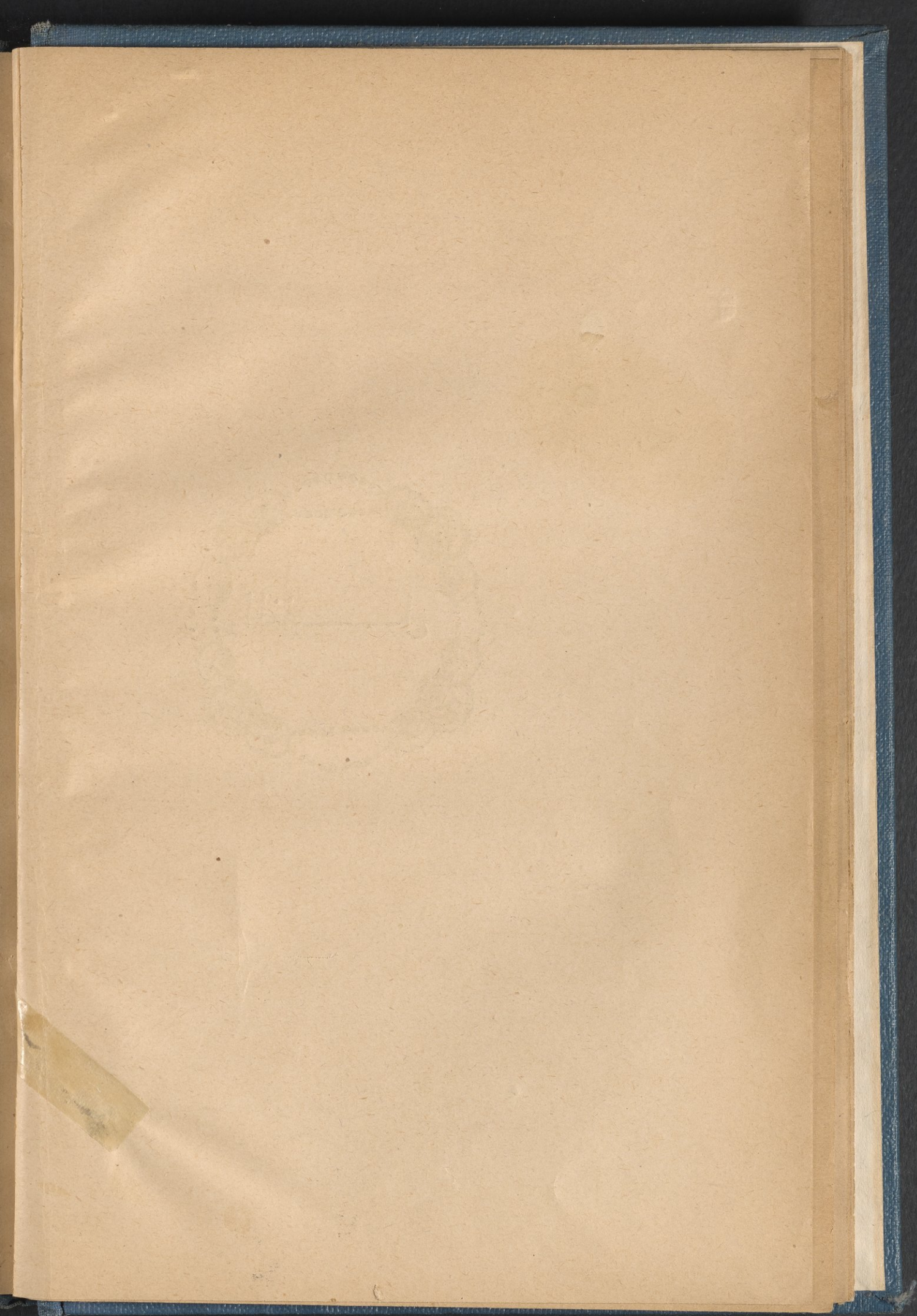
وقد قرأت في هذه المجموعة للكاتب الاديب عبداللہ افندى
حبیب قصصا مسجلة واخرى واصفة من طراز جميل يضاهى
أشباهه في قصص أشهر الكتاب الغربيين ، فقصة « الشيخ عبد
الله !!! » تحفظ لنا نموذجا من الحياة الازهرية ونظرة أهل الريف
الى العلم والتكشف معا في زمن يوشك ان يتغير ، وقصص
« الشحاذ الاعمى » و « السارق !! » و « مجنون ليلى السودانى » و

« مملكة الدراويش » فيها تسجيل ووصف لحالات اجتماعية أو
خلقية يزخر بها وطاب الملاحظات والمأثورات في هذه البلاد،
والأديب صاحب هذه المجموعة يحسن حبك القصص وتديير
المفاجأة فيها احسانا يشهد له بالبراعة ويمتص القارىء بلذة الاستطلاع،
ومن أفعلم مفاجآته في النفس ختام قصته « اللالىء الخداعة » الذى
يأخذ القارىء على غرة كما تأخذه حوادث الغيب المخبوء
وقد قرأت معظم المجموعة وعندى شواغل كثيرة تصرفنى
عنها فوجدت فيها من الترغيب والتشويق ما يصرف الشواغل
ويغرى بالمزيد

ولست اريد هنا أن أشير الى بعض الهفوات اللغوية التى
لا اخالها تخفى على الأديب صاحب المجموعة، ولكنى أرى واجبا
على أن اهنئه بهذه الباكورة المبشرة بما يليها وأرجو أن اهنئه بمجموعة
أخرى يباغ فيها مدى الافتنان فى ضروب القصص الصغيرة التى
أرى فيه استعدادا لها أيما استعداد

« عباس محمود العقاد »





المغفل

كلما وصل بي « المترو » الى مستشفى مصر الجديدة ومربي على
الحديقة القائمة الآن مكان ملهى « لونا بارك » القديم تذكرت
صديقي المغفل .. وتذكرت قصته الطريفة التي لا أفتأ أتذكرها
حيث كان هذا الملهى مسرحا لفصولها الاولى !!

صديقي حسنى افندى شاب فى السابعة والعشرين من عمره
جميل الطلعة ، حسن الهندام ، يمرح فى ثراء والدته الارملة ، وهو
وحيدها فى هذه الدنيا ، لا أمل لها فى الوجود الا أن تراه رجلا
كامل الرجولة ، يحمل اسم أبيه ، ويجد فى حياته جسد الرجال :
وهو طالب بكلية الحقوق يجتاز امتحانها عاما ويسقط عامين ،
وليس سقوطه - كما يزعم دائما - إلا نتيجة جهل الاساتذة بوضع
الاسئلة ، فهم جميعا جهلة لا يعرفون مواقع الاسئلة من المقررات ،
ولو أتيح له هو ان يصير مدرسا معهم لعرف كيف يضع الامتحان
لزملائه الاقدمين من الطلاب « الغلابة » ذلك بأنه خبير بأوقات
الطلاب طول العام ، ولم يسيرتهم فى الليالى الحمراء وعارف بضيق
العشرين يوما الاخيرة من العام الدراسى عن الاحاطة بجميع
المواد الدراسية خصوصا « المدنى » وتعقيداته و « الدولى »
وسخافته . فقد كان يستطيع . لو قدر له أن يكون مدرسا أن يحدد
لطلابه النجباء مواضع مخصوصة يسهل عليهم الامام بها والاجابة
على أسئلتها . أما طريقة الممتحنين « السئلة » التي يسميها : (لبن
سمك عسل تمر هندي) فهي طريقة لا تعجبه ولا « يستخفش

دمها» لذلك تراه كلما لقيك ناقما على مدرسيه ناسبا بسقوطه المتكرر
لقسوتهم وجهلهم بأساليب العصر الحديث و كثرة مشاغله
ومشاغل زملائه الطلاب في مثل هذا الجيل
لقيني ذات يوم شارد اللب زائع البصر . تبدو على وجهه
سمات الحزن والتفكير !

قلت له : ماذا أذهلك عن حديثنا يا حسنى
فزفر زفرة عميقة و أخذ يدي في يده ثم شد عليها ومال الى
أذني هامسا : هل تريد أن تعرف سبب همي ؟ إذن فاستأذن من
أصحابك وتعال معي أحدثك حديث همى واكتسبني
قلت : حديث غرام ؟

فأرسل زفرة أحر وأعمق من سابقتها ثم قال :
وهل غير الغرام يا صاحبي !! اف ما أقتله وما أشد فواجعه
فضحكت وسللت يدي من يده وقلت : لا يا أخى كل شيء
أسيغه منك وأقبله إلا الغرام وأحاديثه فلست أطيعه منك على
الخصوص فأنت في هذا المضمار البطل الذى لا يشق له غبار . وفي
كل يوم لك فيه موقعة أثر موقعة فدغنى أروح عن نفسى مع رفاقي
وأسأل الله لك التوفيق

لم أكد أجيبه بهذا حتى رأيت وجهه يتجهم وشفتيه تضطربان
بحركة عصبية ثم حاول الكلام نخانه لسانه وانسجمت الدموع
من عينيه فى لهفة وتأثر ، وبعث منظره فى نفسى شفقة ورحمة لم
أعهدهما من قبل فمسكت يده وشدت عليها معذرا عن اجابتي
الساخرة وقلت له : لم أكن أعلم يا صديقي أنك تجد فيما تقول

فانفرت أسارى وجهه قليلا ثم قال :
بل أجد كل الجد ، ولست أعرف ماسيكون مصيرى هذه
المرّة ، فإن الحب الذى أحببته قاتلى لا محالة
ولقد كنت أعرف عن صاحبي هذا أنه ساذج الى درجة
« العبط » رغم ما يبدو على سيئاته من دلائل الجد والحزم والاناقة
فأحببت أن أستمع لقصة غرامه دون أن أبدى له سخرى من
« قلة عقله » وسذاجته فقلت له :

- اذن فقل لى ياسيدى وثق انى مواسيك ما استطعت
واستأذنت من أصدقائى . ثم رافقته الى زاوية خالية من « جرونى »
حيث تحلو له الخلوة هناك . ثم طفق يحدثنى عن غرامه الجديد
فقال والتأثر باد على وجهه ظاهر فى نبرات صوته :
- رأيتها يا صديقى فى « لونابارك » تهادى وتتأود كما يتأود
الغصن مال به النسيم هيفاء فاتنة اللمحات . مشرقة . كأنها بسملة
الطبيعة فى هذا الكون

قلت : آه الى آخر القصيدة !! مفهوم . وبعدين ؟
فتجههم وجهه ثانية وقال غاضبا : لا . لا أطيق هذه السخرية
يا صديقى فأما أن تسمع الى النهاية وأما أن أنصرف على أن يكون
هذا آخر العهد بينى وبينك
فابتسمت ابتسامة هادئة ثم قلت :

لا . لا . اننى أداعبك لأسرى عنك بعض همك قل ولا تغضب
فاستأنف الحديث بنفس النغمة الحزينة الاولى قائلا :
.. وكانت تسير مع طفل صغير عرفت فيما بعد أنه أخوها

وخادمة زنجية نظيفة الشياب وقورة الخطوات تدل سيمها على
رفعة البيت الذى تخدمه. ومشيت خلفها أتجه حيث تتجه « كعباد
الشمس » لا يتحول عن الشمس ولا يحيد. وتبادلنا النظرات
فرنت الى فى حياء وخفر. وتشجعت قليلا فاقتربت منها والقيت
عليها نظرة واجد ملهوف و كأن هذه النظرة قد انترقت شغاف
قلبها فأرسلت زفرة حارة ثم دنت الى ثانية فى دل وتكسر كدت
حيالهما أثب اليها فأضمها بين ذراعى وألثم خديها وشفتيها تقبيلًا
وكدت أنا حين « تطور » إلى هذا الحد من حديث غرامه
أن أهشم الكرسي الذى بجانبه على رأسه الفارغ المتخرب !!
وتلملت فى جلستى. وبدت على أسارى وجهى علائم الغيظ
والمضايقة فلهج ذلك منى فقال:

مالك اليوم ضيق الصدر لا تطيق استماعا؟

قلت عفوا يا صديقي. ان كنت لاحظت على شيئًا من ذلك
فالسبب فى هذا اننى أعرف بقية قصتك وأستطيع الآن ان أتمها
لك فى ثلاث كلمات. ثم أستطيع أن أصف لك العلاج الذى يضمن
لك الشفاء فى ساعة واحدة

فضحك ضحكة عالية ثم قال:

— أأصبحت منجمًا فى هذه الايام وطيبيا للمحبين فى وقت

واحد؟

قلت:

— سأبرهن لك على ذلك فهل تمتحنى. وتسمح لى أن أتم
حديثك بالدقة التامة كما لو كنت معك؟ واذا نجحت فى هذا

الامتحان وقصصت عليك بقية القصص فهل تقبل العلاج الذي
سأضعه لك

فنظر الى نظرة شذراء ثم قال ساخرًا:
ولك فوق ذلك هدية ثمينة أترك لك اختيارها مهما بلغت

قيمتها

قلت .

- ولو كانت ساعة ذهبية بعشرين جنيهًا مثلاً ؟ ..

قال .

- ولو كانت بخمسين

قلت :

- اذن فاسمع :

... وبعد النظرة التي اخترقت شغاف قلبها الخ... تشجعت
مرة ثانية ثم همست في أذنها بكلمات مضطربة متلعثمة ، فنفرت
منك وارتاعت ، وتشجعت مرة ثالثة فدنوت أكثر من ذي
قبل وجمعت كل اطراف بسالتك فهمست في أذنها بكلمات أخرى
فانفرت شفتاها بكلمات خافتة مدعورة لم تتبينها جيداً ثم زالت
وحشة نفسك وذهب خوفك فسرت بجانها وكلام وابتسام وتمنع
ثم استسلام !!! وفي هذه اللحظة دنت الخادمة الزنجية من سيدتها
المصونة فمالت الى أذنها ودار بينهما هذا الحديث أو ما يقرب منه:
- يا عيب الشوم ياستي ولما تسألني ستي الكبيرة أعمل ايه ،
لا ، لا ، ياستي ان الله الغنى عن كده أنا رايحه مروحه ومليش
دعوة بكده

- اخصر عليك يا « زهره » وأنا برده أهون عليكى والنبي
يا زهره دمه خفيف !!

ويطول الحوار بينهما ثم ينتهى برضا زهره على شرط ان
يعودوا الى المنزل بعد ساعة على الاكثر
ثم بدأت انت الحديث - بعد أن خرق أذنك حوارهما -
فعرضت عليها نزهة قصيرة فى عربة و ..

ولم أكيد أصل من حديثى إلى هذا الحد حتى كان قد فغر فاه
وحملق فى وجهى ذاهلا مشدوها كأن مسأ من الجن قد أصابه ،
ثم انتفض قائلا فى لهفة ودهشة .

لا ، لا ، هذا سحر ؟ هذا وحى ، لقد أو شك عقلى أن
يطير من رأسى

فنظرت اليه فى هدوء وسكون ، وقلت له :

لا سحر ولا وحى يا صديقى لكنها تجارب الايام فدعنى
أتم لك قصتك ولا تخف فسأعفيك من « الهدية » وحسبى أن
أكشف عن عينيك هذا العمى الذى يحجب عنها نور الاشياء
فصرخ فى وجهى كمن مسه الجنون وقال :

- مستحيل !! مستحيل ، لا بد أن اكون قد جنت ، ان
رأسى يحترق ، قل لى أتعرف هذه الفتاة ، أهى التى أخبرتك بما جرى
فبقيت ساكنا هادئا ، ثم أجبتة :

- أقسم لك بشر فى أنى لا أعرفها ولا اعرف خادمتها ولا
أحدًا يمت اليها بقراءة أو أية صلة
فحملق فى وجهى ثانية وقال :

- إذن ماذا؟ يا أخى أعوذ بالله!! طيب، طيب، كمل الحكاية
ووضعت يدي على كتفه ثم رحت استأنف الحديث.

... ثم خرجتم جميعاً فركبتم العربية وسارت بكم ما شاء الله ان
تسير وانتفضت هي فجأة حين نظرت الى ساعتها ثم رجتك ان
تسمح لها بالعودة الى منزلها، وتوسلت انت اليها أن تفترقا على موعد
فقبلت، وكان موعد بل كانت مواعيد، وهدايا، وغرام، وهيام
وعرفت بعد ذلك أنها ابنة (المرحوم) فلان بك، وانها تزوجت
بشباب لم تحبه، ثم طلقت منه بعد شهر واحد من زواجها، وانها
حين رأتك أحبتك، واختفت الخادمة فلم تعد تنغص عليكما
مناجاتكما ولياليكما الحمراء الساهرة
- هذه قصتك!! مش كده؟

وكان صاحبنا أصبح في شبه غيبوبة لفرط حيرته فهزنته
بيدي وقلت له:

- بقي العلاج أليس كذلك؟

فقام يمسح جبينه بيده ثم جذبني من يدي وقال .
لو أن هذا العلاج في « جهنم الحمراء » لتبعتك اليها، فقم الى
حيث شئت أو صف لي مكانه وعلى أنا أن اذهب اليه حيث
يكون

وظللت ساكنا هادئا كما كنت ثم قلت له:

- لا تخف!! فليس العلاج في جهنم بل هو في لونا بارك!!

- لونا بارك؟ ابتدئنا نخرف مش كده

- معلش ياسيدي استحمل تخريفي للنهاية ومش حيخس

عليك حاجة وقت ویدی فی یدہ أقوده كالمسحور الى طريق «المترو»
وبعد عشرين دقيقة كنا علی باب «لونا بارك» ودخلنا فصعدت
به الى البوفية وجلسنا ندخن لفائف التبغ ونشرب القهوة وساد
صمت عمیق فتملأ فی مجلسه وقال :

- لكن أين العلاج؟

فقلت بینك وبين مكانه متران فقط ، لا يحجبه عنك الا حاجز
بسيط فاشتد غيظه وتهدج صوته ثم قال .

- استخلفك بالله وبالصدقة التي بیننا يا صديقي الا ما أشفقت
على ، فان أعصابی لم تعد تقوى على أكثر من ذلك ، دعك من هذه
الاحاجی والألغاز ، وقل لی أين ما زعمت من علاج فأنی احبها
بل أعبدھا ؛ وقد عرضت علیها أمر الزواج فرفضت وفضلت
أن نظل حبيبين طول الابد بغير زواج ، وقد أصبحت كما ترى
فی حالة ليس بینها وبين الجنون الا خطوات

وإذ ذاك أشفقت علیه من طول الانتظار ، وجذبتہ من یدہ
وقلت قم فانظر بعینیک التي نظرت بها حبیبك المصونة !!!

ومشیت به خطوات حتى وصلنا الى حاجز «برافا» مقام فی
زاوية قريبة من البار ؛ وقلت انظر ماذا ترى خلف هذا الحاجز؟
فنظر ثم ارتد الى يكاد لا يقوى على الوقوف ، ثم قال :

- أطفال صغار ، وامرأة عجوز ؛ وخدم فی ثياب زاهية ؟ !!

قلت :

- هذا هو العلاج

قال :

- بربك فسر وأوضح ماذا تريد ؟
قلت :

- هؤلاء هم الاطفال اللقطاء وهذه هي العجوز الارمنية
وأولئك هم الخدم المأجورون لتمثيل الادوار ، وبعد قليل حين
يزدحم « لونا بارك » بالمغفلين أمثال حضرتك تحضر النساء
المصونات العفيفات !! فتسلسل الواحدة منهن الى هذه العجوز
الفاجرة فتنتقي منها الطفل او الطفلة والخدام أو الخادمة ثم تنزل
بهما الى أرجاء الحديقة في ثياب المخدرات فتلعب دورها في اجادة
واتقان ، ويسوق الشيطان لها من أمثالك من يقع في شراكها ،
وتظل تبز منه المال والهدايا ، ورزق هذه العجوز يا صديقي
العبيط !! مكفول مضمون مادامت الدنيا ملأته بالسادة المغفلين !!
ذلك لان الامر لا يكلفها اكثر من أن تستأجر هؤلاء الخدم وأن
تحصل على هؤلاء الاطفال اللقطاء فتعنى بشأنهم وتلبسهم الثياب
الغالية ، ثم تذهب بهم جميعا الى مقصف الحديقة لتجلس في هذا
المكان الذي رأيته نظير مبلغ ضئيل تدفعه لرئيس الخدم في المقصف ،
وتفقد عليها بعد ذلك النساء الفاجرات اللواتي يكن على اتصال وثيق
بها وبمنزلها « العامر » فيستصحبن هؤلاء الاطفال ليظهرن امام
عينك في الحديقة بمظهر المصونات ذوات البيوتات الشريفة ، وهن
في الحقيقة نساء العجوز تستأجرهن في منزلها للسهرات في الليالي
الطويلة الحمراء وتستخدمهن بالنهار على هذا الوجه الذي رأيته
وبعد ذلك يكون العيب كل العيب على الاساتذة القساء الجهلة
الذين لا يحسنون وضع الاسئلة

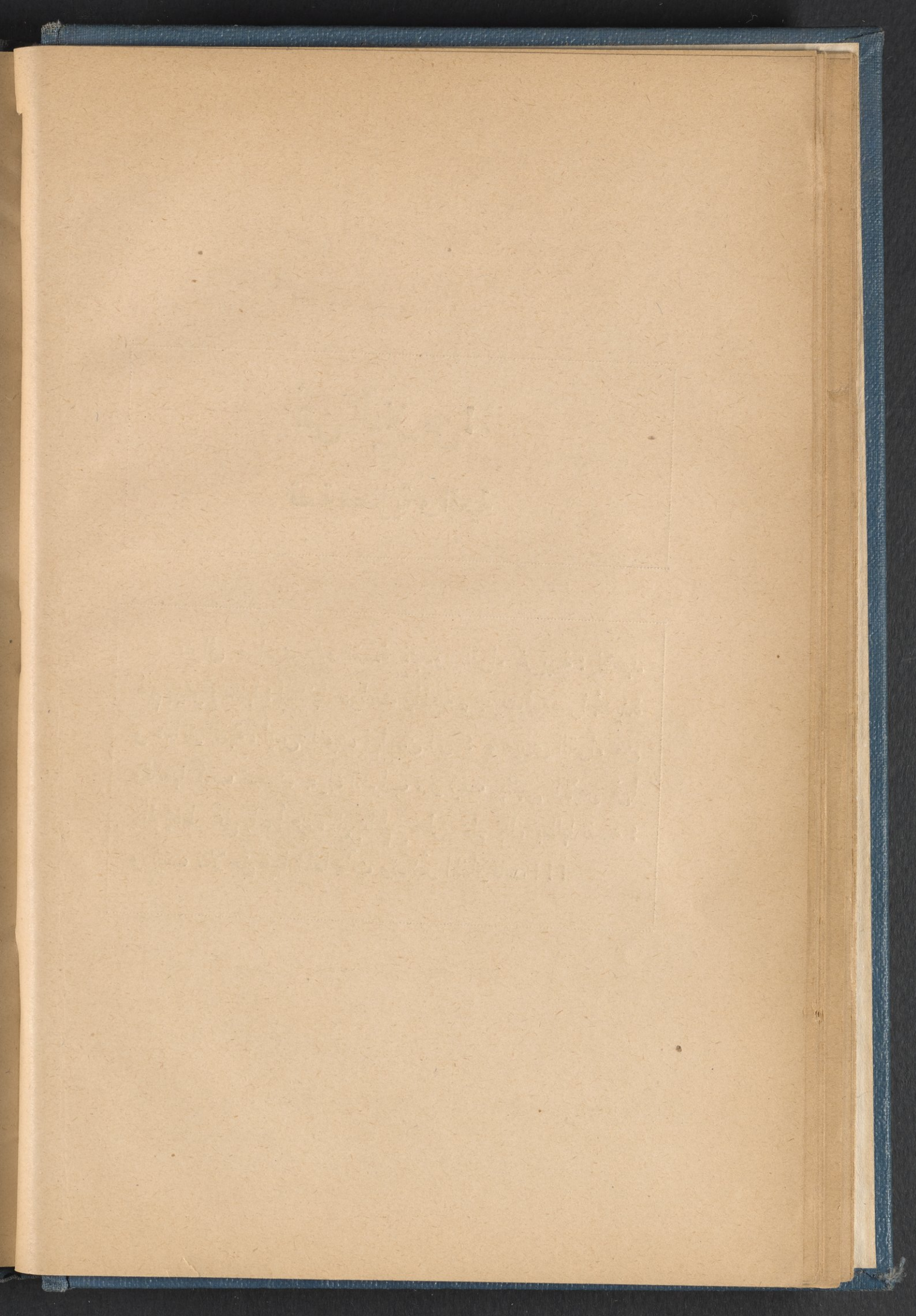
والآن فهل تستطيع أن تقول لي من من أصدقائي جدير بأن
أخلع عليه لقب « صديقي المغفل...؟ »
فأجاب في خجل وانكسار :
— أنا !!



ثمن البنزين !!

قصة مصرية واقعية

تتوالى حوادث هذه القصة فتبدو للقراء غريبة ؛ لاعد لهم بوقوع مثلها ؛ لكنها حوادث واقعية ، جرت في مصر الجديدة وحداثق القبة ، ليس للخيال فيها من أثر ؛ وسيرى القراء من وقائعها كيف تكون جرأة الشباب ، وكيف ينتهى الامر فيها بمالم يخطر على بال أحد ، بل بمالم يخطر على بال بطلها نفسه ؛ وكيف تتلاحق فيها المفاجآت وتكثر المفارقات !!!



محمد البنزيه !!

قصة مصرية واقعية



ليس صديقي حلمي افندي ... ندياً ولا رسولا ولا ملا كما
هبط من السماء الى الارض لهداية الناس بنورانيته ، فهو انسان
يجوز عليه ما يجوز على جميع الناس وهو مثلي ومثلك تميل نفسه
الى الشر حيناً وتنزع الى الخير احياناً ، إلا صفة واحدة لا يحيد
عنها ولا يتحول ، هي صفة « الصدق » فقد درج عليها منذ كان
طفلاً وما زالت تتأصل في نفسه وتنمو معه حتى أصبحت جزءاً
من طبيعته لا يقبل الانفصال ولولا ما عرفته وعرفه اصدقائه
عنه من الصدق الخالص من كل شائبة لرميته بالكذب والتلفيق
حين قص على قصته هذه التي لا أشك ان كثيراً من القراء سينسكرون
وقائعها ، بما حوت من مخالفات صريحة لما يجري عليه العرف
المصري المؤلف

نعم قام صديقي حلمي في هذه القصة بتمثيل أكاذيب عديدة
منساقا الى ذلك بنزوات الشباب والفراغ والغنى ، وهو يعتقد
انها كانت أكاذيب بريئة يسوق اليها العبث البري ، ولم يكن يخطر
بباله انه سوف يلاقى من جراء هذه الدعابات ما لاقى من المحرجات
والمآزق ، ثم ما صار اليه أمره بسببها بعد ذلك

هو فتى في ميعة الصبا ، وريعان الشباب ، قامه منسرحة هيفاء

وحيا باسم مهلل ، وعينان نجلاوان ، وفم دقيق ضاحك السن ،
مشرق الابتسامة ، وصوت فائن النبرات يجذب اليه سامعيه كما
يجذب المغناطيس برادة الحديد . وهو في سعة من الرزق بما خلف
له والده من المال والعقار ، لكنه لم يشأ — مع ذلك — أن يكون
كأبناء الاعيان عاطلا من حلية العمل فحصل على وظيفة «سكرتير»
لاحدى المدارس الاميرية وراح يعمل في وظيفته الجديدة
مسرورا مغتبطا يراقب ادارة املاكه في اوقات فراغه ، ثم ينعطف
الى مسارح اللهو والعبث فيروح عن نفسه متاعب اليوم وهمومه
على هذه الصورة عرفت صديقي حلمي ... وظللنا نلتقي في
ساعات الليل بعد أن يفرغ كل منا من عمل النهار ، لنرفه عن نفسيينا
ونقضى حق الشباب علينا الى أن قضت ظروف قاهرة أن ابرح
العاصمة الى الريف خمس سنين كنت في خلالها تشوق الى رسائله فلا
أظفر الا بالقليل منها ، ولا أعرف من أخباره غير النادر اليسير
... والتقيننا بعد هذا الفراق الطويل فاذا هو قد استقال من
وظيفته ليتفرغ بكل جهده لادارة املاكه و.. وثمان البنزين

نظرت اليه في دهشة وقلت له :

— أملا كك عرفناها ، لكن ما معنى ثمن البنزين ؟

فضحك ضحكة طويلة وقال :

— كذبة ثمن البنزين !! ألا تعرفها ؟

— أعوذ بالله ، ماذا جرى لعقلك يا حلمي ؟

— عقلي كما عهدته

— لكن هذا كلام غير مفهوم ،

- وهل كل شيء في هذه الدنيا يجري على وجه مفهوم ؟

- حسبك أن تعلم أنني استقلت من وظيفتي بسبب « كذبة

ثمن البنزين »

قال ذلك ببساطة تقرب من « العبط » كأنني أعرف تفصيل ما جرى له في غيابي ، وكأن هذه الكلمة المعقدة « كذبة ثمن البنزين » تكفي في نظري وده أن أعرف كل ما أريد أن أعرف ، فالتفت إليه وحدجته بنظرة غيظ وتمليل فاذا هو يضحك ويغرق في الضحك ! اذ ذاك رايت رابني أمره ، وحسبت مسامح الجنون قد أصابه ، فهو يهذي بهذه الكلمات دون أن يعي لها معنى . وكأنه أدرك أنني قد ظننت به هذا الظن فمد يده إلى يدي ثم شد عليها وتكلف الجد في حديثه ثم قال :

— أريحك من هذه الحيرة الأليمة ، وأقص عليك قصتي ، أنا على استعداد لهذا ، لكنكم معشر الكتاب « لصوص أخبار » تستدرجون أصدقاءكم ومعارفكم لاختلاس أخبارهم ثم لا نلبث أن نرى هذه الأخبار قصصاً يقرأها الناس في الكتب فتصبح موضوع احاديثهم وسمهم ، وتتجمع القرائن والشواهد حول أشخاص القصص - مهما حاولتم اخفاء اسمائهم - فيصبح هؤلاء الأشخاص المساكين مضغة الافواه وهدف الاشارات والغمزات فهل تقسم بشرفك أن تكون هذه القصة لك أنت ؟

وعلى الرغم من حروجة هذا القسم وشدة وطأته فقد هزرت يده وقلت :

« أقسم بشرفي أن تكون هذه القصة لي » واكتفي هو بهذا

القسم الذى اقترح بنفسه « صيغته » والذى نفذته بدقة بالغة حيث جعلت القصة لى « انا » ووقعها باسمى وخرجت بهذا « المحلل » من حرج القسم الذى أقسمته أما هو فقد اطمأن لقسمى وراح يتحدث عن قصته بعبارة حارة فقال :

- فى يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٤ - وهذا موعد تاريخى لا انساه ما حييت - كنت بعد الغروب بقليل أجلس بجانب صديقى خيرى فى سيارته الفخمة التى تعودنا أن نستقلها مساء كل يوم للزهوة ولمعا كسة خلق الله بأساليبنا الشيطانية ، وأنت تعلم أن هذه السيارة هى الامينة على اسرارنا الغرامية لا نأتمن سواها على صيانة السر وخفى الأمر ، وهى عدا ذلك الشراك الوحيد الذى طالما نصبناه فى الشوارع والمنعطفات فعدنا به ملائ من خيرات الدنيا ونعيمها لا أطيل عليك فأنت اعلم الناس بوقائعنا ! وحسبك أن تعرف أننا وصلنا بالسيارة الى قرب محطة الحمامات فى مستهل مصر الجديدة ولمح صديقى خيرى بمحطة المترو فتأتين أدع وصف محاسنهما الآن ، وستعرف مقدار حسنهما وقتتهما حين تعلم ما كان من أمرنا

وقف « خيرى » بالسيارة وعينه تقدر حان شرراً لفرط ما اصابه من جماله ، ونثر الى نظرة حائرة كأنه كان يستنجد بى ويتوسل أن أقوم من مقعدى لأقصد اليهما واعمل فى اقتناصهما حيلتى ، ذلك لانه - كما تعلم - « لخنه » لا يصلح لمثل هذه المواقف وملائى الغرور والزهو فأسرعت اليهما بعد ان أعطيت خيرى اوامرى

ووجمل خطة السير على حسب عادتنا، وجمعت أطراف شجاعتي
وأقبلت عليهما مبتسما متهلل الوجه ماداً يدي لمصافحة أحدهما
كأنني أحد أقاربها وكنت في إقبالي عليهما «شجاعاً» أعرف كيف
أمثل دورى بلباقة واحكام، وبوغت الفتاة بهذه الجرأة - والناس
من حولنا - فمدت يدها بغير ارادة او تفكير، ثم هززت يدها
في رفق ودنوت من الثانية فمدت اليها يدي كما فعلت مع الاولى
لكنها كانت عنيدة شديدة المراس، وكانت قد فكرت في الامر حين
دنوت من زميلتها فلم تباغت كما بوغت، ولم تنجح الحيلة معها،
فعبست في وجهي ورمتني بنظرة حادة كدت لهولها أفر نحو
صاحبي لأنجو بنفسى من هذا الموقف المخرج المخيف، لكننى
عولت على تمثيل دورى الى نهايته فلم اكثرت لهذه النظرة ووقفت
بينهما مستتبسلاً لا اقدر عاقبة فضيحة أو مسؤولية تلقى على عاتقي
ثم دار بيننا هذا الحديث:

- اسمعى يا هانم: رجوع مش راجع، فكرى في المسألة وفي
نتائجها قبل ما تتكلمى أى كلمة
- يا افندى عيب اختشى احنا مش بتوع حاجات زى دى
- ولا أنا يا هانم، اسمعى حكايتنا، وانت حره بعد كده
يا تصدقها يا متصدقهاش،

الحكاية انى انا وصاحبى مش من مصر الجديدة وجينا
معزومين عند جماعة أصحابنا وبعدين لعبنا معاهم «بوكر» وكانت
النتيجة اننا خسرنا كل فلوسنا، ووصلنا لحد هنا، وبصينا لقينا

البنزين خلص

- طيب واحنا مالنا يا افندى

- حتعرفى حالا بقية الحكاية ، وبعدين وقفنا هنا نفكر فى

حالتنا اللي زى الزفت دى ، بصيت شفتكم ، خطر لى خاطر جنونى
قلت الاثنين الهوانم دول باين عليهم ناس طيبين أنا أروح احكى
لهم الحكاية ، واطلب ثمن تذكريت المترو نشترى به بنزين ونوصلهم
لحد مصر ، ايه بقى رأى الهانم ؟

- لا يا افندى لا الكلام ده تسبكه على غيرنا ، اذا كان على

تمن البنزين اتفضل آدى نص ريال وسيدنا فى حالنا ومدت يدها
الى حقبتها الجميلة الصغيرة واخرجت منها نصف ريال ، وكدت
فى خلال ذلك أسقط لفرط غيظى من ضياع حيلتى هباء ؛ لكن
الشیطان أبى إلا أن يسعبنى بالقول ، فنظرت اليها نظرة استنكار
وقلت متكلفا الجد والغضب :

- أنا مش شحات ياهانم ، النص ريال بتاعك خليه لك

إديه لخدام من خدامينك أما أنا فمش راجع بأى شكل الا على
الاساس اللي قلته لكم ، وبصراحه كده أقول لكم انى مصمم على طلبى
- طيب ودينى يا افندى اذا ما كنتش حتمشى لابد أنادى

العسكرى وأوريك مقامك

- عال ، عال ، يبقى كويس والله فتحتى لى باب جديد ، تعرفى

تكون ايه النتيجة ؟ المسألة بسيطة انتم الاثنين ولاد عمى وعمى
مكلفنى بمراقبتكم وفضلت ماشى وراكم لحد معرفت انتم رايعين
فين وجيت أخذكم بالقوة ، وشوفوا بقى تقولوا ايه فى كده قدام

مأمور القسم؟ أقل ما فيها محضر تحرى وفضيحة وجرسه
كان ذلك آخر سهم في جمعتي، وكنت على وشك الهزيمة أو لا
أننى لمحت على وجهيهما علائم الخوف والاضطراب، فشددت
عليهما النكير، وتكلفت العبوس والجد والتصميم ونظرت إليهما
نظرة الأمر المستبد وقلت لهما:
- حاجة من الاثنين يا القسم والفضيحة يا ثمن البنزين
والركوب معنا

نظرت الى إحداهما - وهى التى كانت تناقشنى بحدة - نظرة
حادة تتفجر بكل معانى الغيظ والحقد، ثم مدت يدها الى زميلتها
فجذبتها بشدة وقالت:

- طيب تعالى يا سوسو، ومشيت بها الى السيارة فسرت
بجانبيها وأقبلت على صاحبي خيرى فاذا هو ينظر الىنا ضاحكاً ضحكة
الفوز، أما أنا فكنت قد وصلت الى حالة من الاعياء والنصب شديدة
وكان العرق قد نبع من أعضائى. وفتحت سوسو باب السيارة
الخلفى وارتمت على المقعد شاتمة لاعنة، وجلست بجانبها زميلتها
تزفر زفرات حارة، وعمد خيرى الى محرك السيارة فانطلقت بنا
تنهب الارض نهبا، ولم نكد نبدأ السير حتى حرك الغيظ احدهما
فطفقت تلعن الأخلاق الفاسدة والشباب الاموج الجامح، ثم
مدت يدها الى كتنفى فهزتنى بعنف وحقق وقالت:

- الا تو ميسيل مشى من غير بنزين دى الوقت يا ساقل يا منحط؟
فالتفت اليها باسماء وقلت لها.

— الله يسامحك يا هانم ! إيه اللي ضايقكم ؟ احنا راكبين
قدام . واحد «شوفير» والثاني حدام ، وانتم راكبين ورا بكل ادب
واحتشام لحد بيتكم وتنزلوا واكسب انا الرهان
— رهان ايه يا فندى وتخريف ايه اللي عمال تخرفه من الصبح ،
كديه جديده دى كان ؟

— لا والله يا هانم المسألة انى راهنت صاحبي على أنى اركبكم معانا
بأى شكل والرهان خمسة جنيهات واحنا فى آخر الشهر يبقى لهم
قيمة ، المهم ايه اللي زعلكم يعنى خلاص محناش ولاد ناس زيكم ؟
— لو كنت ابن ناس مكنتش تعمل كده ولو كانت أختك
اللى انعمل فيها الفصل ده كان يكون إيه شعورك ؟
ثم انترسلت فى صخبها وشتائمها وأنا صامت لالتفت اليها
ولا أتكلم ، وغمرت خيرى غمرة أدرك معناها فهدأ من سرعة
السيارة كي أتمكن من اتمام دورى ، والتفت اليها فى أدب ووقار
وقلت لها :

— البيت فىن فى مصر يا هانم
— لا يا فندى البيت فى حدائق القبة
— آه يعنى لازم نرجع نص المسافة ، نهايته أمرك لله يا خيرى
سوق يا عم على حدائق القبة

وتناولت حافظة نقودى فأخرجت منها بطاقتى وقلت لها :
سأقدم لك بطاقتى وأنا واثق أنك ستمزقينها وتلقين بها فى وجهى
لذلك لم أجد بدا من التهديد مرة أخرى فأما أن تتناولى بطاقتى بما
أتوسم فيك من أدب واحتشام فتضعينها فى حقبتك ، وأما أن

تقذفى بها فى وجهى فأكون مضطراً إلى أن أوعز لصاحي بمضاعفة سرعة السيارة وتغيير طريقها إلى صحراء مصر الجديدة حيث لا تنفع كما استغاثة أو يجدى علي كما صراخ وتكون فضيحة التجمهر فى النهاية على كل حال ! فنظرت إلى نظرة حرت فى تفهم معناها ثم تناولت البطاقة من يدي فى صمت تام ورمتها فى حقيبتها والدمع يترقق من عينيها الساحرتين ، وبدأت ألثفت اليها من حين إلى حين فأحس كأن ناراً حامية تأكل قلبى أكلاً ، أما رفيقتها فقد لزمت الصمت من أول المعركة إلى نهايتها

... ووصلنا إلى قرب منزل كبير فى حدائق القبة فأشارتا بالوقوف فوقفنا ، ونزلتا ، لا كلام ولا سلام ، إلا نظرة واحدة البقتها تلك التى جرى الحديث معها والتى كان لبسكائها فى نفسى أبلغ الأثر ، ثم أسرعنا الخطى فى خوف وذعر حتى وصلنا إلى ذلك المنزل الكبير فاخفتنا وراء أشجار حديقته الكبيرة

... وعدنا!! ولا تسئل كيف عدنا!! ندم واستخذاء ، ودموع تترقق فى أعيننا وألم شديد يحز فى قلوبنا حزاً ، هاتان الحمامتان الوادعتان كيف دفعنا نزع الشباباب إلى التمثيل بهما على هذه الصورة المفزعة ، وماذا نلنا بعد ذلك ؟ لاشئ سوى الحسرة والندم !!

— آلو ، آلو ادبنى من فضلك السكرتير حلمى أفندى ..

— أنا حلمى مين حضرتك ياهانم ؟

— صحيح حلمى أفندى ؟

- صحيح ايه الداعى ميكمنش صحيح ؟

- طيب تفتكر انت كنت فين أول امبارح المغرب ؟

- آه أهلا وسهلا أنا متأسف والله على اللى حصل ، مش قادر

أقول لك أد إيه أنا فى شدة الخجل ، لكن معنى دايا هانم ان
الكرت بتاعى متقطعش ودايدل على أنك صحيح زى ما فهمت
من عنيكى فى الآخر وانت نازلة

- طيب سيدك من عيني واللى فهمته منها ، تقدر تقابلنى
النهارده لو حدك

- أقدر ؟ ياسلام !! دا أنا أطير مش أتدر

و اتفقنا على موعد تلتة مواعيد ومواعيد استنفدت عاما
ونصف عام عرفت فيهما معنى الحب الطاهر العفيف . فانقطعت
عن مجالس أصدقائى وودعت السهرات الفاجرة ورحت ولاهم
الا أن ألقاها فنقصد إلى الجهات الفسيحة الخالية الا من نجوانا
التي كانت كأنها تلاء الأرض والسماء لحنا عذبا شجيا وغشينا
الحديث . وابتسم للقاءنا الزهر وابتسمنا للقاءه . ورأينا على
صفحة الماء صورتينا تظللها ظلال الحب الملائكى الطاهر . وأطل
علينا القمر من خلف الغمام فسمعنا لحن أضوائه كأنه رنين الفضة
يبعث فى النفس حياة غير تلك الحياة التى يحياها الناس جميعا

كانت دعاة دفعنا اليها نرق الشباب . وكنا لانفكر فى نتائجها
وماستجره علينا من ندم وألم . أما صاحبي خيرى فقد أخفيت
عنه ما كان من أمرى وأمر فتاتى . وأما أنا فقد عدت كسير القلب

حيران كدمعة الحب يدفعها الوجد ويمنعها الخوف

الفتاة اعلى منى مقاما . أبوها ... باشا من سلالة مصرية عريقة
شغل مناصب حكومية كبيره . ثم أحيل الى المعاش ولزم البيت
منذ لزمه مرض « الربو » الذى أقعده عن العمل . واستسلم الى
فراش المرض فلم يعد يقوى على ادارة شئون ضياعه الواسعة .
وتخطف الموت جميع أبنائه فلم يبق له الا هذه الفتاة التى أحسن
تهذيبها وتربيتها فأصبحت المثل الاعلى علما وأدبا وجمالا . وماتت
امها منذ عشرة أعوام فصار ذلك المنزل الكبير لا يحوى بين
جدرانها الا ذلك الشيخ وابنته الغالية وخادمت عجائز بقين من
عهد طويل يرتعن فى نعمة الباشا يقمن على خدمته . وخدماء
يقومون بنظافته وتعهد حديقته الواسعة . ووكيل الباشا الذى
اختاره منذ سنين لادارة أملاكه يعيث فى غلة الارض وحاصلاتها
ماشاء وشاء له الطمع و الشره ، كل ذلك والباشا يقعه المرض
يوماً بعد يوم عن مراقبة أعمال و كيله الجشع فلا يستطيع حراكا
عرفت هذا جميعه من الفتاة خلال أحاديثنا الطويلة وشجعنى
ذلك على أن أفاتحها فى شأن الزواج . لكنى عدت فعقد الخجل
لسانى ومضينا فى حبنا بغير أمل !!!

و كنت أتهيب الدنو من المنزل كلما ذهبت ارافقها اليه بعد
عودتنا من الزهرة . وكانت هى الأخرى تسلم مسرعة خائفة حين
تقرب من باب الحديقة الخلفى الذى كانت تدخل منه بعد عودتها
متلפתة نحو النافذة التى يطل منها والدها أحيانا

... أجل فقد جمعت هذه الليلة بين الفزع و الطمانينة . و الهول
المفاجيء و السعادة الدائمة

أصغ الى يا عبدالله و ارتقب منظرا مفزعا لا يخطر على بال أحد
كنت ألقى فتاقي بالقرب من منزلها فنستقل سيارة حيث
نريد ثم أعيدها الى نفس هذا المكان فأدعها تدنو من المنزل و أعود !
أما هذه الليلة . أقسم لك أننى لا أزال أرتجف كلما ذكرتها !!
أشارت الى و هى واقفة بباب الحديقة الصغير الذى تعودت
الخروج منه و تليت إشارتها على ضوء القمر الباهر ، فرأيتها
تشير الى بالدنو منها فتقدمت نحوها و الخوف يملأ قلبى و ما زلت
أقلع قدمى اقتلاعا حتى صرت بجانبها فمدت الى يدها باسمه ثم
جذبتنى جذبة قوية الفيتنى بعدها داخل الباب فمادت الارض
تحت قدمى و أحسست كأن السماء تتصدع فتهبط نجومها الى
الارض منحدره هائلة . و توقفت على المسير ثم قلت لها
- كل شئ أنا لك فيه أطوع من بنائك الا المنزل . لا . لا . أدخل ؟
هذا محال فهدأت من روعى بكلمات عذبة شبيهة . و همست فى اذنى
قائلة :

- متخفش يا حلمى : الباشا سافر حلوان

خش يا أخى بلاش عبط !!!

و بالاختصار سرت بجانبها أصعد درجات السلم بخطوات
مضطربة فزعة . و اخترقنا بهوا صغير الى أن وصلنا الى باب غرفة ...
غرفة نومها يالهول و الفزع !!
- ياستى أنا فى عرضك قلبى سقط معدش فى نفس

طوقتي بذراعيها وطبعت على فمي قبلة حارة اعادت الهدوء
الى نفسي قليلا . تنفست الصعداء وجذبتها الى فأجلستها بجانبى
وقلت لها :

- قولى لي من فضلك بس إيه السبب فى وجودى هنا الساعة دى
- ولا سبب ولا حاجة ياتو تو . بابا فى حلوان وأنا لوحدى
وحبيت نقعد سوى و.... لم تكدر تجمعتها - و كنت فى هذه
اللحظة أضمرها الى صدرى وأطبع على خديها وفمها وجبينها قبلات
صامتة مضربة - حتى فتحت باب الغرفة برفق وهدوء واقبل علينا
ياللرعب ويا للهللع ! تظن من الذى أبصرنا على هذا الحال ؟ شيخ
وقور أشيب يتكى على عصاه . تبدو على وجهه علامة الضعف
الجسمانى الشديد يخنقه السعال المتقطع ويهز جسمه النحيل هزا
شديدا فاجأنا هذا الشيخ وعلى شفتيه ابتسامة غامضة مرعبة .
و كنت انتفضت من هول هذه المفاجأة فوقفت مذعورا منكشرا
فى زاوية الغرفة لأأكاد أعى مما حولى شيئا ، هدأت وطأة السعال
فمشى الى بخطوات مرتجفة متخاذلة وبدأ يتكلم فقال :

- عال ، عال ، تعال

ولم يزد على هذه الكلمات الثلاث التى لم أفهم لها معنى سوى أن
وضع يده فوق منكبى وقادنى إلى بحر طويل وأنا أنتفض تحت
يده من هول الموقف وأسير بجانبه صامتا كالمسحور ، زائغ البصر
متهاككا على نفسي ، أكاد أسقط بين قدميه إعياء وخوفا
وقطعنا هذا الممر فى ثوان كانت فى دورة الفلك أطول من
أجيال وآباد . وانعطفنا إلى بهو صغير أو قل جرنى هو إلى بهو

صغير ، ثم وقف بي أمام باب حجيبة ستارة مخملة حمراء ، كل ذلك وهو ملازم الصمت الانوبات من السعال كانت تقطع هذا السكون المفزع الرهيب

في هذه اللحظات - وأنا أقاد كالذاهل إلى حيث لا عرف - كنت أتمثل صوراً شتى من الرعب والفزع والهلع !!!!! وويلك يا حلمي إلى أين تساق ؟ إلى رجال البوليس يتلقفونك لتقضى في ضيافة السجن ما يشاء القدر أن تقضى إلى غرفة من المنزل مظلمة موحشة حيث يتلقاك بها جبابرة من الخدم العتاه يمرنون في رأسك وجسمك عضلاتهم وسواعدهم القوية المفتولة ؟ الى ظاهر الطريق فيجتمع حولك المارة من رجال ونساء وأطفال ؟ الى جهنم لجرأ جزاء وفاقا على افتحامك لشرف هذا البيت الرفيع ما أشد دهشتي ، انى لأكاد أفقد البقية الباقية من صوابي لاشئ من هذا الكنى رأيت منظرأ أكثر من كل ذلك غرابة وأبلغ تأثيراً حذرأنت يا عبدالله ، امتحن خيالك الذى تستعين به فى تأليف قصصك ، لا ، سوف لا يخطر ببالك شئ مما رأيت ! فتح الباب بحرقة عصبية من ذلك الشيخ الذى كان يقودنى إلى حيث لا أدري

أية مفارقات هذه وأية مفاجآت ؟ هل تصدقنى ؟ فتح الباب فاذا أنا فى مدخل غرفة كبيرة واسعة الارحاء ، وقد جلس بها نحو العشرة أو الخمسة عشر شخصا ، كلهم أنيق فى بدته وجلسته ، وكلهم ينظر الى ناحية الباب الذى دخلت منه وعلى شفته ابتسامة طويلة عريضة من ذلك النوع الذى يعقبه ضحك طويل ، ذلك

لأنني لم أكد أطل عليهم ذاهلا مشدوها أرعد حتى انفجرت
هذه الابتسامات بضحكات عالية داوية . وكأن هذه الضحكات
الداوية قد أذهبت عن نفسي بعض ذهولها فتبينت بين هؤلاء
المطربشين شيخا معهما أمامه منضدة صغيرة وضع فوقها أوراكا
ودفاتر !!!

... وأجلسني ذلك الاشيب الوقور الذي باغتني وقادني الى
هذه الغرفة ثم جلس الى جانبي وهدأت الضحكات وتلاشت
الغمزات والاشارات ، وساد صمت وسكون لم يقطعهما إلى صوته
الاجش العميق :

- الآن خفف عنك يابني !! الفتاة ابنتي !! ولقد كنت أعرف
سر ما بينكما من حب أكيد ، وهؤلاء أهلها الاقربون وكانوا
جميعا يعرفون ما أعرف ، ولم تخف عني فتاتي شيئا من أمر كما طوال
هذه الشهور منذ « كذبة ثمن البنزين » الى هذه اللحظة ، وهي كما
خبرتها وعرفتها الأمانة على عرضها الوفية في حبها ، دعك يابني من
فوارق المجتمع وتقاليد العرف الموضوعية ، أنت بها جدير وهي
بك جديرة ، كلا كما سعيد بصاحبه فمن الجرم أن أفرق بينكما لمجرد
أنك دونها منزلة ، ومحال أن تحاول أنت الفرار من هذا المصير
خوفا من هذه الفوارق العرفية السخيفة فقد علمتني الايام
والاعوام كيف يجب أن يكون أساس الزواج الحب العفيف
والتمازج الشريف والآن هاهو « المأذون »

سوف لا تغفلت من يدي الآن ، وسوف لا أدعك تخرج
لتستشير أهلك وذويك فيقف أحدهم في سبيل سعادتك برأى

سخيـف او فـكرة مـتـويـة مـظـلـمة

لقد أحببت أن أدعك في حبك لا بتى بغير أمل في الزواج
بادى الامر لىكون حبا خالصا بريئا لا يشوبه طمع فى مالى وما
سترته من بعدى ، ولتكن هذه المدة التى قضيتها معا بمثابة تجربة
و خبرة ليتعرف كل منكما ميول صاحبه وعاداته وأخلاقه
ويخيل إلى يابنى أنك دهش لما أبين لك من رأى فى الزواج
قد لا يقول به شيخ متهدم مثلى ورث عن آبائه وأجداده عادات
بالية عتيقة فى شأن الزواج !!

لا تذهب بك الحيرة مذاهب شتى يابنى !! فقد قرأت ما كتب
الباحثون وما شئت عصر كم فعرفت منه بالخبرة الاصلح والانفع
وربيت ابنتى على خير ماترى عليه فتاة مهيبة حرة تعرف لنفسها
ما تشاء وتتبع فيما تفعل عقلها المستنير ورأيها الناضج
ستعود الآن الى أهلك بعد أن يكون كل شىء قد تم فتصبح معهم
أمام أمر واقع لا مفر منه ولا مهرب ، ذلك لى لا أعرض سعادتك
وسعادة ابنتى الى خطر بسبب تعنت الاهل وغفلة عقولهم
. انتهى الشيخ من هذه « الخطبة » فعاد الى صوابى واستطعت
أن أعرف ما يراد بى وكانت خاتمة سعيدة لولا أن طريقها كانت
وعرة محفوفة بالخوف والفرع

. وعدت الى أهلى « زوجا » ولم أكن قد غبت عنهم أكثر
من ساعة وبعض ساعة !!
رحم الله الباشا .. و طيب ثراه

- بابا، بابا، الشوفير عاوز ثمن البنزين !!! . كان هذا الصوت الذى
أهل علينا من بعيد صوت « صلاح » ابن صديقي حلمى وكانت
مصادقة جميلة ضحكنا لها جميعا وقبلته فى جبينه وسلمت على أبيه
وهنأته وانصرفت مـ





الشيخ عبد الله !!

قصة مصرية واقعية (١)

منذ خمسة عشر عاما كان اسمي «عبد الله» فقط !! لا الشيخ عبد الله ولا عبد الله افندى ولا الاستاذ عبد الله !!! و كنت يومئذ في الرابعة عشرة من عمري فاره الجسم ، طويل القامة ، مشرق الوجه ، خفيف الحركة ، لا اعرف من آلام الحياة شيئا سوى وجه « سيدنا الشيخ عبد الخالق » فقيه القرية ، فقد كان وجهها بغیضا إلى نفسي تتجمع في تجاعيده كل معاني الخوف والرهبة والكراهية ، كنت أمقت هذا الفقيه لانه كان يرهقني بحفظ القرآن بغير رحمة ولا شفقة ، وكان - عملا بنصيحة والدي - لا يفرق بيني وبين أبناء الفلاحين من أهل القرية ، فأنا وابن خادمنا الفلاح الدميم الوجه القذر الشياب عنده سواء ، فمن

نشرت بالفكاكه بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ وقد قدمها «المحرر» للقراء بما يأتي :
كتب الاديب المعروف الاستاذ عبد الله حبيب هذه القصة بضمير المتكلم وجعل عنوانها « الشيخ عبد الله » فهل هي سلسلة اعترافات حقيقية عن حياته الدراسية الاولى ؟؟ ذلك ما نميل الى القول به . أما هو فيقول في هذا الصدد ان فن القصة يتطلب من الكاتب ان يندمج في شخصية البطل التي يمثلها في قصته ، وان من أهم أسباب نجاح كتاب القصص تحدثهم عن أبطال قصصهم بما يجعل القارئ يحس كأنه يسمع لنجوى الكاتب نفسه !!!

يحفظ « اللوح » فله مكافأة سنوية وكلمة طيبة رضية ، أما المكافأة
فهى بده الذابلة ، الملوثة ببقايا « النشوق » يمدّها إلى فمى لأقبلها
دليلاً على رضاه ، وأما الكلمة الطيبة الرضية فهى : « الله يفتح
عليك وعلى والديك »

و....

- بكره ياواد تحفظ اللوح الى بعده... سامع؟ بموتك اذا
محفضتوش!

- حاضر ياسيدنا

ثم أقوم من بين يديه مرتجفا لهول الغد خائفا من وعيده .
فاذا جاء الغد - وقد كان يحىء سريعا - ولم أكن حفظت
اللوحة فأعوذ بالله من جريده التى كان يضعها فى القرن لتنفث
فيصبح فعلها فى الاجسام كفعل الشياطين ، فلم يكن ثوبى الصوفى ،
أو الحريرى الغالى ، ولا حذاءى النظيف يشفعان لى عنده ،
وكانت كلمة « اطرحوه أرضا » التى تخرج من فمه فى مثل هذه
الحالة تكفى لأن تفكك أوصالى وترجف مفاصلى فأكاد أنطرح
أرضا قبل أن يتسلبنى عملاقه القويان اللذان كان خصصهما لشد
أرجلنا والضغط على أنفاسنا وهو يعمل الجريدة المقددة الملهبة فى
أقدامنا وكنت أتملّل بين أيديهما وأتمرغ فوق التراب لفرط
الألم من وجع الضرب حتى تكس ثيابى الغالية أرضا المستوقد
القذر الذى كان يطلق عليه فى القرية اسم « الكتاب » وأعود إلى
البيت أجز رجلى جرا والحذاء فى يدي . لأن الورم الذى يكون
قد أصابها لا أستطيع معه لبس الحذاء... أجل! كان سيدنا الشيخ

عبد الخالق يحب قهوة البن اليمنى الاصلى والدخان السمسون
المخلوط بالنترال ، ويحب أيضا الحلاوة الطحينية التى كان والدى
يأتى بها من البندر مع البن والدخان وبقية لوازم البيت.

... وكنت أظفر بتقويل يده الكريمة وسماع كلمته الطيبة
الرضية كلما ظهر نقص هذه الاشياء فى منزلنا بسرعة وعوقب
الخدم على سرقتهم لهذه الاشياء . ولم يكن يبعد أن أكون «أنا»
فى بعض الاحيان شاهد اثبات ضد هؤلاء الخدم اللصوص !!!
الذين يسرقون الدخان والبن والحلاوة ليققسموها فى « دار
الضيوف » بعيدا عن « الحريم »

- والله العظيم ياستى ما سرقت حاجة وأنا شايف سى عبد الله
شايلى فى ايده الحاجات دى ومخبياها فى مخلة المصحف
- اخرص يا حرامى سيدك عبد الله عمره ما يسرق حاجات
زى دى

- طيب ياستى وحياة شرفك عمرى ما سرقت حاجة يخونى
العيش والملح ياستى
.... ويخرج المسكين موصوما بوصمه السرقة ! ، وأخرج
أنا من عند سيدنا الشيخ عبد الخالق مقبلا يده « الكريمة » ظافرا
- « الله يفتح عليك وعلى والديك »

كانت القرية هادئة ساكنة ، وكان الظلام يلف البيوت
الصغيرة فى غياهبه ، فلا تعرف مكانها الا بالضوء الخافت الضئيل
الذى ينبعث أحيانا من نوافذها ، وكان والدى فى هذا المساء يجلس

ومن حوله نفر من أصدقاء وذوى الحاجات عنده ، وكنت
أجلس قريبا منه فى انتظار سيدنا الشيخ عبد الخالق الذى كان على
موعد مع والدى ليأخذ منه « الختام » والختام هذا هو عبارة
عن ثلاثة جنيهات أو خمسة وملابس « نصف عمر » يأخذها
الفقيه اذا أتم حفظ القرآن لاحد تلاميذه

... وحضر سيدنا الشيخ فقرأ الفاتحة ووهب بركتها الى
البيت وأهله ثم تناول « الختام » ودعالى بطول العمر والنجاح
والفلاح ثم انصرف

أما والدى فقد التفت الى وقال : « وصية أبويا يا ابنى الله
يرحمه انى أمميك باسمه وأدخلك الازهر » وكنت أرى
« المجاورين » يعودون الى القرية بعد نهاية العام فى ثياب نظيفة
وعمائم موقرة ، وأرى الناس يحملونهم ويقبلون أيديهم ، وأراهم
يعضون الناس فى المساجد ويخطبون خطبة الجمعة ، فنفق قلبى
لكلمة والدى فرحا وتمثلت نفسى فى آخر العام كهؤلاء المشايخ ،
وفرحت مقدما بالقفطان الحرير الذى سألبسه ، والعمامة التى
سأزين بهارأسى وعودتى الى القرية بعد عام باسم « الشيخ عبد الله »
ثم تذكرت جريدة سيدنا الشيخ عبد الخالق وكيف أننى نجوت
منها !! تمثلت كل ذلك فهو ولت الى البيت أحمل لوالدى بشرى ذهابي
الى الازهر

تسلمنى الشيخ محمود .. كبير مجاورى القرية من والدى ..
وتسلم هو النقود التى سينفق على منها .. ووصلت الى العاصمة

لأول مرة في حياتي فحسبت بها «مولدا» من الموالد، لكثرة الزحام الذي رأيته، لكن هذا المولد لم ينفض الى اليوم. وعلمت بعد ذلك أنه يزيد على الايام ولا ينقص

شعرت بوحشة الغريب في البلد النازح، وكان ذلك أول عهدي بالاغتراب، وتذكرت دموع والدتي ساعه غمرتني بقبلاها يوم الرحيل فزاد ذلك في وحشتي واكتئابي

.. وراعني أول ماراعني مسكن قذر موحش نزلنا به يطلق

عليه اسم: «الربع» ونمت ليلتي الاولى على حصير بال، تتمشى

الحشرات من تحته ومن حوله، فقضيت الليل كله ادفع هذه الهوام

وهي تدفع النوم عن عيني، وكيف لمثلي في مثل هذه الليلة أن ينام؟!

وشكوت للشيخ محمود ما عانيت في هذه الليلة صباحا.

وسأله «بعبط»: متى تشتري لى «سريرا» أنام عليه ومتى

تحضر الخادم الذى سيقوم بتنظيف البيت وإعداد الطعام؟؟

ولشد ما كانت دهشتي حين حلق في وجهي وقال:

سرير؟ خدام؟. يا خبر اسود! أنت فاكر انك في البلد،

لا لا يا حبيبى كلام زى ده مفيش سيبك من «الدلع» بتاع بيتكم

أنت هنا مجاور. العلم ما يعرفش الكلام الفارغ ده

- لكن يا عم الشيخ محمود معرفش انام على الحصيرة

- كلام واحد ما فيش غير كده، ولازم تعرف كان انك

حتشتغل هنا فى عمل الاكل وتنظيف البيت. اختارك واحد من

اخوانك المجاورين الى معانا علشان يشيل وياك دور فى الشغل

كل اتنين مع بعض يشيلو أسبوع

بكيت ماشاء الله أن أبكي ، وأرسلت لوالدي خطاباً مبطلاً
بدموعي أشكوه فيه آلامي وأحزاني ، فكان رده - وآسفاه -
أن لا بد أن أَرْضَخَ لا وأمر الشيخ محمود ولا بد أن أنسى حياة
البلد مادمت قد رضيت أن أكون « مجاوراً » وإلا فلا بركة ولا
يفتح الله علي إذا أنا لم « أزهد » في نعيم الدنيا . وكذلك كان يفعل
كبار شيوخ الأزهر رحمهم الله . ولست أنا أعلى منهم قدراً ولا
أجل خطراً

وبقيت أعارض وأعارض حتى دب اليأس إلى قلبي واستسلمت
لقضاء الله الذي لا يحمد علي مكروه سواه وبعد شهر كنت
بالتدريج وعلى طول الأيام قد أصبحت « مجاوراً » مستقيماً ، زاهداً
في نعيم الدنيا ، عارفاً لواجبي في حلقة الدرس وفي تنظيف البيت
وإعداد الطعام على السواء .

لكن شيئاً واحداً كان ينغص على صفائي ويكدر عيشتي -
ذلك هو احضار « الطرشي » كل يوم من محل « طرشجي باشا »
الذي كان يحتم علينا الشيخ محمود أن لا نشترى إلا منه ، لأنه يعرف
تاريخه المجيد ، ويعرف كيف أنعم عليه أفندينا بهذا اللقب جزاء له
على اتقانه عمل الطرشي وخصوصاً الليمون المخلل الذي ينفرد
باجادة تخليله وحشوه بالتوابل والشطة الأصلي .. وكان هذا
الطرشجي باشا دميم الحلقة شرس الاخلاق يوقفنا صفا متراساً
نحمل في أيدينا « السلاطين » الفارغة انتظاراً لدورنا ، والويل كل
الويل لمن تحدثه نفسه بالخروج من الصف ، أو مزاحمة الذي قبله .

وكان جزاء من يفعل ذلك لعن « سنسفييل » جدوده وحرمانه من
نعمة الحصول على الطرشي ، وكذلك كان الزبون الذي يطلب تغيير
اللفت أو الجزر يبصل أو ليمون لا يجاب إلا برمي « السلطانية »
فوق رأسه بما فيها

كنت أخاف من هذا الرجل وأقف أمامه « مؤدبا » خاضعا
لأوامره . وكنت أحمل الطرشي وأسير من الدرب الأحمر إلى
البيت في باب الفتوح ، وهذه المسافة يقطعها « الحمار » السريع فيما
لا يقل عن ساعة ، وكنت إذا تأخرت في الطريق قليلا نالني من
غضب الشيخ محمود وشتائم ما لا قبل لي باحتماله ، ويكون سبب
تأخرى - في العادة راجعا إلى معاكسة الاطفال العفاريات لي في
الشوارع التي أمر منها والحواري والدروب التي اجتازها ،
فقد كان يحلو لبعضهم أن يشد طرف ثيابي على فجأة ويصيح
بي هازئا .

يا مجاور عمّتك دابت م الطرشي والبول النابت
ويحدث أن أهتز لهذه الحركة المفاجأة فتقلب « السلطانية »
بما فيها على ثيابي فيزداد هرج الاطفـال حولي وتنظم حلقتهم
صائحين فرحين فبرتلون نشيدهم المحبوب :
يا مجاور عمّتك الخ...

وأعود إلى طرشي باشا لا اشتري غير الذي زين ثيابي بالبقع
ذات الألوان المختلفة فاسمع منه ما يشاء « الكيف » أن أسمع
من التنكيت والضحك على عودتي له مكسوبا « مبلولا »
لذلك صممت على أن أقوم بكل أنواع الشغل في البيت نظير

أن يقوم زميلي عنى بهذه المأمورية الثقيلة . وفرح زميلي الشيخ
عبد الشافي بهذه القسمة فكان لا يفعل أكثر من إحضار الطرشي
كل يوم وعلى بعد ذلك كل ما يتطلب البيت من كنس وتنظيف
أطباق وانضاج طعام... كل ذلك كنت أنعله راضيا بما قسم الله
لي لانه في داخل البيت ولانه بعيد عن وجه طرشجي باشا
ومصائبه

يارب السماء!!! ويا خالق الحب ، سبحانه جلت قدرتك
وعمت رحمتك أنا « الشيخ عبد الله » الغارق في هذه الهموم بين
حفظ الفية ابن مالك واستظهار دروس النحو والصرف
والتوحيد والفقه والمنطق وبين شقاء البيت وغسيل الاطباق
وانضاج الطعام تأبى رحمتك السماوية الا أن تبعث الى من تشفق
على و... وتحبني!!!

كانت هذه الجارة الرحيمة تطل على من نافذتها - وأنا لا
أراها - فيذوب قلبها رحمة بي وشفقة كلما رأتني أخلع ثيابي التي
كانت تمتاز عن ثياب زملائي بغلائرها ونظافتها ثم ، أبدأ عملي في
تنظيف الاطباق واعداد الطعام ، وكانت ترى وجهي المشرق
الباسم تعلوه طبقات من الغبار بعد الكنس ودخان الكانون بعد
تهيئة الاكل

وما كان أشد دهشتي وفزعى حين دخلت على في ساعة كنت
فيها وحدى منكبا على عملي قبل أن يحضر رفقاءي من الجامع
لتناول طعام العشاء

طرقت الباب ثم دخلت وانا على هذه الحال الزرية فنجلت
وأطرقت برأسي دون أن أتكلم ، وأرادت أن تزيل وحشتي
فابتسمت قائلة :

- سعيدة يا سى الشيخ
- سعيدة يا ستي اتفضل
- اتفضل إيه يا اخويا هو انتم تعرفوا تطبخوا؟
- أهو على قد الحال
- لا ، بكره وانا آجى أطبخ لك علشان تشوف الفرق بين
طبيخى وطبيخكم

وشكرتها على ذلك بعبارة متلعثمة ثم تلسكات قليلا وانصرفت
إلى مسكنها وظلت ترمقنى من النافذة باسمه متلهلة الوجه
وأقسم بذكري هذه الايام السحيقة اننى لم أر وجهها فى ذلك
اليوم إلا لما ، ولقد أعمانى الخوف والاضطراب فلم أتبين
ملاحظها ولم أقو على متابعة النظر اليها . ولقد أخفيت عن رفقاى
هذه الزيارة التى بوغت بها

وانتهزت فرصة خلو البيت من زملائى فى اليوم التالى
فحضرت .. وقامت عنى بكل مشاغل البيت وأنا بجانبها ذاهل من
فرط أدبها وجم تواضعها احدثها حديث الخائف المشدوه
حضر الرفاق فأكلوا هنيئاً وشهدوا لى بالتقدم فى صنع الكوسة
واتقان الصلصة

.... توالى الأيام والزيارات وأنضجت أحاديثها الحب فى
قلبي بأسرع مما كان الكانون ينضج الطعام ونحن بجانبه نتحدث

ونتحدث !!

ولقد كان رفاقي يبالغون في إطرائي ويبدون إعجابهم باستقامتي وزهدى في الخروج من البيت وحي للاستكانة والعكوف على مذاكرة دروسى مع النشاط المنقطع النظير فى كنس غرفة النوم والعناية بتنظيف الحلال والاطباق ومسح البلاط ، وكانوا يرون البيت كل يوم فى تحسن مستمر وصقل وبهاء ، فاذا انقضى الاسبوع المخصص لعملى مع زميلى الشيخ عبد الشافى عاد البيت إلى سابق حاله من قذارة وتشويش . وكنت أتحرق شوقا لاسبوعى الذى تخصصت للعمل فيه لأننى كنت فى الحقيقة قد تفتح قلبى لجارتي الرقيقة الشابة المليحة ، وكان ذلك أول عهدى بالحب فكان حبا عنيفا جارفا يهز كل مشاعرى هزاً قويا . وكنت أذهب لحلقة الدرس شارد اللب ذاهل العقل ، لا أعى مما يقول الشيخ شيئا ، فاذا ذكر بيتا من الشعر يستشهد به على قاعدة من قواعد الاعراب ، وكان هذا البيت غزلا تذهت لمعناه حواسى ، ورحلت أناقش الشيخ فى معناه مناقشة حادة ، ثم ينصرف الحديث من البيت الشعرى إلى بقية موضوعات الدرس فاعود إلى سابق ذهولى وإطراقى ، لا أفكر إلا فى الجارة العزيزة وما غمرتني به من حب وعطف وحنان ، ومنذ ذلك الحين أحبت الشعر وأقبلت على قراءته ، وابتعت ديوان البهاء زهير فوضعت بين كتي الازهرية . ولم أكن أعلم ما خبا القدر

حضر والدى من البلد فجأة ، ودهشت لحضوره على غير عادة ، ثم اجتمع الرفاق مساء وجلسنا صامتين ، ثم دار همس بين والدى وبين كبيرنا الشيخ محمود .. لم أكن أعرف لهذه المباغته معنى ، لكن قلبي كان يحدثني أن الصاعقة ستنقض وأن خبر الجارة المحبوبة قد اتصل برفاقي فأجمعوا أمرهم على إحضار أبي لاطلاعه على جلية الامر ، وقطع هذا الصمت الرهيب صوت الشيخ محمود الأجلش قائلاً .

« ابنك يا سيدنا الافندى فسدت أخلاقه ، ابنك اتبع هواه وخالف الشرع ، ابنك في غير عهدتنا من اليوم »
أما انا فقد مادت بي الارض وتولاني الفزع وعقد الهلع لساني فلم يفتح الله على بكلمة أقولها
وأما والدى فقد سأل الشيخ محمود عن السبب الذي جعلهم يعتقدون في هذا الاعتقاد ، فنظر الشيخ محمود إلى نظرة فاحصة ثم قال : « السبب يا سيدنا الافندى موجود في الشباك الشرقى من هذه الغرفة »

وكان هذا الشباك هو الذى تطل على منه الجارة العزيزة ، فلم اكده أسمع هذه الإشارة حتى أحسست كأننى أزفر قطعاً من قلبي متناثرة لهول ما أسمع
وقال والدى للشيخ محمود « اننى لم أفهم معنى ان سبب فساد أخلاقه موجود فى الشباك ، فوضح لى حقيقة الامر »
عندئذ قام الشيخ محمود نحو الشباك الشرقى بخطى مسرعة ، ووقف أمامه وقال :

« هنا سبب فساد أخلاق ابنك ، هنا المنكر مجسم بفصه ونصه ،
ومد يده إلى الشباك وظل ينثر كتي هنا وهناك ، ثم تناول من
بينها « ديوان البهاء زهير » وراح يلوح به في الفضاء ويقول . هذا
هو السبب يا سيدنا الافندي في الفساد . الشريعة السمحاء تنص
على سنية الضوء بعد قراءة الشعر وما ذلك إلا لأن الشعر من
المنكرات ، قال تعالى : والشعراء يتبعهم الغاؤون ، وقال تعالى .
وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وراح الشيخ سامحه الله يهذي
بهذا الاتهام السخيف . وكنت قد تنفست الصعداء حين علمت
أن كل ذنب في نظره اني أحمل ديوان شعر البهاء زهير ، وكأن
والدى لم يعجبه هذا الاتهام ولم يقنعه دليله فاكتفى بتأنيبي وتناول
الديوان من يد الشيخ محمود فمزقه ثم رمى به خارج البيت
الحق ان دهشتي كانت بالغة حين علمت أن قراءة الشعر
واقضاء ديوان منه يستوجبان هذه الضجة الصاخبة والمباغلة القاتلة
التي بوغت بها ، على اني حمدت الله الكريم على أن نجاني من
فضيحة الامر « الاله » وعولت على أن اقطع صلتى بجارتي
المحجوبة مهما كلفني ذلك من وجعة وألم
عاد والدى إلى البلدة ، وعدت إلى دروسى مكتئبا حزينا ،
ومرت الايام بطيئة الخطى متلكئة في سيرها حتى جاء الاسبوع
المبارك اسبوع عملي بالبيت ، وتخيرت صاحبتى الوقت المناسب
ودخلت على عاداتها مهلملة الوجه باسممة الشغل تحيىني وتعبث
بشعرى وهى جالسة إلى جانبي تدني فمها من فمى وتلف ذراعها
حول عنقي وتطيل النظر إلى وجهى ، وانا فى هذه المرة خائف

مذعور يكاد الخوف يذهب بعقلي !! كل ذلك وهى إلى جانبي
تشد يدها على يدي تارة وتدنى جسمها من جسمي تارة أخرى
فلا أزداد إلا خوفا واضطرابا . وسألتني عن سبب هذا الاضطراب
فأخبرتني بحضور والدي من أجل أنني « اقرأ الشعر » فكيف إذا
علم رفاقي أنني بجانب امرأة اغازلها وتغازلني . لم اكذ انطق بهذه
العبارة حتى تولاهما وجوم قائم ، وظلل وجهها المشرق الجميل
طيف من الهم والحزن ثم قامت متخاذلة صامئة إلى الباب وبقيت !!!
ولا تسئل كيف بقيت !!!

لم اطق صبرا على فراقها ؛ ولم تطق صبرا على فراقى ، والتقينا ،
ثم ظل اللقاء بيننا يتوالى وترتفع حرارة الحب فيه مرة بعد أخرى
حتى غطى الحب على اعيننا فلم نعد نرى شيئا في هذا الوجود
سوى ظلاله الفيئانة الوارقة

في اجازة (المولد النبوى) حيث سافر الرفاق الى البلدة ،
وبقيت بحجة معالجة عيني التقينا ، وليس في البيت من رقيب !!
يا لها من ساعة حافلة بشتى المناظر والتهاويل والصور ! يا لها
من ساعة مفزعة مرعبة ترتعد لهولها الابدان وتذهل العقول !
... كانت قد حضرت كعادتها كل يوم ، وكنت ارتقب
حضورها بلهفة وشوق ، وجلسنا والحديث العذب يذهب بنا
قريبا وبعيدا ! وطال الجلوس ، وامتد نفس التول ، وتلامست
الشفاه ، والتفت الاذرع ، وسرت حرارة الجسم في اوصالنا ،
واتهبت انفاسنا ، ورن صوت القبلات الحارة العميقة ، وحال

التداني الى عناق!!

في هذه اللحظة - ويا لهول هذه اللحظة - ففتح باب الغرفة
بمدفعة عنيفة قوية . ودخل منه رجل اشيب الرأس ، غائر العينين
ناحل البدن ، يتطاير الشرر من عينيه الغائرتين ، فمد يده الناحلة
الهرمة فقبض بها على يدي ، ومد يده الاخرى فقبض بها على يدها
ووجمت لا أنطق بكلمة ، وتولاها الخرس فلم تتحرك شفهاها بغير
الهمهمة والالنين الذي كان يشبهه حشرة الموت : أما هو فقد
عرفت من الحديث انه زوجها ، وأنها تبغضه لانها غادة وهو
عجوز متهدم ، ولان أهلها أرغموها على الزواج منه لانه (ساعاتي
ويكسب)

... وبدأ الزوج يتكلم - ويداه قابضتان على يدينا - فقال
بعد أن ارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء حانقة :

- لا ، لا ، متخفوش ، بس رايح أحكي لكم حكاية صغيرة
مش عامل فيكم حاجة أبداً ، مرة من ذات المرات فات (الوالى)
بالليل في حارة من الحوارى وهو متخفي علشان يفتش على شئون
الرعية وبعدين بص وجد واحد بيخبط على باب من الابواب
بشويش جداً ، وبسرعة بص وجد الباب اتفتح ودخل فيه اللي
كان بيخبط ، وبعدين الوالى قلبه حس بأن الراجل اللي دخل ده
مش صاحب البيت ، ولأزم يكون في الامر شىء !! فضل واقف
الوالى شوية بعد شوية ، وبعدين لقي راجل تاني جاى يخبط انما
تخبط بجرأة وتأكد الوالى ان ده هو اللي صاحب البيت بحق
وحقيق . قام الوالى ناداه وقال له :

- اسمع يا راجل أنا الوالى وفيه راجل دخل عندك في بيتك
من مدة نص ساعة . روح اهجم على البيت اذا لقيته مع مراتك
اقطع رأسه وهاتها لى هنا
حاضر يا مولانا أمرك مطاع

وبعدين دخل الراجل وجد الشخص ده مع مراته ، وبعد
شوية خرج للوالى شايل راس القتيل . بص الوالى فى الراس
وجدها راس امرأة . صاح بالراجل :

أزاي عملت يا شيخ ؟ ! دى راس المرأة مش راس الراجل
فقال له والدم نازل من الراس يتساقط على جبة الوالى :

أيوه يا مولانا دى راس المرأة لانها أصل الشر ، اذا كنت
سمعت أمرك وجبت راس الراجل مين كان يضمن لى أن مفيش
روس ثانية تتوجد عندها . ولكن لما راس المرة تنقطع يبقى
مؤكد مفيش حد بعد كده يخش هنا تانى

آدى الحكاية بابنى - قال ذلك وكان لا يزال قابضا بيديه على
يدينا . وكنا قد ذهلنا وتفككت أوصالنا - وانتهى من قصته
ثم ترك يدي فجأة وقبض على عنقي قبضة كادت تزهق لها روحى
ودفعنى نحو الحائط وقال

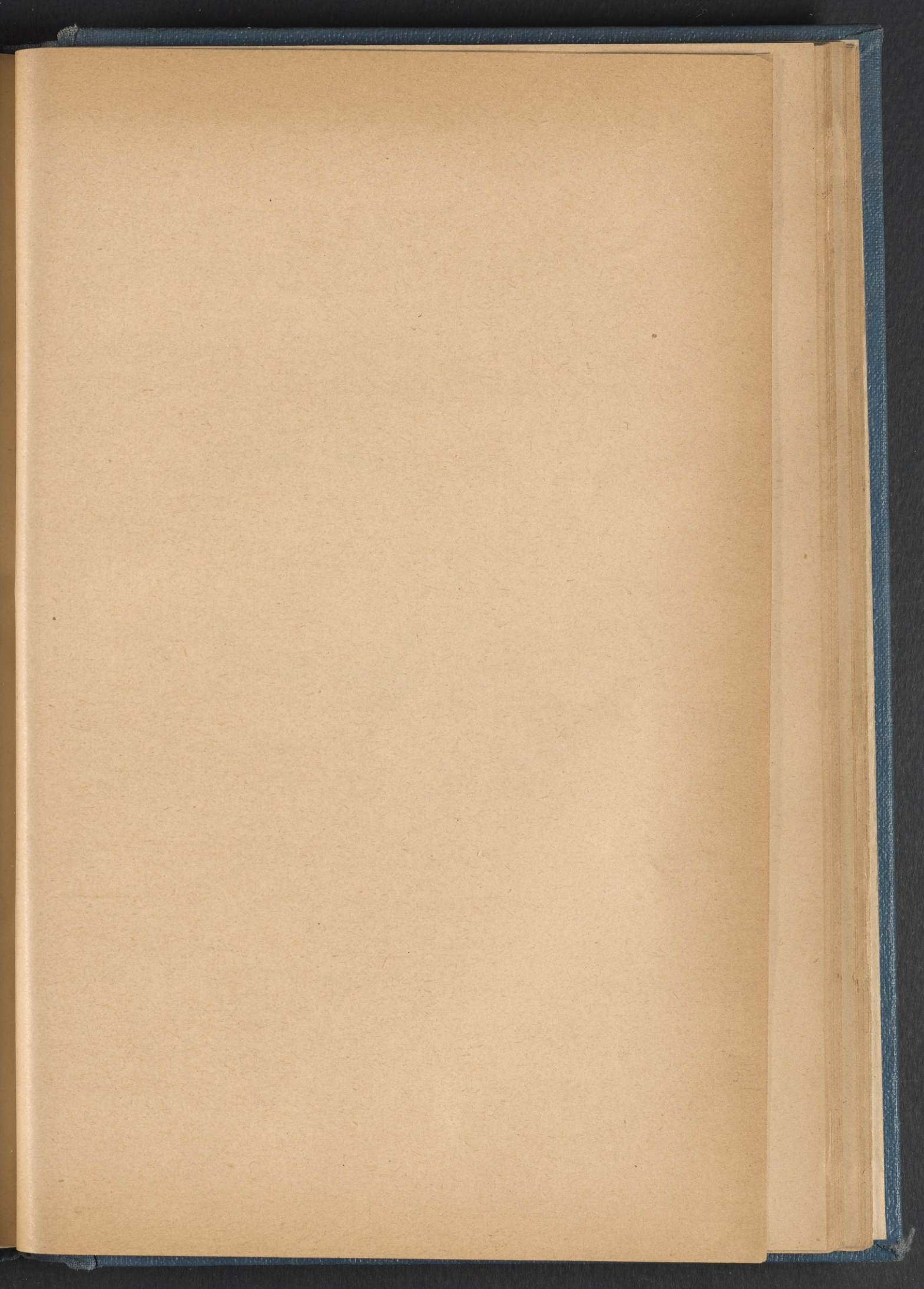
راسك دى أسلم بها ، الذنب مش ذنبك ، أما الراس الثانية
دى - و كان قد قبض بكليتا يديه على عنق زوجته - مكذش
راجل من ظهر راجل اذا خليتها تفضل متصلة بالجسم النجس ده
قال ذلك وهو قابض على عنقها يجذبها إلى ناحية الباب ،
وخرجا يتعثران فى خطاهما !! وشاء القدر الا أرى اول وجهه

أحبته منذ ذلك الحين

وظهر في الصحف بعد أيام قصيرة هذا الخبر الموجز البسيط !!
الذى لا يحفل به كثير من الناس :
« عثر البوليس ليلة أمس على رأس امرأة مفصولة عن
جسدها ، وقد شوه الجاني وجهها حتى لا يتمكن أحد من معرفة
شخصيتها »

تتابعت الايام بسرعة ، وتطلعت نفسه الى « مدرسة القضاء
الشرعى » فانتسب اليها ثم نال شهادة العالمية ، وانتسب إلى الجامعة
المصرية فى عهدى الاول ، وأحب الأدب وهام به ، وخطامع
الزمن كما شاء أن يخطو
وصار « الشيخ عبد الله » عبد الله افندى ، ثم كان الادب له
حرفة فلقبه العرف المتواضع بالاستاذ
وجلس يكتب « أيامه الاولى » أو « حبه الاول »
وينسى كل شيء .. لكنه لا ينسى جارتة العزيزة .. وارجمته !!!





السماز الاعمى

كنت يا فعا لم أبلغ الخامسة عشرة وكنت أقضى شهور
العطلة المدرسية في قريتنا الصغيرة أياما ، وفي بندر ميت غمر
مركزنا أياما أخرى ، وكان خالي عمدة البندر شابا طيب القاب
يعطف على المساكين والفقراء ويواسيهم ، وكان محبوبا من أهل
البلدة جميعا فهم يحملون له كل محبة واكبار واجلال

وانى لأنسى كل شيء ولا أنسى ذلك الشيخ الضير البائس
الذى كان يجلس متهاككا على نفسه فى منعطف شارع البحر الذى
يمتد من المحطة وينتهى عند كوبرى زقى حيث يستدر رحمة
الناس بكلماته الحزينة البالغة :

- لله يا أسيادى !! الله ما يعرى لكم جسد لله يامسلمين

الحسنة فى العاجز حلال !!

... وأنظر الى جسده العارى يهزه المرض وإلى رجله
المربوطتين باللفائف الكثيرة فأتمثل سقامه وجروحه ! ويتتأبى
لهذا المنظر ألم أحس به يتمشى بين أوصالى ويتناول بالرجة كل
جوارحى واحساسى ، واذ ذاك أجذني مدفوعا اليه بدافع الشفقة
فأضع فى يده الممدودة قرشا أو قرشين قد لا يكون فى يدي
سواهما . وتمر الاعوام تباعا ، وكلما عدت الى البندر ورأيت
فى مكانه لا يتحول عنه ولا يتغـير حاله ، فصوته هو صوته
المرتجف ، وكلماته هى كلماته الحزينة المؤثرة ؛ وفعل منظره فى

النفوس هو هو لا يزال بالغاً يستدر الرحمة والشفقة من أقسى
القلوب وأغلظ الأكباد

وكنّا نخرج للنزهة أصيل كل يوم على شاطئ النيل فنلقاه في
مكانه المعهود ، ويميل بعضنا إليه بالصدقة يتلوها دعاؤه الحار
وضرأته إلى الله المؤثرة البليغة

وقصدنا إلى النزهة بعض الأيام ، وكنت في صحة خالي
ورحط من موظفي المحكمة والمركز ومن بين هؤلاء مفتش
الصحة المرحوم الدكتور عبد الله بك شقير ، وكان طبيباً موصيماً
يعطف على الفقراء ويمد اليهم يد المساعدة ويقوم بعلاجهم مجاناً
واذ نحن سائرون على شاطئ النيل . وقف الدكتور فجأة وأخذ
ينظر إلى ذلك الشيخ الضعيف المسكين نظرة حائرة ثم دنا منه
ومد إليه يده بالصدقة فوضعها في يده ثم التفت إلى « التومرجي »
الذي كان يسير من خلفه فأمره أن يحمل هذا المريض البائس في
عربة إلى عيادة المركز حتى يعود فيتعرف داءه ويصف له العلاج
ولقد تولتني الدهشة حين رأينا الشيخ الضعيف ينتفض لهذا
الخبر انتفاضاً ويتضرع إلى الدكتور أن يدعه في مكانه :

- الله يستر يا بيه تسيبني !!

- يار اجل انت عيان وفيك جروح مزمنة لازم نعالجك

- معلمش يا بيه اعمل معروف الله مايرقدلك جته تسيبني

- انت يار اجل مجنون فيه واحد عيان ومليان جروح ويلاقي

الحكيم اللي يعالجه ولا يرضاش

- العيادا يا بيه حملة سيدي المتولى ومكتوب على بحكم قطب

الوقت المتولى وحرام مداويته

وعجبنا جميعا لهذا الحديث الغريب وهذه التصريحات التي لا يفهم لها معنى وزادت رغبتنا في أن ينقل هذا الضرير البائس إلى العيادة شفقة عليه كيلا يقضى عليه تحت تأثير هذه الخرافات التي فاه بها لاننا لم نكن نعتقد أن أمراضا تحمل بجسم انسان عقابا له على ذنب ارتكبه! ولم نكن نؤمن « بدروشة » هؤلاء المجاذيب الذين يدعون أجسامهم فريسة الامراض تفتك بها وهم يعتقدون أنها « حملة سيدى المتولى » وكل ما نستطيع أن نفهمه أن أمامنا مريضا يكاد يقضى عليه المرض وأن بجانبنا طبيباً رحيم القلب يتطوع لخدمة الإنسانية في شخص هذا المريض والمريض يأبى أن يعالج بسبب خرافى وهمى . هذا هو الموضوع في ظاهره لا يدع مجالاً للتردد في مساعدة الطبيب على أداء واجبه

وأشار الدكتور إلى « التومرجى » أن يحضر عربة مسرعا .

ووصلت وحمل الشيخ المريض اليها وهو يتململ بين يدى سائق العربة والتومرجى ويصيح متضررا : « أنا فى عرضكم تسبيوني ، أنا سائق عليكم النبى محمد ! » ومضت به العربة إلى العيادة ، ومررنا بها فى صحبة الدكتور بعد أن قضينا نزهتنا فاستوقفنا صوت الشيخ وبكائه فصحبنا الدكتور الى العيادة لنرى ونسمع من شأن هذا الشيخ إلى النهاية

واقترب الدكتور من الشيخ المريض وأمر مساعده أن يزيج عنه بعض ثيابه ليتسمع إلى دقات قلبه ففرع الشيخ حين دنا منه المساعد وراح يصيح « أنا مش عيان » أنا فى عرضكم ترحمونى !!

واستمر الدكتور يحس نبضه ويتبين علته وهو لا يزداد الا
صياحا وعويلا

ثم جاء دور جروحه ولفائف رجليه فأخذ المساعد يحاول فك
عقدها الكثيرة الملتوية والرجل ينتفض بين يديه ويزداد صياحه
وصخبه ، ورأى الطبيب أن مساعده سيبطيء في حل هذه
اللفائف المعقدة فتناول مشرطه وأخذ يحزبه اللفائف جزا فهاذا
رأينا ؟ رأينا الذهب يسيل من جروحه بدل الدماء !!

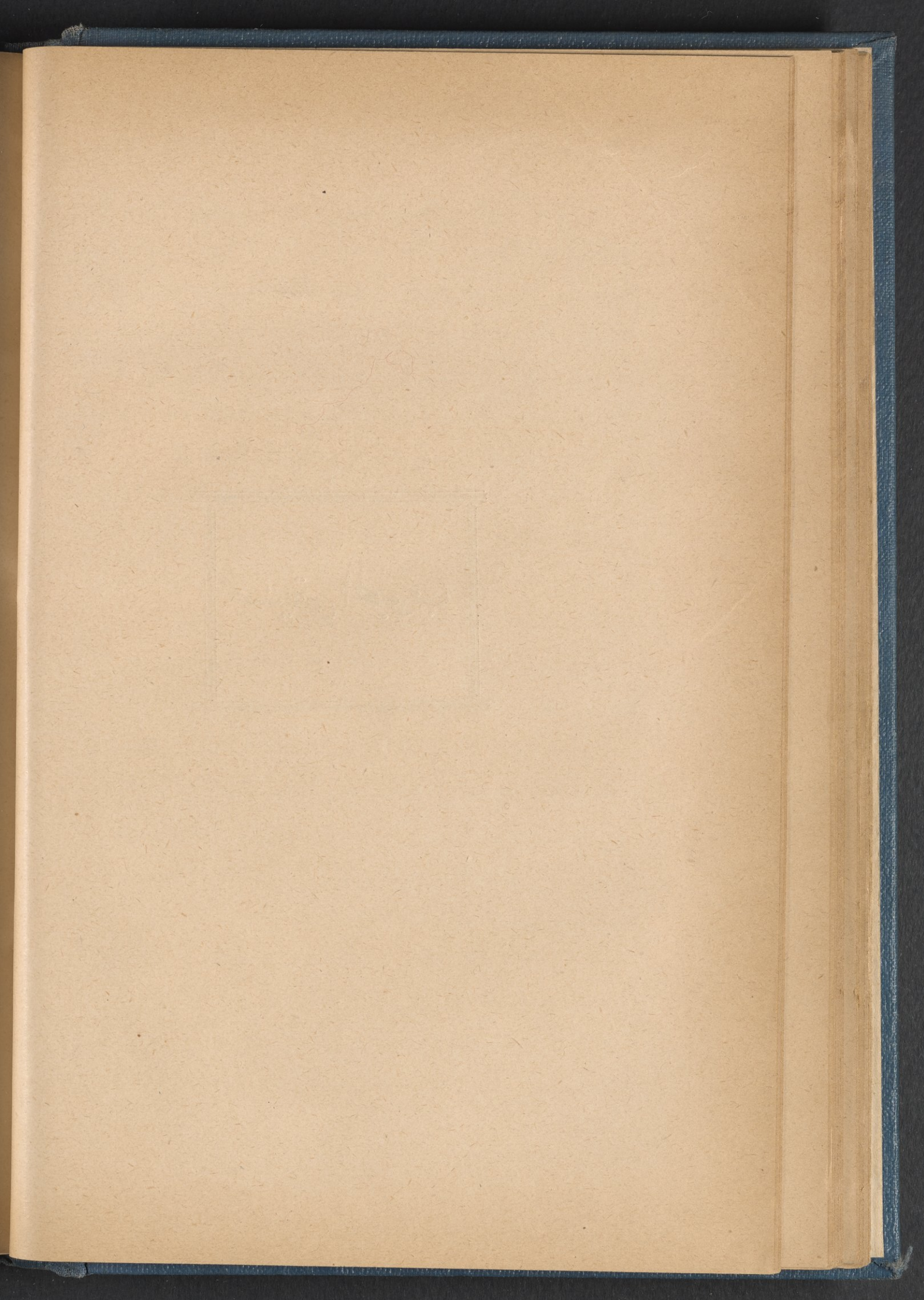
رأينا الجنيهات تتساقط من هذه اللفائف على بلاط الغرفة
فيحدث رنينها الجميل في آذاننا لحنا شجيا

وذكرنا « حملة سيدى المتولى » فالفيهاها « حملة ذهبية » تتمنى
جميعا أن تصيبنا فلا تدع منا عضوا سليما

وذكرنا صياح الرجل وتململه وهو يحمل الى العربة فعرفنا
سر امتناعه عن العلاج ؟ !

وأخيرا ذكرنا قروشنا التي تجمدت على مر السنين فصارت
جنيهات صفراء رنانة وأحصيت هذه الجنيهات فاذا هى تبلغ نحو
خمسمائة عدا حماتها الشيخ في رجليه بين اللفائف الكثيرة ومشى
يتهالك على نفسه لامن فرط الداء بل من شدة الاعياء طوال
هذه السنين .

صديقى المحبوب



صديق المحبوب

ايس «محبوباً» منى ، لكنه محبوب - كما يقول - من الانسة
رتيبة الراقصة الصغيرة فى إحدى صالات الرقص بشارع عماد
الدين ، فهى تحبه جداً ، وتذرف الدموع الحارة الغزيرة فى حبه
كلما غاب عنها ، وهو لا يقوى على هجرها لانه لا يرضى أن يكون
غادراً بغادة جميلة فاتنة تتماصر دون حبها أعناق الشباب !!!
وهذا الصديق «س» طالب فى السنة النهائية بكلية الحقوق ،
فى السادسة والعشرين من عمره أسمر اللون ، مضطجع العينين ،
طويل الوجه ، مفرطح الرأس ، لا تبهرك من مجموعة شكله بارقة
وسامة أو سائحة جمال ، وإذا تحدث اليك فى شأن من الشؤون فما
شئت من ثثرة واضطراب وأدلة ينقض بعضها بعضاً ، ولست
أعرف لهذا الاضطراب الذهنى فى رأسه من سبب سوى ولعه
بأن يكون «حقوقياً» لا يشق له غبار !!! وهو قريب العهد بحياة
اللهو والمجون «وزبونا» جديداً للملاهى عماد الدين الحافلة بشتى
ضروب الخداع والمكر والاغراء ، فإذا مشى إلى بار
الكوزموغراف واضعاً يده اليسرى فى جيب بنطلونه رافعا بها
طرف الجاكته متهادياً فى مشيته النصف العرجاء حسب عيون
الممثلات والراقصات تشتعل وجداً عليه ، ويسير بخطوات بطيئة
الى أن يصل الى ركن منعزل عن الناس فى حياء مصطنع وخجل
متكلف ظنا منه أن هذا المظهر الذى يظلمه الخجل والحياء يجب
فيه الفتيات أو بعبارة أدق وبنص تعبيره هو (المشى بالشكل ده

خليهم يطبوا)

كان هذا الصديق منذ عامين اثنين فتي مجداً عاملاً لا يقصر
في واجبه المدرسي ، وكان ذكياً مستظهِراً دروسه على أحسن
ما يكون الطالب المجتهد ، وهو لاجل ذلك ظل حافظاً منزله بين
أخوانه في المدرسة فلم يلحظ عليه أحد - بادىء الأمر - ما يريب
أوشين

وسقته فرصة سعيدة - أول عهده بالدراسة العالية - الى
التعرف بصفوة مختارة من الاصدقاء كلهم أديب ، وكلهم مهذب ،
فأحاطوه برعايتهم ، وظلّوه بعطفهم ، ولازمهم عامين كاملين فغشى
معهم المحافل العامة ، والاعراس المنبانية ! وأخذ عنهم الكثير
من آداب المجالس وواجب اللياقة وتطلع اليه زملاؤه الاقدمون
في مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فاذا هو انسان آخر غير
الذي درجوا معه وشبوا على مصاحبته ، ذلك لانهم كانوا أحياءه
وعشيرته ، وكانوا رفقاءه في الدرس وفي فسحة الساعة ١٠ وفيما
بعد الخروج من المدرسة حيث يذهبون الى منزل صديقهم
عبد الفتاح فيجلسون أمام المنزل باحدى حارات حوش آدم
ويبتاعون البطاطة الساخنة من عم متولى تاجر الحارة الذي يجمع
على عربته الصغيرة القصب المنياوى ، وخذ الجميل يا حلاوه ،
وبراغيت الست والسمنسميه ، وأم الفلافل ، ونبوت الغفير
وجميع ما يخطر ببال الأطفال أو الاكبر منهم بقليل الذين
تعودوا شراء هذه الاصناف بما يدخرونه من ملائيمهم وقروشهم

التي يحصلون عليها من آبائهم بشتى الحيل وصنوف التوسلات
كان صديقهم «س» لا يفارقهم إلا لينام، وكان أليفهم ونجيبهم
في مدة دراستهم الابتدائية، ودرجوا من ذلك العهد إلى المرحلة
الثانية من التعليم الثانوى فتعثر بعضهم في امتحان الكفاءة
وتفرقوا في مدارس عدة، لكن منزل عبد الفتاح صديقهم كان
يجمع بينهم في مساء كل يوم، ونال بعضهم شهادة البكالوريا، وسقط
بعضهم، وكان هو من بين الذين نجحوا فانتسب إلى كلية الحقوق
منذ ذلك الحين بدأ يحقر مجالسهم. ومنذ ذلك الحين بدأت
الصدقة السعيدة التي جمعت بينه وبين أصدقائه الجدد تفعل فعلها
في نفسه، فلم يعد يتفضل على حوش آدم بزيارة حيث ظل
أصدقاؤه الأول يترددون على منزل زميلهم عبد الفتاح، وحيث لم
تغير الأيام طباعهم إلا بمقدار يسير يتفق مع آمالهم المحدودة
ونقودهم القليلة، فهم طلاب في المدارس الثانوية والعالية لكنهم
لا يعدون في ذلك مراح الطلاب المجددين فلا تبهرهم حياة اللهو
ولا تخذعهم مظاهر التمدن، وليس لهم إلا ليلة واحدة في الأسبوع
يقضونها خارج منزل صديقهم عبد الفتاح فيتواعدون على اللقاء
في «بوفيه» حديقة الأزبكية لسماع الموسيقى ومتابعة رواية السينما
أما صديقهم «س» فقد تغير من حال إلى حال وأصبح
لا يرى إلا في صحبة أصدقائه الجدد «بصالة البليارد» أو دور التمثيل
الراقية أو الحفلات الساهرة حيث يلتقي بالطبقات العالية المهيبة،
وقد فرح به أهله وأعزه أبوه فأعقد عليه من ماله وراح يباهى
به وبأصدقائه «الناس الطيبين»

وأبوه الشيخ محمد أحد تجار السكة الجديدة رجل تقي صالح
لا يعرف من شئون الدنيا أكثر من طريق متجره وبيته ، وهو
عصامي جمع ثروته من كده ونصبه فابتنى عمارة كبيرة أنفق عليها
نحو عشرة آلاف من الجنيهات ونمت تجارتها النادرة القليلة فابتنى
عمارة أخرى أصغر من سابقتها ، لكن هذه الثروة التي تعتبر
كبيرة يحسده عليها أقاربه الفقراء لا تعدل في نظره مستقبل ابنه
العزیز الذي اغتبط بنجاحه ودخوله مدرسة الحقوق !! والذي
يتربص له مستقبلا باهرا لا يقل عن منصب وكيل نيابة أو قاض !

كنت أنا أحد أصدقاء هذا الطالب ولم يكن الفارق بين سني
وسنه يمنعني من مصاحبته لما توسمته فيه من الوفاء والولاء
والامتنان ، ولقد قضى في صحبتنا عامين كاملين لم نكن لنشكو منه
في خلاهما سوى جهله بتقاليد المجتمعات وعدم مراعاة ، على أنه لم
يلبث بعد قليل أن تهذب ورقت حواشيه وصار إنسانا « وسطا »
لا يرتفع إلى مستوى التهذيب والكمال ، ولا ينحط إلى درجة
الجهل والغباء

هذا الطالب أو هذا الصديق المحبوب كان لابد أن يسقط
وأن يتبدل منذ هجر مجلسنا وفر من سهراتنا الهادئة المتواضعة
وارتمى في أحضان شيطان من شياطين الانس يدعى عبد المجيد
افندي فاصطحبه إلى دور الخلاعة والمجون وحبب اليه حياة اللهو
والتبذل فشرب الكأس الأولى ثم أردفها بالثانية والثالثة ،
وتفقدناه نحن فلم نعد نراه ، وطال غيابنا عنا وراح يسف في

مبازله ومهاتره

وكنت اكثر الاصدقاء إشفاقاً عليه بعد أن انحدر الى هذه الهوة السحيقة فأخذت احتال على لقائه وبذل النصيح له ؛ وهو سادر في غلوائه لا يسمع ولا ينتصح وضقت بحاله ذرعاً ، وتمثل أمام ناظري مستقبل شاب في نهاية مراحل تعليمه تكاد تزدوى غصنه الناضر فتاة خليعة مكذاب لعوب ، ورأيت أنه لا بد من التضحية ، ولتكن هذه التضحية بأن اسيره واصاحبه في لهوه . وأن أتعرف إلى فتاته الموهلة في حبه ، ولأنزل قليلاً عن كبريائي فلا أجد غضاضة في غشيان دور الرقص البذيئة وشرب الخمر ولو كنت لذلك من الكارهين

قدمني إلى فتاته في بار الكوز موغراف وبقيت أتردد عليه في كل مساء وأتقرب إلى الفتاة وأغريها على الاطمئنان إلى صحبتي حتى أنست بوجودي وراحت تسأل صاحبها عنى كلما غبت عن مجلسها

بينما كان الشيخ محمد والد صديقي «س» يؤدي صلاة التراويح في المسجد الحسيني ضارعا إلى الله أن يمتعه بقرة عينه ومعهقد آماله ، كان ابنه في البار بجوار رتيبة الراقصة يحتسى كؤوس الخمر ويطارحها الغرام ، وأدى والده الصلاة وعاد إلى المنزل لكن ابنه لم يكن قد أنهى صلاة الشيطان !!! ونام الأب ملء جفونه ، لم يفكر في غياب ابنه عن المنزل لأنه - كما يعتقد - في منزل أحد أصدقائه يستظهر دروسه إلى موعد «السحور» ثم يعود فيخلع ملابسه ويتهيا لتناول السحور مع والدته واخوته !!!

كذلك كان إعتقاد الاب !! أما والدته فقد كانت أحست تغيراً
ظاهراً في أخلاقه ، وكان قد أرهاقها في طلب النقود ، واحتال
على اخوته الصغار فابتز منهم المبالغ التي كانوا قد ادخروها منذ
أعوام فبدها جميعاً ، وتسلم مصروفات المدرسة فأنفقها في ليلتين
ثم عاد إلى والدته يبكي زاعماً أنه فقدوها في الطريق فأخفت الأمر
عن أبيه ومنحته مبلغاً آخر كان نصيبه كنصيب سابقه ، ثم أنقذه
من ذلك الموقف صديقه الوفي وزميله في المدرسة عمر افندي ...
وكانت كل هذه الظواهر المريبة شديدة الأثر في نفس والدته
المسكينة ، لذلك لم تكن ترى رأى والده فيه ؛ وخفق قلبها في هذه
الليلة خفقاناً متواصلاً حين دنا موعد السحور ولم يحضر كعادته
وحل الموعد وهي تتسمع الخطوات بلهفة ووجيعة على القادم
يكون ابنها !!!

نام أفراد الأسرة ؛ وتساءل الاب عن غياب ولده فلم يسمع
من والدته جواباً مفهوماً وآوى إلى غرفته ثم غلبه النوم فنام .
لكن الام لم تنم ؛ وهيات أن تنام عن فلذة كبدها وهي التي
لاحظت عليه ما لاحظت ،

وبكت من أجله ما شاء الله أن تبكي
في الساعة الرابعة صباحاً في هجعة الليل واغفاءة الفجر ، في
سكون الليل الرهيب ، سمعت الأثم وقع خطوات ثقيلة متباطئة
فمشت على أطراف قدميها حتى لا تزعج الوالد النائم والأطفال
الصغار وفتحت الباب في رفق وهدوء وأضاءت المصباح وأرسلت
بصرها إلى موضع الخطوات فإذا القادم هو ابنها « س » وخطت

اليه مسرعة حين رآته متهاكاً على نفسه لا يقوى على الوقوف ،
وسمعه يهذى بكلمات متقطعة وألفاظ بذيئة وانبعثت رائحة الخمر
من فمه الى أنفها ، فوقفت واجمة لا تتحرك فيها جراحة ؛ ثم أفقت
من ذهولها على صوت أجش يشبه حشرة الموت ؛ وفتحت عينيها
فاذا ابنها يقيء ويفرغ ما في جوفه بصوت مرعب مخيف ، ودنت
منه فمدت اليه يدها ليعتمد عليها في صعود السلم وما زالت به حتى
أوصلته الى سريره فارتى عليه لا يعي ولا يفيق . وتحركت في
أمعائه بقايا الخمر والطعام فأفرغها على الوسادة وفوق السرير ؛
وراحت أمه تنظر اليه وهو على هذه الحال فتبكي وتنتحب !!
واستيقظ الوالد في الصباح مبكراً الى عمله بعد أن أخبرته
الوالدة ان :

— بسلامته كان يتسحر مع زميله اللي بيذا كروياه امبارح
— طيب لكن كان لازم يقول لنا انه ناوى يتأخر
— نهايته أهى مرة وفاتت

.... واستيقظ الابن المنكود فرأى بعينه آثار خزيه لا تزال
عالقة بثيابه وفرش سريره ، واستعرض ليلة أمس وما حوت من
مبازل ومجون ، وذكر فضيحة وصوله الى المنزل سكران لا يعي
ولقاء أمه له وهو على هذا الحال ، وتمثل في خاطره صلاح أبيه
وتقواه وطيبة قلب أمه وحنوها عليه . ذكر ذلك كله فأطرق
مهموما حزينا ، ودخلت عليه أمه !! فرفع رأسه ينظر اليها ، ثم
أطرق ثانية لا يقوى على النظر الى وجهها لفرط ندمه
وخزيه وعاره :

- يا عيب الشوم يا ابني !! الناس اللي ييسكروا في رمضان
ييتوبوا وانت كده كده اخص عليك ، عوضى على الله فيك
أفرض إنك مت واللى دهسك ترمى
- أهى مرة وفاتت يا نينه بلاش وجع قلب ثم قام متشاقلا
فخلع ثيابه الملوثة وارتدى ثيابا أخرى وخرج ...
لقيته في هذا اليوم فقص على قصة ليلته المخزية ووجدته في
هذه الحالة أقرب الى الاستشعار بالندم وأدنى الى قبول النصيحة
فقلت له :

- صحيح البت دى بتحبك ؟
- لا اذا كان على كده دى مسكينة حتتجنن
- يعنى بتحبك ... ؟
- وهى دى مسألة عاوزة استفهام ، انت مش شايف بعينك ،
والله لولا ان البت دى مسكينة وبالشكل ده أنا ما كنت سألت
عنها ولا صرفت عليها ولا مليم . ومع ذلك أنا عمرى ما ناولتها
ولا قرش فى ايدها
- لكن يا ترى بتحبك لذاتك والا لاسباب ثانية
- أسباب ايه
- يعنى منلا تكون بتحبك عاشان بتصرف عايتها أو طمعانه
انك تتجوزها
- أبدأ والله دا القرش اللي فى ايدها دايما تحت تصرفى
- يا أخى يظهر بقى انها بتحبك لله فى الله
- أمل يا أخى يعنى هم دول علشان ما هم عموميين

ها لهمش قلوب

وطال بنا الحوار على هذا المنوال انكر عليه اخلاص أولئك
النسوة مرة وأعود فأسلم له بما يريد مرة أخرى ، وافترقنا .

أخيراً كان لابد من أحكام مؤامرة أنقذ بها هذا الصديق
المنكود ، وكان لابد أن أستعين على هذه المؤامرة بصديقه
الوفاي عمر افندى ...

التقيت بعمر افندى .. واتفقت معه على ما يأتي :

أولاً : أن يسافر الى عزبته ومعه صديقنا « س » المحبوب !!

ثانياً : أن يظل معه بالعزبة عشرة أيام

ثالثاً : أن يمنعه عن الحضور قبل العشرة الايام بأية وسيلة

مهما كلفه ذلك من المشاق

رابعا : أن يختلس من حقيبته أدوات الخلاقة حتى تمضي عليه

العشرة الايام بدون حلاقة

خامساً : أن يتسبب في تلويث بذلته خلال المدة بحيث تبدو

كالقديمة الرثة في يوم حضوره الى القاهرة

سادساً : يجب أن يعتمد الى زر طربوشه فينثر بعض فتلاته

وأن يجلس عليه مرة كأنه لم يلتفت الى موضعه بحيث يبدو
قدماً بالياً .

سابعاً : أن يحضر به الى القاهرة بعد احكام هذه الوسائل

جميعها حتى لا يتسرب الى ذهنه أنها مقصودة . ويجب أن

تكون عودته به الى القاهرة فى آخر اليوم العاشر بحيث يصل فى
الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ٢٥ فبراير على هذه الحالة
الرثة المزرية

ثامنا: يجب أن يمر به على بار الكوز مجراف فى هذه الساعة
را كبا عربة مقفلة. فاذا لمحتهما وأشرت اليهما بالنزول وأراد
هو الاعتذار حتى يعود الى المنزل ليصلح من شأن ثيابه وهندامه
وجب ألا يقبل عذره وأن ينزله على الامتثال

تاسعا: سيجد فى جيب جا كتته « ساعة حريمى » فعليه ان
يختلسها أثناء اقامته معه فى العربة فاذا تفقدها ولم يجدها أفهمه أنه
ربما نسيها فى البيت قبل حضوره

عاشرا: يجب أن ينفذ كل هذه الاشياء « عميانى » من غير
ان يسألنى عن اسبابها او مسبباتها

وترددت فى خلال هذه المدة على بار الكوز مجراف
والتقيت بالآنسة ! رتيبة وكانت كلما التقت بي بادرتنى بالسؤال
عن معبودها « توتو » فهى دائما تناديه بهذا الاسم ، وأجبت ألا
تمر عشرة الايام قبل أن أضع الخطط الاولى لتنفيذ المؤامرة !!
سألتنى أول يوم:

- فىن توتو ؟

- والله مش عارف النهاردة مشفتوش وانتقلنا من السؤال
عنه إلى التحدث فى موضوع حبها له فسألتها:
- بالذمة يارتيبة بتحبي توتو صحيح ؟

فتجهم وجهها وانقبضت أساريره ... وأجابتنى بصوت متهرج
تخنقه العبرات :

- يا خبر زى الهباب انت كمان يا عبد الله بتسأل السؤال ده
بعد الى أنت شايفه بعينك ، يعنى لسه معرفتش ان كنت بحبه وإلا لا
- طيب ماتر عlish يا نور عيني أنا بس غرضي أهزر وياك
- لا بالذمة دا هزار بارد

وطيبت خاطرها واعتذرت لها عن هذا «الهزار البارد»
وأخذنا ننتقل من حديث إلى حديث إلى أن جاء موعد ذهابها
«للتشغل» وافترقنا على أن أبحث لها عن «توتو» معبودها الذي
لا تصبر على فراقه يوما

والتقيت بها في اليوم التالي فأخبرتها أن توتو ليس في منزله
منذ أمس وان في الجو اشاعة عن غيابه لم أتأكد من صحتها بعد
ونظرت الى نظرة طويلة أعقبها دموع!! غزيرة تساقطت على
خديها ثم نهضت لتبحث عنه في القهوة التي تعود الجلوس عليها
في بعض الايام

لكنها عادت بدون جدوى . وكنت لأزال في مكاني مع
بعض أصدقائي فدنت مني مقرحة الجفن تبدو عليها علامات الهم
والقلق وجذبتني من يدي واتحينا ناحية قصية ثم بدأت تسألني
- إيه يا عبد الله حكاية توتو ملوش عادة يغيب عني من غير
سبب ؟

- والله أنا كمان متحير مش عارف راح فين
- لا يا عبد الله بلاش لؤم قل لي فين توتو

- برول دونير معرفش فين هو. لكن بكره أقدر أسأل عليه
تاني وأشوف الحكاية اللي سمعتها عنه صحيحة والا لا
- حكاية إيه؟

- دى أشاعة سمعتها عنه امبارح مقدرش أحكى لك عنها الا
لما أتاك كد

- طيب وحياة عينك يا عبدالله ترجع لى بكره وتقول لى
جرى له إيه

وعدت لها فى اليوم الثالث فألقيت القنبلة التى أحكمت
صنعها والتى اعتمدت على فعلها فى نفسها فقلت متكلفا التأثير
والاشفاق:

- مسكين توتو يار تيبه تأ كدت النهارده إن أبوه طرده من
البيت بعد ما عرف حكايته وياكى و كان قبلها قطع عنه الفلوس
وفضل يستلف من أصحابه ومن جرسونات القهوة لحد ما انفصح
أُسرد وبعدين محدش يعرف راسه فين

ولم أدد أبلغها هذا الخبر حتى امتقع لونها واضطرب
حديثها وبدت على وجهها دلائل الذعر والوجل وقالت:

- ازأى حصل كده دا مفهمنى أن نيسته غنية و بتديه كل طلباته
وانه ميهموش فلوس أبوه

- دا صحيح. لكن يقولوا ان أبوه حرج على نيسته متدهش
فلوس والا تكون طالق؟!

وعلى كده مسكين ضاقت الدنيا فى وشه ومين يعرف هو
جرى له إيه دى الوقت؟

- والله عال !!! يعنى حضرته يميل بختى ويضحك على
وبعدين يعمل كده

- وهو عمل إيه يارتيبة؛ برده آخرتها كده
آخرتها كده إيه وسخام إيه زمانو كان باع ساعتى، اللى أنا
مديها له يصلحها

- مين يعرف !! جاز

وتركتها على هذه الحال وانصرفت، ثم ظلت بقية الأيام
القاهها فأحمل لها كل يوم خبرا يؤيد صحة الاشاعة. وزاد فى
تصديقها غيابه الطويل فملاً اليأس قلبها، وراحت ترمى شبا كها
على غيره من رواد عماد الدين الاغرار فرأيتها تجالس سواه
ممن كانوا يرفون حولها كالفراش يرف على النار فيحترق
ثم مضت الايام العشرة سراعا، وحل الموعد المضروب
بينى وبين عمر افندى فذهبت اليها فى بار الكوز مغراف على
عادتي وتعمدت أن أثير الحديث من جديد فذكرته بأسوأ
ما يذكرك به انسان وأخذت تصف «ميلة بختها» مع توتو وكيف
أضاعت من يدها صداقة كثير من الشبان بسببه

وحل الموعد المتفق عليه تماما، ولحقت عربية تمر من أمام البار
تبينت فيها عمر افندى وبجانبه صاحبنا توتو فقممت مهرولا
وناديت لهما فوقفت العربية ونزلا منها. أما توتو فكان على الشكل
البشع الذى أردت أى يكون عليه، وسلمت عليهما بحرارة ثم
عرضت عليهما أن يجلسا قليلا على أن أقوم معهما بعد قليل.
لكن توتو مانع بحجة أن البت يمكن تكون جوده وتشر فو بالشكل

ده تبقي فضيحة

فأكدت له أنها ليست موجودة، وأنها على فرض وجودها
فإذا يضره وهو متأكد من حبها له كل ذلك وصاحي عمر افندي
لا يدري ماذا أبغى من هذه المؤامرة الطويلة المدى وانتهى الحديث
على أن ندخل إلى البار ثم نعود إلى منزلنا بعد قليل
ودخلنا البار فلم نكد نخطو إلى داخله بضع خطوات حتى
كانت رتيبة عاشقة توتو قد لحته فأسرعت إليه، ورآها مقبلة نحوه
فارتبك واضطرب لما هو عليه من حالة رثة زرية. ورأت هي
اضطرابه وزوغان بصره فأولت هذا الاضطراب بصحة
ما أخبرتها به وكانت قد وصلت إليه فسلمت عليه سلام الساخرة
الشامته، ثم لم تمهله فسألته عن الساعة التي أخذها لاصلاحها.
فابتسم ابتسامة خافتة ثم قال لها:

والله الساعة ضاعت مني وأنا مسافر. انت حتى مش شايفه
ازاي أنا مبهدل وهدومي وسخة

- سفر إيه ياخوي اللي كنت مسافره. وليه متعترفش
بالحقيقه وتقول ان أبوك طاردك والساعة بعثها
- أبويا طاردني؟ والساعة بعثها؟

يا سلام بتندمش قوى وبتعملهم وتنطلي أنت فاهم اني معرفتش
كل حاجة

- جرى لعقلك إيه يارتيبه انت سكرانة؟

- ممكن سكرانة !!

و مال على عمر افندي هامسا

- إيه يا عبد الله الحكاية ؟

الحكاية ان مكشش قدامى حيلة أبين بها لصاحبنا كذب البنات بتوع عماد الدين دول الا كده . و حالا حين كشف له كذب صاحبته و حين له اني أنا اللي رتبت كل ده و كان الحديث بينه وبينها يزداد غموضا و حده فهي تصر على أنه « نصاب » وأنه غرر بها و في النهاية أخذ ساعتها فباعها ، وهو ذاهل مشدوه لهذه المفاجأة فلا يعرف كيف يدافع عن نفسه أمامها وأوشكت أن تقوم اليه فتشتبك به أمام الناس و كالت من الشتائم ماردا اليه عقله المسلوب ثم ملت عليه بعد أن انتجيت به ناحية و قلت له .

- الآن يا صديقي « المحبوب » عرفت مقدار حبها لك . و الآن يجب أن تعلم اني أنا الذي اتفقت مع صديقنا عمر افندى على تنفيذ هذه الخطة . فتقدم بالشكر لزر طربوشك المقطع ولذقنك النابتة و بذلتك الرثة . أما ساعة صاحبتك الفاجرة فهي في جيب صديقك عمر . و مد بها عمر يده فتناولها « توتو » ومشى بها إلى حبيبته الطاهرة !! المخلصة الوفية !! فرمى بها في وجهها . و انصرفنا جميعا وهو يشد على يدي ويقول أنجيتي يا صديقي فشكرا لك



السارق

الसार

في حي الجمالية - بالقرب من باب الفتوح - يقوم منزل فخيم
واسع الأرجاء، مشيد على الطراز القديم، يحوط به سور مرتفع
يكاد يحجب عن المارة بناءه العالي

صاحب هذا المنزل هو محمود بك الألفي ربيب النعمة التي
ورثها عن أبيه المرحوم الذي كان أحد كبار التجار بالعاصمة،
وقد ورث محمود بك عن والده أملاً كاملاً واسعاً وأموالاً يجاوز
عدها عشرات الآلاف. وهو لا يحب العمل. ولا يريد أن
يجهد نفسه في تنمية هذه الثروة الطائلة لأنه نشأ على حب «القناعة»
ومن المؤمنين بعقيدة التوكل على الله «وما كان لك سوف يأتيك»
لذلك لا تراه إلا في منزله مع عصابة من رفاقه الذين اصطفاهم
للتسلية وقطع الوقت أو في عربته مع اثنين أو ثلاثة منهم حيث
يخرجون عصر كل يوم إلى الجزيرة لاستنشاق الهواء، وهو
لا يحب من هذه الدنيا غير ثلاثة أشياء: أحدها «غية» الحمام
وتربيته وانفاق المال الكثير على شرائه والعناية به، وثانيها
الجواهر فهو كلما سمع عن جوهرة نادرة خف إلى بائعها وسأومه
عليها واقتناها مع مجموعة الجواهر التي يفاخر بها ويعتقد أنها
تفوق في نفاستها وندورتها أغلى مجموعة يحويها قصر ملك أو
مهر اجا، وثالثها «الاخوان» وهؤلاء الاخوان الذين يحبهم
ويصطفاهم قد أصبحوا عنده «كيف» فلا يصبر على مفارقتهم
يوماً واحداً لذلك لا تراه إلا معهم ولا يعرف من أحوال أهله

وأقربائه مثل ما يعرف من أحوالهم ، وقد اختار هؤلاء الاخوان
لسره ونجوا بعد تجارب سنين عديدة ، وبعد أن أنس بعشرتهم
واطمان الى صحبتهم فأغدق عليهم النعمة وحباهم بعطفه وحبه ، وكان
أحب هؤلاء الاخوان اليه « ييومي افندى الخايب » و « سمير افندى
الشاعر » لانهما في نظره أحق بالعطف من غيرهما وأخلق بالحنان
من جميع الناس لكثرة ما عانيا في حياتهما من بؤس وفاقه وسوء
طالع فهو يعرف قصة ييومي افندى الخايب وسبب تلقيبه بهذا اللقب
البغيض منذ كان طفلاً يكفله أبوه الحاج بسيوني بقال حي
الجمالية المعروف

كان الحاج بسيوني تاجراً معروفاً بالادانة والصدق فنمت
تجارته وزادت أرباحه فأصبح من كبار تجار البقالة في « الخط »
كله ، وكان ابنه « ييومي » خاملاً كسولاً ييغض المدرسة
ولا يصغى لنصائح أبيه الشيخ المجرب فنشأ مدلاً على حنان امه
التي كانت لا تسمح لايه أن يغلظ له القول لانه « وحيدها »
ولانها « مش حتعيش لما تجيب غيره » ومات الحاج بسيوني
فورث ابنه ييومي جميع أملاكه وتجارته وصاحب اصدقاء
السوء فأصبح « زبونا » دائماً لدور اللهو والخلاعة وتعلم مصاحبة
الخليعات من بنات الهوى فأنفق عليهن ثروة أبيه الطائلة ، وماتت
امه فلم يحزن عليها كثيراً لانها كانت في عهدها الاخير تؤنبه على
اسرافه وتبذيره وتنقص عليه سروره وملذاته بكثرة « اللت
والعجن » ولانها كانت في نظره امرأة متأخرة « متعرفش في
الدنيا حاجه »

ونفدت كل ثروته فأصبح وهو لا يملك قوت يومه ،
ولا يعرف من الصناعة شيئاً وتغير حاله من سيء الى أسوأ وظل
يتقلب في شتى الصناعات ومختلف الحرف عله يصيب منها قوته
وكسائه فلم يفلح في واحدة منها . ثم نصحه اخوانه « أولاد البلد »
الذين كان يعطف عليهم أيام عزه أن يبيع الجرائد فهي مهنة سهلة
لا تحتاج الى رأس مال أو كبير عناء واتخذ ميدان العتبة مركزاً
لتجارته الحديدية ، لكنه نكب بولد صغير من باعة الجرائد كان
ينافسه منافسة خطيرة فاذا نادى أحد الناس على أهرام أو بلاغ أو
فكاهة أو مصور وثب العفريت الصغير الى المشتري وقدم له
ما يريد بينما لا يكون صاحبه يومي قد تحرك من مكانه . وفي يوم
من أيام المطر أراد يومي أن ينتقم لنفسه من منافسه فخرى
وراءه والصغير الملعون يعدو أمامه فيختفي مرة ويظهر أخرى
الى ان وقع يومي من طوله على الارض فلوث الجرائد كلها ولوث
ثيابه وقام يتعثر في مشيته ويجمع الجرائد المتناثرة ، ومنذ ذلك
اليوم اختفي يومي من ميدان العتبة فلم يعد أحد يراه ، ولا يزال
« المعلم » يبحث عنه الى اليوم

ورجع الى أصدقائه باكياً حزينا لأنه لم يصلح لهذه الصناعة
فبحشوا له عن وظيفة عند خانوتي بحى المناصرة ، وقصد اليه
مهموما دامع العين لفرط شقائه وبؤسه فحسبه الخانوتي « زبونا »
فقد عزيزاً غالياً جاء ليدعوه « للشغل » فأكرمهم وقدم له القهوة وأخذ
يخفف عنه وقع المصيبة ، لكنه علم في النهاية أن هذا الزبون
« طالب شغل » فكشّر له عن نابه وعبس في وجهه وأخذ يقص

عليه كساد السوق وقلة الاموات !! على انه قبله بعد هذه المحاضرة الطويلة بخمسة قروش عن كل يوم نظير عمله « كصبي حانوتي و كان بيومي دميم الخلقة يشير بشكله ضحك الناس بخاف الحانوتي على صناعته التي تستدعي وقار الحزن الذي لا يعمل إلا في ساحته و كان يرتجف خوفا كلما شاهد الاطفال يضحكون من شكل صبيه في المآتم فناداه في بعض الايام وأعطاه حسابه و » الله يحزن عليك يا ابني شوف لك شغلة غير دى »

وهكذا كان بيومي سىء الطالع لا يفر من نحس إلا الى نحس فباع الكتب وعمل لممثل مضحك فى احدى الفرق الهزلية ومسح الاحذية وهو فى كل هذه الاعمال لا يعود الا بالخيبة والفشل ففكر فى الانتحار ورأى أن « أوفر » طريقة للموت لا تكلفه ثمن حامض الفنيك أو ثمن الجبل هى أن يموت غرقا فذهب إلى كبرى الزمالك ووقف فى سكون الليل واغفاءة الفجر يودع الحياة التى قهرته ثم نطق بالشهادة وأغمض عينيه ورمى بنفسه الى الماء ، لكنه أفاق فاذا هو فوق ظهر مركب شراعية محملة بأكياس القطن الفارغة ، فلم يصعبه بسبب ذلك ضرر وأطعمه أصحاب المركب وقدموا له غطاء باليا نام تحته إلى الصباح ثم قام هائما على وجهه فى الشوارع لا يعرف السبيل الى الموت ! وعلم بقصته محمود بك الالفي الذى كان يعرفه من عهد الطفولة وفى أيام عز أبيه فانتشله من وهدة الفاقة وأسكنه على حسابه فى شقة صغيرة قريبة من منزله لا يأوى اليها الا آخر الليل بعد أن يكون قد قضى سهرته مع رب نعمته محمود بك يقص عليه

القصص المضحكة ويروي له النوادر عن أيام بؤسه وتشرده

أما سمير افندى الشاعر أو « الاستاذ » كما يحب أن يلقبه الناس فهو شاعر من النوع « الملتهب » الذى لا تهدأ نار شاعريته ، ولا يهبط اليه وحي الشعر الا بعد الساعة الثالثة صباحاً . فاذا كنت مدعواً فى فرح عند بعض أصدقائك - ولنفرض أنه لم تقع خناقة - فكشيت به الى آخر الليل بعد أن تكون قد تمايلت ذات اليمين وذات الشمال على نغمات الكؤوس التى لا يعكر صفاءها حساب الجرسون . ثم تتحامل على نفسك وتقوم إلى طريق بيتك مدفوعاً بالغريزة الى الحى الذى تسكن فيه دون أن تعي اسماء الشوارع أو تقوى على معرفة الدروب والمنعطفات الموصلة إلى بيتك . . فى هذه اللحظات تلح « شبها » واقفاً بجانب مصباح الشارع فيخيل اليك أنه « عفريت » أو لص متربص . ثم تجمع أطراف شجاعتك أستغفر الله بل تجمع أطراف شجاعة الكؤوس اللذيذة فتدنو منه وتنظر فى وجهه فاذا هو صاحبنا سمير افندى الشاعر حيث يكون خارجاً من سهرته عند صديقه محمود بك الألفى ويكون هاتف الشعر قد هتف به فى الطريق وفى مثل هذه الساعة فوقف يكتب فى ضوء المصباح وعلى ورقة يعثر عليها فى جيبه أو على ظهر علبة السجائر أياتاً من الشعر خوفاً من أن تفلت من ذاكرته صباحاً ، ويراك سمير افندى - والساعة الثالثة صباحاً - فيتظلف فى حديثك وتصبح صديقه وموضع نجواه وشاعريته فيعرض عليك أن تستنشق الهواء معه فى رهبة الليل وفى أضواء

القمر المتكسرة على ماء النيل وفي سكون الفجر إلا من صوت
الطبيعة الرهيب !! وتكون انت مثقل الرأس لا تفكر في رهبة الليل
ولا في أضواء القمر المتكسرة ولا في صوت الطبيعة الخبل لا يخطر
ببالك في مثل هذه الساعة إلا سريرك الوثير ترتجى عليه وتغط في
نوم عميق

ويحرص سمير أفندي كل الحرص على أن تكون جيوبه
« مكتبة » متنقلة لا تحوى إلا رسالة ونسخة ديوانه الذي سيظل
طول عمره « تحت الطبع » وهو يباهى بأن جيوبه دائماً عامرة
بصوت الشعر الألهى المستمد وحيه من اللانهاية المنبسطة
في الفضاء المترامى، وتكون أنت ذاهبا إلى ميعاد - لا يبعد أن
يكون على تناول العشاء مجانا فيلقاك سمير أفندي ويكفي أن
تكون صديقه صداقة بسيطة « تعرفه سعيدة سعيدة » فيناديك
بلهفة وينتحي بك ناحية ثم يخرج من جيبيه مكتبة الشعر الألهى
المستمد وحيه من ... الخ فيظل يسمعك قصائده واحدة بعد
واحدة، ولا أعرف شعورك في هذه الساعة بالضبط، لكننى
أعرف أنك قد تفكر في أن تستغيث بعسكري البوليس لتنجو منه
وسمير أفندي كما قدمت أخلص خلاصاء محمود بك الألفى
وزميل بيومى أفندي في سهرات منزل محمود بك وهما دائماً
يحرصان كل الحرص على تناول طعام الغداء والعشاء على مائدته
لأنهما يجدان عليها من ألوان الطعام الفاخر ما لا يجدانه على أية
مائدة أخرى، كما أنه هو أيضا يلزم مهما بهذه المواظبة لأنه يجد
في حديثهما لذة ويقطع الوقت بسماع نواذرهما اللطيفة وكلما عاد

إلى المنزل مرة يحمل جوهرة غالية يكون قد اشتراها ليضمها إلى بقية المجموعة النادرة بعث في طلب أخوانه هؤلاء ليعرض عليهم الجوهرة ويقص عليهم قصة شرائها والمتاعب التي تحملها في الحصول عليها ، وتظل الجوهرة تنتقل من يد إلى يد وتظفر باطراء هذا وثناء ذاك مدة طويلة ثم يحملها محمود بك إلى خزينته فرحا مسرورا

وقد عاد محمود بك إلى منزله في بعض الايام يحمل جوهرة غالية قيل له أنها كانت تزين جيد ملكة انجلترا في سالف الازمان ولو أن التاريخ « يلوى بوزه » و « يفتح شلاضيمه » لفرط ما يصيبه من الغيظ من جراء هذه الرواية الكاذبة !!

جلس محمود بك بين أصدقائه وراح يقص عليهم قصة هذه الجوهرة وهي تنتقل بين أيديهم من يد إلى يد وهو فرح مغتبط لكثرة ما يخلعه عليها الاصدقاء من عبارات الإعجاب والاطراء وكان موعد الغداء قد حل وأقبل الخدم يعدون معداته ونسيت الجوهرة ونسى حديثها وقام الجميع إلى المائدة فتناولوا طعام الغداء ثم تذكر صاحب البيت جوهرة وتذكر أنه لم يودعها الخزينة كعادته فجن جنونه وراح يجرى هنا وهناك يبحث عن جوهرة الغالية فلم يجد لها أثرا !!

وتولى أخوانه الذهول وساديينهم وجوم عميق فلم ينطق أحدهم بكلمة لأنهم جميعا يعرفون حرص صاحبهم على الجواهر وولعه بها وجنونه بحبها وإنفاق أكثر ثروته في سبيلها ثم نظر صاحب البيت إلى أخوانه نظرة طويلة تنم عن معنى الريبة والشك لأنه

لم يبرح بجوهرته مكانهم ولم يقرب أحد الخدم منهم فلم يبق الا
ان يكون أحدهم هو السارق

وانتفض ييومى افندى من ذهوله فقال:

- يا محمود بك لازم تفتشنا

فأجابه .

- عيب يا ييومى افندى ازاي اقتشكم وألح ييومى افندى على
محمود بك وقام اليه بادئا بنفسه فخلع ثيابه الظاهرية وراح يقلب
جيوبها وينفضها على الارض ثم التفت إلى بقية إخوانه وطلب
منهم أن يفعلوا مثل ما فعل فقاموا واحداً واحداً وخلعوا ثيابهم
وأذعنوا لرغبة ييومى افندى أو بعنارة أصبح لرغبة صاحب البيت
لما بدا من نظراته الطويلة الناطقة بكل معاني الشك والريبة !!
إلا سمير افندى الشاعر فانه أرى أن يفتش واصر على الإباء حتى
قويت الشبهة ضده وراح أصدقاؤه ينظرون اليه نظرة المقت
والازدراء ، وهو مع هذا مصر على عدم التفتيش لأنه كما قال لهم
منتهراً: أشرف من أن يكون موضع شك انسان ، وان من كان
مثله يستمد الشعر من الوحي الالهى المستمد من اللانهاية الممتدة
في ... الى آخر القصيدة « إياها » لا يعقل أن يكون سارقاً لجوهره
لا تساوى أصغر الجواهر التي يحويها ديوانه الخافل

.... وبينما هم على هذه الحال من القلق والاضطراب إذ دخل
عليهم خادم محمود بك الامين يحمل الجوهره في يده ملوثة بالتراب
ويقول لسيده .

- البتاعه دى يا سيدى لقيتها مع قشر التفاح وانا برميه فى

صفحة الزبالة

ووثب اليه محمود بك فتناولها من يده بلهفة المجنون وأخذ
يمسحها ويقبلها!! وأصدقائه من حوله ذاهلون!! وقام سمير
افندى غاضباً لكرامته التى امتننها محمود بك وعبثاً حاول الاعتذار
له؛ وانصرف إلى بيته وانقطع عن مجلسه أياماً، ثم رأى محمود
بك أن يذهب اليه بنفسه معذراً مستغفراً فاسترضاه وعاد به إلى
منزله وعادت سهراتهم الأولى إلى بهجتها وجمالها كما عاد سمير
افندى إلى نكاته الظريفة، ونوادره المستملحة

ثم جاء ذكر الجوهرة واختفائها وراح الأصدقاء يعلمون
امتناع سمير افندى عن التفتيش ورفضه لهذه الرغبة التى كانت
وحدها المخلص الوحيد من هذه التهمة الشنيعة وقال يومى افندى
لست ادرى ماذا يكون حال سمير افندى لو أن الجوهرة ظلت
مختفية؟ أكان يصر أيضاً على عدم تفتيشه ويظل موضع شك
الجميع وريبتهم؟

فقال سمير افندى .

- أجل كنت سأظل مصراً مهما تجمعت الشبهات حولى؟

فقال محمود بك؟

- ولم هذا الاصرار؟

فوقف سمير افندى وبدت على وجهه علامات شتى من

الحجل والتردد ثم قال :

- أتريدون معرفة السبب الذي من أجله امتنعت عن التفتيش ؟
فأجابوا جميعا .

- نعم

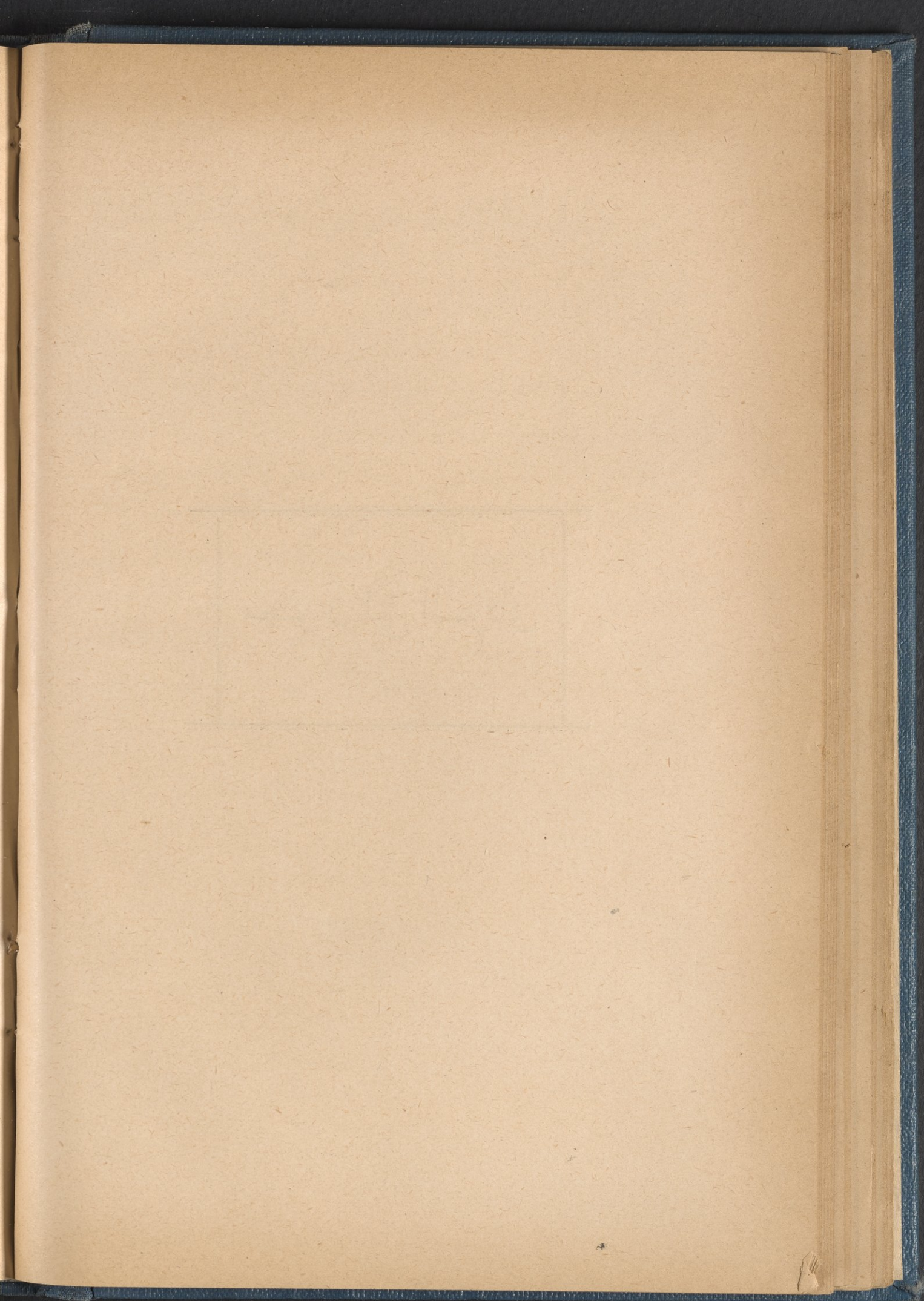
فقال اسمعوا وانتبهوا :

- إن لي ابنة وحيدة أحبها وأسعى في سبيل إسعادها وادخال
السرور على قلبها ، وأنا كما تعلمون أعيش من شق قلبي فلا أحصل
إلا على النزر اليسير من أسباب العيش والرخاء ، وهي تحب
الفاكهة والطعام الفاخر فلا أقدر على موافاتها في كل حين ، فإذا
جلست الى مائدة محمود بك تغفلته وتغفلتكم معه ثم دسست في جيبى
بعض الفاكهة وبعض الطعام لأذهب به إلى ابنتى وقد وقعت
حادثه الجوهرة المشؤومة بعد أن كنت قد ملأت جيبى فرضيت
أن يقال عنى أنى سارق جوهرة بدلا من أن يقال أنى « سارق
طعام وفاكهة »

وهكذا كنت سارقا أيها الاصدقاء !!!



مجنون لیلی السودانی



مجنونه لبلى السودانى

فاجعة غرامية وقعت حوادثها ببلاد السودان^(١)

اهل قبيلة «الجران» فى بلاد السودان قليلوا العدد لكنهم
أفرس قبائل العرب فى هذه البلاد وأعزهم شأنًا وأعظمهم جرأة
واقداما، ونسأؤهم من أجمل نساء السودان قاطبة وأشهرهن
تحصنا وعفافاً، ومنهن «تاجوج» بنت الشيخ «أوكد» شيخ
الجران التى ذاع صيتها فى أواسط القرن الماضى وكانت أبرع
نساء السودان قاطبة فى الفتنة والجمال، حتى كان الناس يفدون من
كل صوب لرؤيتها، ويحجون لقبيلتها

ولقد هام بها ابن عمها «مخلق» هياما ملك عليه قلبه واستلب
لبه، ولم يجد منفذا ينفذ منه إلى فؤادها الا أن يطلب يدها من
أبيها فتصبح زوجته، واذ ذاك تهدأ لواجمه، وتسكن خوالجه.
وطلب يدها من أبيها فظفر بها زوجة رائعة فاتنة، وراح يتفياً

العرب فى السودان هم معظم سكانه، وأكرمهم أصلاً وأوفرهم عقلاً،
وقد هاجروا اليه بعد الاسلام عن طريق مصر أو البحر الاحمر. وهم أما
حضر أو بادية، أما الحضر فكثرهم على النيل الكبير والنيلين الازرق
والابيض وفى الجزيرة بينهما، وأما البادية فكثرهم فى البطانة وكردفان
ودارفور، ودأب هؤلاء الصيد والقنص ورعى المواشى وارتباد مواقع الغيث
ومنابت الكلاء والغزو شان بادية العرب فى كل مكان. ومن أشهر قبائل
عرب البادية فى السودان قبيلة «الجران» وهى القبيلة التى جرت فيها وقائع
هذه الفاجعة

ظلال الحب ويتقلب في أعطافه ، ويشرب من سلافه ، إلى أن
أبى القدر إلا أن يضرب بينهما ضربته فكانت ضربة قاسية ،
من يد عاتية ، تفجرت على أثرها الفواجع الجسام ، وأمعت في
شقاوتها الايام والأعوام

ذلك أن « محلقا » طلب إليها بعض الايام أن تتخطر أمامه
عارية متجردة ، فأبت أن تجيبه إلى ما أراد ، وألحف في الطلب ،
وثارَت بنفسه ثورة جنون فأصر على طلبه ، وتلملت هي من فعل
ما طلب لاسكنها لم تجد سبيلا يكبح جماح نفسه ، ويطفي شهوة
حسه ، إلا أن تدعن لارادته ، وتخضع لمشيئته ، فقامت إليه وقالت
إذا أجبتك إلى ما تريد فهل تجيبني إلى ما أريد ؟ فقال كل ما تريد
وأقسم أن أبر بعهدى !! فتجردت من ثيابها وتخطرت أمامه
ذهابا وإيابا فزاد بها هيامه والتهبت حواسه وأسكرته نشوة
الحسن . وإذ هو على هذه الحالة المتأججة المشتعلة أقبلت عليه
تذكره بعهدده وتطلب إليه أن يبر بما تريد ، فقال : كل شيء أهبه
لك راضيا سعيدا ، فقالت : أطلب اليك أن تطلقني !!! عندئذ صحا
من سكرة حواسه . وفاق إلى حقيقة نفسه . وتوسل إليها في ذلة
وضراعة أن تغفر ذلته وأن تعفيه مما تريد : فهو بعدها من
الهالكين إذا هي أصرت على فراقه ، لكنها أصرت على
ما أرادت في قسوة بالغة وحزم مرير ، ورأى هو أن الحنث
بالعهد أمض على نفسه وأقتل لشرفه من أن يرضى بفراقها . وهو
بعد فراقها لا يدرى كيف تجتويه الايام وتشرده الأعوام ، وظل
كذلك مضطرب القلب ، موزع الفؤاد ، بين البر بقسمه وفراقها ،

إلى أن انتصر شرف النفس على هواها فطلقها ! ومنذ ذلك الحين
راح « محلق » يضرب في فجاج الارض هائما على وجهه يقبل
جدران « تاجوج » وينظم في حبها الاشعار ، ومن تلك الاشعار
مالا يزال يتناشده سكان السودان إلى اليوم :

أنا الجنب التعيس سويت بأيدي في كلمة مزاح قلت غمضى
فواطر أم قبيل ملح الرشيدى «تاجوج» ما تلقت يا خملة زيدى
(والجنب هو المشوم ، وسويت بأيدي أى جنيت على نفسى
والفواطر هى الشنايا ، وأم قبيل هى الجميلة ، والخملة هى الهم والكد
ومن ذلك قوله أيضا .

أمسى الليل وانجمع الشمل وتلمم الحيوان حتى النمل
راقد رقاد الديك فوق الحبل يوم بلا «تاجوج» ما ينحمل
(ومعنى هذين البيتين واضح لا يحتاج إلى شرح)

وكذلك ظل « محلق » يتحرق على عهد « تاجوج » ويندم على
ما جنت يداه ، أما « تاجوج » فانها تزوجت شابا من وجهاء قبيلتها
يعد ابن عمها ، وكان ابن عمها أقوى منه منكبا ، وأصعب مراسا
وأشد فتكا ، فكان كلما لقيه سلبه ماله ثم أعاده اليه إكراما لهوى
« تاجوج » وخضوعا لسلطان حسنها ، لكن الهوى برح بـ « محلق »
وأضناه حتى مرض وأشرف على الموت وأخذ يهذى باسمها
ويطلب رؤيتها ، وذهب أهله اليها فأخبروها بما آل اليه أمره ،
فرقت لحاله ، وحضرت اليه فاذا داره غاصة بالنسوة اللواتى كن
حوله يعزينه ويصرفن قلبه عنها فلما أطلت عليهن بوجهها المشرق
المتلهل ، سحرهن جمالها البارع ، وقدها الفارع ، فذهلن عن الحقد

عليها، والنيل منها، ووقفن إجلالا لها، وإعجابا بها، وأجلسنها إلى جانب سرير محلق، فلما رأتها على تلك الحال من التلف والبوار بكت ماشاء الله أن تبكي، ثم أفاقت من غشية البكاء ودنت منه فوضعت رأسه على ركبتيها، وكان قد أغشى عليه فأفاق من إغمائه، فنظرت إليه ثم تنهدت وقالت كلمة لا تزال بين أهل تلك القبائل من أقدس الكلمات وأجدرها بالحفظ والزواية على الرغم من بساطتها وسذاجة معناها: «إلى هذه الحال صرت يا عشايا وأنا لا أدري» واذك شق شقة أسلم فيها روحه «واخذت «تاجوج» تبكي وتشق جيوبها والنسوة من حولها يبكين ويندبن العاشق الشهيد

ويروى أهل تلك القبائل عن «محلّق» أشعارا لولا ما فيها من غموض لفظها العامى لكانت في الذروة من الشعر الرصين القوي الفياض من ذلك ما قاله وهو بين يدي «تاجوج» قبل أن يسلم روحه :

أتاني يأم قبيل الغنى عباده مسوحك بالعطّر والناس مراضه
حسيسك في الضمير قاطع الكباده تقتلى الزول سريع قبل الشهادة
(أتاني أي حقا، والغنى العشق والحسيس الحب، والزول الرجل)

واليك بعد ذلك ما صار إليه أمر «تاجوج» :
غزا «الهدندوة» عرب «الحران» ف وقعت «تاجوج» أسيرة
بين أيديهم ولم تكمد تستقر في أسرها حتى رآها رجال القبيلة
فجن جنونهم وطار صوابهم وظلوا يتنازعون أمرها فاختلفوا في

ذلك اختلافاً كاد يفضي إلى المناحرة وسفك الدماء ، كل يريد
لنفسه ، والا... فالسيف يحكم بينه وبين منازعه ، وتطير الشرر
من العيون ، وحمى وطيس الخلاف حتى كادت القبيلة يفتى
بعضها بعضاً : واذ ذاك نهض أحد مشايخهم ونادى « تاجوج » من
خبائها ، فلما أطلت منه طعنها بحربة في صدرها نخرت تنخبط في
دمائها ، وبذلك حسم الشيخ النزاع بين أفراد قبيلته ، وأسدل
الستار عن آخر فاجعة من فواجع هذه القصة الواقعة التي لا يزال
أهل السودان يتذاكرونها إلى اليوم
ودفنت « تاجوج » في مكان يقال له (رأس الفيل) بين
قوز رجب وكسلا وقبرها هناك ظاهر يزار





الجندي

مأساة حقيقية وقعت حوادثها بالقاهرة في عام ١٩٢٠

فتى « جندي » من جنود الجيش المصرى معتدل القامة، ساحر العينين ، مشرق الجبين ، وضاح الحيا ، قوى الساعدين ، تلوح عليه آثار القوة الجسمانية ، ريفى ساذج لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، من أسرة عريقة النسب ، شريفة المتمد ، طيبة الارومة ، كان أحد أجداده مديراً للدقهلية في عهد المغفور له اسماعيل باشا ، وكان أكبر أجداده عضواً بمجلس الاعيان في عهد ساكن الجنان عزيز مصر المغفور له محمد علي باشا ، غير أن الايام طوحت بما لاسرته من العز والثروة ، فعاش مع أهله عيش الخشونة والتعسف وما زال حتى جاء دور انتظامه في سلك الجندي فتقدم غير قادر على دفع البذل العسكرى

قصد حديقة الحيوان بالجيزة في بعض أيامه ، واذ هو سائر من ناحية الى ناحية بصر بفتاة جميلة فاتنة الطلعة حسنة البنية ، تلوح عليها سيما الترف والنعيم ، تسير الهوينى مع خادمة زنجيه . وتبعها شاب يغازلها بطرفه مرة وبلسانه أخرى ، وهى تنفر منه وتلقي عليه نظرات المقت والازدراء ، لكنه مع ذلك - لم يستخذ ولم يخجل ، وهاج الفتى الجندي لهذا المنظر ، منظر الفحش يصارع العفاف ، غير أنه حبس في نفسه آلامه وراح يتبع الفتاة ليرى ويسمع من أمرها وأمره إلى النهاية

ضاق الفتاة ذراعها هذا الشاب الذي سد عاينها مسالك سيرها ،
ولم يعد يقع نظرها إلا على حركاته الطائشة ولفقاته المخزية المريبة
فأخذت تصب عليه اللعنات وتقذف في وجهه بالشتائم ؛ ثم نظرت
إلى الفتى الجندى نظرة تشف عن معنى الاستغاثة والاستنجاد فلم
يلبث الجندى أن تقدم إلى الشاب يزجره ويقبح عمله بلهجة ريفية
خشنة ، فغضب الشاب لذلك وطفق يحقر الجندى ويتوعده
وهاجت لذلك هائجة الجندى فاندفع إلى الشاب ثم ضربه على رأسه
ضربة قوية صاح منها صيحة خف على أثرها رجل البوليس ولما
رأت الفتاة شجاعة الجندى ومروءته وغيرته على الشرف وحبه
للنجدة تقدمت إلى رجل البوليس وأفهمته ما كان من أمر الشاب
وقحته وما كان من أمر الجندى ومروءته . ورأى الشاب أن
ينصرف من مكانه في غير مشادة أو تشبث سترأ لأمره وفراراً
من الفضيحة . وافترق الجميع بعد ذلك كل إلى ناحية يقصدها
وخرج الفتى الجندى بعد قليل من الحديقة إلى محطة الترام
يرقب القطار الذي يقله إلى معسكر فرقته . وأنه لفي ترقبه وإذا بالفتاة
تقلها سيارة فخمة وإذا هي تشير إليه بالسلام إشارة هي في غير لبس
عبارة ناطقة بكل معاني الإعجاب والاحترام ، فأجابها على ذلك
بأشارة خجلة حياء استولت عليه بعدها هزة أوقفت الدم في عروقه
وضاعفت خفقان قلبه وظهرت على أسارير وجهه علائم
الحجل والحياء

ثم ركب الترام ونزل بعد قليل إلى معسكره ، وأخذت ذكرى
هذا اليوم تفارق مخيلته يوماً بعد يوم حتى أتى عليها النسيان

وغطت عليها الحوادث ومضى عليها أربعة أشهر أو تزيد
ثم جاء دور حراسة فرقته لخزينة وزارة من وزارات
الحكومة ، فانتقل معها لأداء هذه المهمة وفي ساعة من ساعات
الصباح وقف الجندي للحراسة على عادته فاذا بنافذة منزل رفيع قد
فتحت واذا بفتاة وضاحة الجبين ساحرة الابتسامة قد أطلت
مشرقة متهللة ، ثم خالس النظر اليها مرة أخرى فاذا هي تنظر اليه واذا
بنظراتها تساقط عليه نوراً وضاحاً . واذا بتلك النظرات مشفوعة
بالابتسام والإشارة الناطقة كأنها تعيد بها الى ذاكرته
عهداً سالفاً

وكاد الفتى ينسى موقفه (زنهارة) ويخف لهذه الاشارات
التي أخذت تشير بها اليه كأنها كانت تعرفه قبل اليوم وكأن
بينهما سابقة عشرة وود ورفقة . أما هو فلم يقو على النظر اليها
أكثر من تلك النظرات العجلى واللفتات الحذرة السريعة !
ومضى زمن حراسته في ذلك اليوم وذهب الى غرفة الجندي وهو
لا يعرف من شأن هذه الفتاة غير ما رأى وهو لم ير إلا صورة
غريبة حيرت عقله الساذج البسيط

ثم عاد الفتى في مثل هذا الموقف في مثل هذه الساعة في اليوم
التالي . فرأى في يومه صورة جليلة لما رأى في أمسه ، وقد ارتسمت
على شفتيه هذه المرة ابتسامة لم يعرف لها سبباً وخفق قلبه خفقاناً
متواصلاً وقد رفع نظره الى النافذة مرة بعد أخرى فلم يلق الا
ابتسامة حلوة تتبعها إشارة السلام . ثم ظل يدور بنظره حول
نفسه ليرى هل علم رفاقه من أمره شيئاً ؟ وهل رابتهم هذه

النظرات التي اخذ يلقيها على النافذة من حين الى حين ؟
وكان لذلك كلما التي نظرة عزم أن لا يعود لمثلها خشية الرفاق
وحذر المارة في الطريق غير أنه لم يكن يقوى على انفاذ هذا العزم
ولم يعد في استطاعته الصبر على مثل هذا الموقف لا لأنه أحس
بين جنبيه خفقان حب أو لوعة غرام . فانه لم يكن ذاق للحب طعماً
حتى هذه الساعة . بل كل ما كان من أمره أنه أخذ يشعر بجاذبية
حوالت اتجه نظره الى هذه الناحية دون سواها

وكان الفتى في هذا الموقف وسطاً بين الخفة والرزانة . بيد
أنه لم ينبج مما كان يخشاه . ويتوقعه من رزاقه فانهم شاهدوا من شأنه
كل شيء . وعرفوا من أمر هذه النافذة أكثر مما عرف . ووصفوا
ما شاهدوا وشهدوا بما علموا عند ضابطهم . فأحضره وسأله عن
جلية أمره فأجابه بما رأى وشاهد وليس في لهجته ما يدل على كذب
أو رياء وقرأ الضابط بين أسارير وجه الفتى سطوراً متلائماً من
نور الصدق والطهارة فاكثف بنصحه ولفت نظره الى أن
الاخلال بموقف الحارس الأمين والجندى الطائع يعاقب عليه
قانون العسكرية أشد عقاب

وجاء دور حراسة الفتى في اليوم التالي فأخذ مكانه وقد
ارتسمت أمام عينيه صورة مهيبة مروعة من نصائح ضابطه بالامس
لكنه لم يكد يستقر في مكانه حتى فتحت النافذة وأطلت عليه
منها الفتاة كما أطلت من قبل . وخالسها نظرة ثم أردفها بأخرى
فبصر بها تشير اليه كما كانت تشير بالامس ، فوقف حيال ذلك

واجما سا كنا لا يتحرك وراى الفتاة طول سكونه على غير عادته
ثم فطنت للأمر ولما عسى أن يكون قد وقع
لذلك أحبت أن تستطلع الأمر بحليته فعمدت الى قلبها
وكتبت اليه هذه الكلمة . (١)

(ان اليوم الذى رأيتك فيه بحديقة الحيوانات بالجيزة منذ
أربعة أشهر كان أول يوم لشعورى بالحياة ومعركة شقاءها
وسعادتها وقد رأيت فيك الفتى الغيور على الشرف المحب للنجدة
بل قد رأيت فيك نوراً ملاً قلبي سروراً وزاده خفوقاً . ولعلك
تذكر اني مررت عليك وأنت تنتظر الترام وأشرت عليك
وكنت أعلم أن هذه الإشارة ستؤثر في نفسك كثيراً ولكنتى
كنت أرى أنها واجبة على وقد قدمتها اليك مشفوعة بابتسامه
إعجابي و... ثم لما اسديته الى من المعروف . وكما انا سعيدة
حيث أراد الله أن أراك كل يوم أمام منزلنا . كنت منذ رأيتك
بالحديقة نفسى تحدثنى بك وأقول . هل أراه مرة ثانية ؟ أم هى
الصدف التى لا تعود . وما زلت حتى رأيتك هنا لأول مرة
فصفق قلبي طر بالذلك وأشرت اليك بالسلام فأجبتنى بابتسامتك
الجميلة فلما عدت الى ذلك رأيتك لا تنظر الى ناحيتى فقلت ماذا
جرى ثم قلت فى نفسى اكتب هذه الكلمة لأخبرك عن نفسى ،
واذكرك باليوم الذى رأيتك فيه وستمر خادمى من امامك فى

(١) بعض ما تبودل من الخطابات فى هذه القصة نشبهه بنصه وقد وصل
الينا من أحد البطلين فنحن نشره كما كتب بعد أن نحذف منه ما من شأنه
ان يعرف أحد الكتابين

اليوم المقبل لتسليمها الرد واقبل منى في الختام سلامى واخلاصى

هـ

حملت الخادمة خطاب سيدتها ثم وقفت بالقرب من الجندى وظلت واقفة حتى خلا المكان به وتقدمت ثم سلمته الخطاب فتناول به يد مرتجفة وقلب خافق متفزع . وقد خيل اليه وقتئذ ان كل شئ حوله عيون ترصده وترقبه وان الضابط والعسا كروكل من كان بجانبه قد رأوا من أمره وعرفوا ما ينخلع لمجرد ذكر قلبه

وكان الفتى - كما أسلفنا - أميا لا يقرأ فأشقه جهله كما سيشقيه حبه وقد ظل محتفظا بهذا الخطاب طول يومه وهو فى حيرة من أمر نفسه لا يدري ماذا تحمل هذه الرسالة اليه أو ما ستجره عليه وبقي فى هذه الحيرة يوما كاملا . تتنازع عوامل الخوف والرجاء وهو أخير من دمة الوجد فى مقلة الصب ، يدفعها الحب ويمنعها الحياء

الخطاب فى يد الجندى لا يعرف مافيه وإذا كان لابد من أن يعرف مكنونه فلا بد أن يسلم أمر نفسه لواحد من رفاقه عارف بالقراءة يصطفيه لهذا السر الذى يود ألا يذاع حتى يعرف ماسيجرى به القضاء

وإذا «فعبد العزيز الصعيدى» رفيقه فى اغتراب الجندية والامين الطيب القلب هو الذى يقرأ الخطاب ، وقد فعل ، وتشاورا فيما يجب أن يكون فاتفقا على أن يكتب عبد العزيز الصعيدى خطابا للفتاة على لسانه ومرت الخادمة فى اليوم التالى

فأسلها الخطاب وفيه بعبارة ساذجة مملوءة بالاغلاط الاملائية :
 أنه الآن تذكري يوم الحديقة وأنه يشكرها لأنها « تنظر اليه » .
 ووصلت الخادمة إلى سيدتها بهذا الخطاب فقرحت به على ما فيه
 من بساطة وسذاجة ، ثم عمدت إلى ورقة ثانية كتبت اليه فيها
 تطلب مقابلته في « حديقة المنيل » وعادت الخادمة بها فتسلها بيد
 أشجع من ذي قبل ، ولم يكده ينتهي موقفه حتى طار بها إلى رفيقه
 الأمين فقراً عليه ما فيها فامتقع لونه ، وخفق فؤاده ، وحارت
 نظراته - الجندي الريفي الساذج يجب أن يلقي غداً فتاة هذا القصر
 الرفيع . يجب أن يلقي غداً مظهراً من مظاهر الترف والنعمة وهو
 هو ابن القرية الخشن والفلاح الأحمى ؟ له الله ؟ بأي لسان غداً
 يتكلم ، وفي أي موضوع يتحدث . أفي الأدب والاجتماع
 والسياسة والاجواء ولا علم له باسم من هذه الاسماء - ؟ أفي
 التربية العلمية وما اليها من حياة المدرسة وأطوارها . والكتب
 وأخبارها ، ولا علم له بقليل ذلك أو كثيره ؟ . لتقذف به الاقدار
 كيف تشاء ولتجر على لسانه ما تشاء !!!

في أصيل يوم الجمعة وفي « حديقة المنيل » جلست الفتاة
 ومعها خادمتها على مقعد هناك مظلل بأغصان الاشجار في زاوية
 من زوايا الحديقة وظلت ترقب الطريق . ثم حل الموعد ومضى
 من الوقت فينة طويلة ولم يحضر معشوقها ومالك هواها . وبقيت
 ترقب الطريق ساهمة الوجه سادرة النظر تلعب بفؤادها الوسوس
 والهواجس ورأت الخادمة من سيدتها علائم الهم بادية على

وجهها المشرق الجميل كما تبدو الغمامة السوداء على وجه القمر ،
فأخذت ترفه عنها وتسرى همومها . وانها لكذلك وإذا بالجندي
قد أشرف عليهما من بعد وما كاد يقترب من مكانهما حتى بدت
عليه علامات الاضطراب وظهر التعثر والخجل في مشيته ، ففطنت
الفتاة لسبب هذا وعليت أنه لم يكن غير التهيّب من مكانتها
ومستواها الرفيع فاعترمت أن تجعل حديثها اليه في هذه المرة
مقصوراً على نحو هذا الاثر من نفسه وتشجيعه على لقاءها كلها
وجدت الى ذلك سبيلاً

أقبل الفتى وعمد إلى مكان الفتاة بعد أن تيسر لها ، وعرفها
بوجود خادماتها الزنجية الى جانبها فابتسم للقاءها عن حياء وخفر ،
ثم جلس اليها فكان صمت وسكون !!! فجعلت تسأله في رفق عن
بقية ما عسى أن يكون قد حدث في يوم الحديقة « حديقة
الحيوانات » بعد ان فارقت هي المكان . فأخذ يجيبها على ما تريد
بلهجة هي مزيج من لغة الحضر ولغة الريف وكان سبب هذا الخلط
في لهجته انه عمد إلى محادثاتها في أسلوبها الحضري ثم غلب عليه
طبعه فنسى خلط فلاحته عليه سيما الخجل حين تنبه الى أسلوبه
المشوش المضطرب . وأرادت الفتاة ان تزيل عنه هذه الحالة
فبدأت تحتال في حديثها على استحسان لهجة الريف والاعجاب
بها ؛ وما كان لغير الصباية واللوعة أن تجمع بين فتى القرية الغرير
وبين ربيبة النعمة والقصور ، هذا في ميعة صباه وغصن شبابه ،
وتلك في أعطاف النعيم والعز المقيم ، ترفل في ثوب الملاحاة
والصباحة وما كان لأحد على قلبها من سبيل

تحدثت الفتاة إلى الفتى بما شاء لها الحب أن تتحدث ثم اقترقا على أن يجتمعا . وظل اللقاء بينهما يتوالى والحب ينمو إلى أن قضت الاقدار بانتقال الفتى الجندى إلى معسكره بالعباسية بعد أن انتهى دور حراسة فرقته

وراح يمشى بين رفاقه ذاهلاً شارد اللب مشدوها . وانه كذلك في يوم من الايام وإذا باحد زملائه يخبره بان فتاة على باب المعسكر تنتظره وتبعث في طلبه فخرج للقاءها خائفا مضطربا ومشى إلى الباب الخارجى ، فاذا هى فى أفخر الشياى وأزهى الآهاب تشرق على ثغرها ابتسامة لا تريد أن تفارقه وهو فى ثوب « التمرين العسكرى » الأصفر وطاقيته البيضاء مائلة على رأسه إلى أسفل جبينه

أما الفتى فاقبل عليها لا ينطق فى وجهه غير ابتسامته الحسنة الحارة . وأما الفتاة فبدأت الحديث لا تترى لتسمع منه قولا وقد أرادت أن تسرى عن فؤاده المضطرب بما جعلت تقص عليه من أمرها فى خلال غيابها عنه ، واستجم الفتى ففتح الله عليه فتكلم ، وهى لحديثه مستمعة ، ولحمياى المشرق رانية ساهمة وكان الحديث فى غير موضوع ولغير حاجة سوى شوق بعث بها اليه ، ثم اقترقا ! وكان لقاء ؛ ولم يمض غير ليلة ، ثم تلاه لقاء ولقاء ، واستمر الامر على ذلك أياماً طوالا والفتاة لم تزد بالفتى الا هياماً ؛ ولم يعد فى طوقها الصبر على غيابها ثم خف بها الهوى فلستأجرت « غرفة مفروشة » فى نهاية العباسية بالقرب من المعسكر وجعل الفتى يتردد عليها من حين الى حين كلما انتهى من واجب الفرقة

في ساعات فراغه وهي كذلك في بادئ الأمر كانت تكسفي بالتردد
على هذه الغرفة في الاوقات التي تظن أن يكون بها
— غير أن الهوى جنون... وحنونه فنون ، فلقد عولت
الفتاة على المخاطرة في أقتل ساحاته !!

افتضح أمر الفتاة عند أهلها وعشيرتها . ومن هم أهلها ؟ انهم
قبيلة من العرب المتحضرين ساكني المدن الذين يشار اليهم بالبنان
في علو الهمة وعراقة المحتد ، غضب هؤلاء القوم لشرفهم غضبة
الأسود فمثلوا بالفتاة وعذبوها ما شاء الله أن يفعلوا ، وضائق
بهذه الآلام ذرعاً ، وعبثاً حاولت أن تكشف لهم عن ذات نفسها
بما تحمل لهذا الفتى من الحب والهيام ، وقطع اليأس نياط الأمل
فلم تجد غير الهرب وسيلة تسكن بها الى مالك قلبها المحبوب ؛ لذلك
جمعت - في خفية - قليلاً من لباسها وحلبها ثم بعثت به خادمتها الى
« غرفتها » بالعباسية ولحقت هي بها في مساء اليوم

وجاء الفتى وهو لا يعلم بما عولت عليه شيئاً ، ولما التقيها
كاشفته بجلية الامر ففرق واضطرب لخطورة عزمها . ولكنه
أخفى كثيراً من فرقه واضطرابه ، ثم قال : وأى غاية نصل اليها
بعد ذلك يا ... فاجابته . غاية شريفة نبيلة سامية ، ليس الا أن
أصبح لك زوجة ، أتزوج بك وأعيش لك كما يقضى بذلك العدل
الالهى والحب القدسى ، أتزوج بك وأعيش لك كما يقضى الوفاق
والهوى ، رضى عرف الناس بذلك أم لم يرض

- يا سيدتي . الزواج اكون به سعيداً موقفاً ولكن ولكن ..
- ولكن ماذا ؟ كل شيء في سبيل الحب والوفاء سوف
لا تقف في سبيله عقبة وثق أن الله الذي خلق القلوب وخلق معها
هذا الحب أكرم من أن يعذبنا أو يقهرنا في سبيل الزواج والحياة
المطمئنة الجميلة الباسمة ان جال بخاطرك رفض أهلك أو تخوفهم
مما يضمن المستقبل فجدير بك ألا تخبر أحداً بأمرنا ، ولى ثروة
ورثتها عن أبي المرحوم لا يمكن أن تضع بسبب اختفائي
المؤقت فلا بد أن أطالب بحقي من عمي ، ولا بد أن أحصل في
القريب على كل ما ورثت من أبي ، لا ، لا بل سيرضى أهلي بعد
أن يروا الزواج حقيقة واقعة وسأعيش معك في هناء

غابت الفتاة عن منزلها . وترقب أهلها عودتها في مساء اليوم
الذي خرجت فيه . ولكنها لم تعد . فأسقط في يدهم . وعلموا أن
ما كانوا يخشونه قد وقع وأن الفتاة « هربت »

أما الفتى ففى أجازة يومين اثنين ببلده وهو يكشف أهله
بجلية أمره . والذهول يستولى عليهم . ثم لا يجدون في أمر ابنهم
حيلة . وأى حيلة يجدون وسيصبح ابنهم في الغد زوجاً لابنة
السراء والنعمة

هو في القاهرة . وقد لقي الفتاة - ومضى على هربها أربعة
أيام - أما أهلها فكانوا أبلغوا الأمر الى أقسام البوليس للبحث عن
فتاتهم المتغيبية ... تشاوروا في الأمر . والامر جليل - من سيعينها
على عقد الزواج ، ومن في هذه المحنة نصيرهما ؟ لا أحد الا الله
وللغنى أحد الجنود الاقدمين الذين قضوا مدة الخدمة بالجيش

ثم انخرطوا في سلك أعمال (الخاصة الملكية) ذلك الرجل هو
عونهما ، وهما في منزله بل في حجرتيه القدرتين في عطفة صغيرة
ضائعة بين حارات (المناصرة)

هذا الرجل نذل وجبان وهو فوق ذلك لص يلبس مسوح
الزهاد . طمع في حلي الفتاة وملابسها ورأى ان أحسن وسيلة
يخلص بها منهما أولا هي أن يشير عليهما بأن يقدمتا نفسيهما الى
المحافظة ليكون الزواج رسميا . وانه ليعلم أنهما سيعرف أمرهما
بمجرد حضورهما الى المحافظة وأنهما لا بد يفترقان بعد ذلك الى
الابد ، واذن « فالامانة » التي عنده من الحلي والملابس تصبح ما كان
له ولزوجته ؛ وكان ذلك !!!

فقد ذهبت الفتاة والفتى بقلب طيب ونية سليمة يعرضان
أمرهما لمحافظة العاصمة عل في ذلك ما يكسب حياتهما تأكيذاً
المحافظ — من أنت ؟

الفتاة — أنا ... فلانة بنت المرحوم فلان أحب هذا الفتى
وهأنا بين يديك أعترف بهذا وأصر عليه وسأتزوج منه واشهدك
على كل هذا

المحافظ — يستطلع أمر الفتاة بعد ان يجلسها في احدى غرف
المحافظ يحرسها جنديان فاذا هي الفتاة التي ابلغ عنها أهلها أقسام
البوليس والمحافظة بسبب تغييبها

واذ ذاك أمر المحافظ بتحويلها الى القسم الذي تتبعه ومعها
الفتى الجندي لاجراء ما يلزم نحوهما

كان الليل قد أقبل وهما قد وصلا الى القسم والمأمور في ساعات راحته . أما الضابط المكلف بالعمل فكان أول عمل قام به هو أن أبلغ خبر حضورها الى منزل أهلها تليفونيا . والقيم على أمر الفتاة هو زوج أختها . لكنه تعثر في خجله ، وعز عليه أن يمضى الى قسم البوليس يتسلمها على مرأى من الناس فتباطأ في الذهاب ومضى الهزيع الثاني من الليل والفتاة والفتى في غرفة من غرف القسم لا يعرفان عن مصيرهما شيئاً . وأحست الفتاة بالجوع فبعثت بواحد من الجند في طلب طعام وحلوى ، وكان الفتى قد أغفى بعد تعب اليوم وهمومه أما هي فلم تنم وقد نظرت الى الفتى في اغفائه فاذا هو في عينها أجمل واقن منه في يقظته . ورأت أن « بنطلونه » لا يستر ركبته فخلعت نصف ملاءتها الاعلى تستر به ركبته وتقيه عادية البرد . وحضر الجندي بالطعام فلا هي تقوى على ايقاظه من غفوته - والنوم راحة تطلبها له - ولا هي تود ان تأكل وحدها - وهي تعلم أن به ما بها من الجوع - وانها لكذلك واذا هو يفتح عينيه فاذا بنصف ملاءة الفتاة يستر ركبته . واذا هي يهزها البرد وتستولى على جسمها الرعشة الشديدة !!!

واذ ذاك بكى الفتى وحق له أن يبكي . بعد ساعات قليلة طلع عليهما الصبح بنوره فلم يكن الا نذير الفراق الابدى

حضر أهل الفتاة فتسلموها . وأطلق مأمور القسم للفتى الجندي حريته على أن يمضى الى فرقته بعد أن يدفن في قلبه ذكريات الماضي ؛ فلا يتحدث بها ولا يفضح من أمرها شيئاً . ورأى المأمور أن ذلك خير وسيلة لستر هذا الشأن والابقاء على

سمعة الاسرة المسكينة

وكانت لحظة رهيبة . حين انتزع الفتاة أهلها وهي تزفر
وتتملبل ، وهو ذاهل مروع
مضى الفتى الى فرقته حزينا كئيبا ، ومضت الفتاة الى حيث
لا يعرف أحد عن أمرها شيئا . ثم ارتحل مع فرقته الى مديرية
الفيوم فقضى بها الاشهر الباقية فى مدة خدمته وعاد الى بلده يحمل
فى قلبه هما وكدا . ولكن الهوى عاد فحرك من ماضى شجونه
ما دفع به الى السفر للقاهرة عله يظفر بقلائها . وهيهات !!!

عاد الفتى الى قريته بعد أن قطع الأمل نياط أمله ، والفتاة
لا يعرف أحد من شأنها شيئا
أما هو فمات بعد أيام من عودته بسبب حمى فى الرأس
وأما هى فلا يعرف كاتب هذه الكلمات ولا سواه
خاتمة حياتها

تلك هى الضحايا الآدمية تذهب فى سبيل الفوارق الاجتماعية
الواهية ، وتلك هى مظاهر العظمة الخداعة تدعى لسلطان الحب
الطاهر البرى . فتأبى تقاليد الحياة إلا أن تفجع القلوب وتفرق
بين المحبين





وساوس المرأة !!

لا أجد في نفسي عيبا سوى غروري بحسن هندامى واعتدال
قوامى !! واعنة الله على المرأة فما نظرت إليها مرة إلا وسوست الى
بوساوس جنونية لولا لطف الله لأوردتنى موارد الهلاك ، فكلما
وقفت أمامها مرة تجمع في رأسى غرور أبالسة الكون وشياطين
العالم أجمعين ، كم زفرة أرسلها إثر زفرة ، وكم حسرة تولتني بعد
حسرة ، على ذلك الشباب الغض الذى أصوح غصنه بين الكتب
والمحابر والناس بشبابهم ينعمون وفي دنياهم الباسمة يمرحون .
أقول لنفسي كلما وقفت أمام المرأة: فتى أنت يا... فى ميعة الصبا
وعنفوان الشباب !! طامحة مشرقه ، وابتسامة حلوة جذابة ،
ولفتات فاتنة ، وقوام منسرح ، وهندام منسجم !! كل هذا تجود
عليك به الطبيعة المرحية المتهللة ثم تأبى إلا أن تحترق طائعا مختاراً
فى ساحة الاوهام السخيفة أو هام الشعراء والادباء والعلم والعلماء ،
وأن لهُو الشباب وأنت فى عقدك الثالث ؟ بل أين مرح الصبا
والغزل وأنت أنت الفتى ال.... الجميل أجل أنت الفتى الجميل
المحبوب ، وهذه دنيا الشباب أمام عينيك تفتح لك ذراعيها فلا
تقبل عليها أو تستروح نسيمها ، أولئك غيد مصر الفاتنات يرمقنك
ملء العين ملء الفؤاد ماذا عليك إذا رحمتن فعمطفت على قلوبهن
وغامرت فى ساحة هواهن ولعبت بألبابهن كما يلعب الشباب
تلك وساوس المرأة !!! طالما عصمت برأسى ، واختلجت
بها نفسى ، وهذه أو هام لا شك انها قطعة من الجنون ، لا تزال

تزدحم في مخيلتي ، واني لا ذكر - والعهد قريب ليلة خرجت من
منزلي أتهدى كما يتهدى الطاووس وهذه الافكار السخيفة تملك
على مشاعري وتلعب بلي

مضيت أتخطر « والغرور » يملأ نفسي إلى أن وصلت إلى
نهاية شارع طنطا حيث يكثُر رواح غادات مصر الجديدة
وغدوهم !! هنالك في نهاية هذا الشارع وقفت - ولا أنسى
ما حييت - فاذا فتاة وامرأتان ليس فيهن إلا رائحة الحسن فاتنة
اللبحات ، وقفن يرقبن « المترو » ووقفت أرقبه مأخوذاً بجمالهن ،
لا أحول عنهن طرفي ، حتى لا أحسست كأن سحراً ينبعث من
عيني الصغرى إلى قلبي

كانت الفتاة كثيرة الحركة ، تدور حول رفيقتها ضاحكة
لاعبة ، وكان موقفها منهما يخطف بصرى اليهن جميعاً . وترمقني
الفتاة ثم تبتسم ، فأرمقها وابتسم !!!! وتلفت نظر صديقتها إلى
في سذاجة ومرح . وأرى بعيني كل ذلك فتدب نشوة « الغرور »
إلى قلبي ! فأعتدل في وقفتي وأصلح من بزتي وأقول في نجواي :
أيه يا فتى لقد ظفرت بها !! ولم لا تظفر بها وأنت الفتى
الممراح « الوجيه » المشرق الضحوك ، أنت في ميعة الصبا وريعان
الشباب ، ريان العود ، فلم لا تكون قد وقعت في نفسها كما وقعت
في نفسك ؟

وكذلك شغلني التغزل بنفسي عن التغزل بها ، ووقفت شامخ
الأنف ، مزهواً ، التي عليها النظرة بعد النظرة كأنني أقول لها ها أنا
ذا يا عادة !! أترين في الشباب أجمل وأقن من هذا الذي ترين ؟ . .

و جاء القطار فركبن وهن لا يحولن عنى طرفا ، ونظرت
الصغرى كأنها تسألنى الا تركب ؟ فوثبت إلى القطار وكان قد
تحرك بالمسير ثم قلت فى نفسى :

ويحى !! لم لأرحم هذه الفتاة فأقدم اليها وأعرض عليها نزهة
جميلة على ضفاف النيل فى هذه الليلة المقمرة فنطوف الجزيرة
ونستنشق النسيم ، أياكون هذا العرض من جانبي تضحية أو مذلة
والفتاة بارعة الحسن هيفاء جديرة بأني تحل من قلبي موضع
الا كبار والتقديس ؟ لكنهما مع اثنتين فماذا أصنع ؟

وإذ كانت هذه الخواطر تطوف برأسى وقف القطار فى
أول محطة ، وصعد منها إلى جانبي صديق عزيز طالما شاطرني
مواقف اللهو ومخاطر الشباب

قلت أرايت ؟

قال ماذا ؟ صالون الحریم ؟

قلت لا سواه ، وهل رأيت أبرع من هذا الحسن حسنا ؟

قال من منهن تعنى ؟

قلت الصغرى

قال بل الوسطى يا أعمى !

قلت اختر من تشاء ، إلا الصغرى فهى من نصيبى ، ودعنا
من هذا الجدل السخيف ، وتعال نفكر فى هذه الليلة كيف نقضيها
فى سبيل الهوى والشباب . علينا أن ندبر الامر قبل أن ينتهى
الطريق ، وأحب أن تتذكر جيداً تاريخ اليوم !! فنحن فى اليوم
السابع والعشرين من الشهر ، أى أن مثلى لا يملك إلى آخر الشهر

غير اجرة الترام الذى يقله كل يوم إلى الديوان وهى التى نحرص
عليها دائماً بعد سداد مطالب الجزار والبقال والترزى وصاحب
البيت و... هل فهمت؟

فابتسم ثم قال لا تخف « الجيب عمران »
قلت أذن كن مستعداً

وبقيت بعد ذلك سابحاً في الخيال طائراً في سمائه إلى أن
ايقظنى عامل التذاكر:

- تذكرة يا بيه

- ابونيه !!

ولعنة الله عليه فقد أطار هذه الأحلام من رأسى !!!
أما صديقى فعلى الرغم من أنه يحمل تذكرة اشتراك كالتى
أحملها فإنه طلب منه ثلاث تذاكر ثم أشار له بيده إلى صالون الحريم
- يا خبر زى بعضه !! انت اتجننت يا محمد ازاي تاخذ لهم
تذاكر كده مرة واحدة من غير تمهيد؟

فقال إلى أذني هامساً. أيها الأحق ستفضحننا برحمتك، لقد
جعلت ثمن هذه التذاكر شر كأنقنص به الصيد، ومهدت لذلك
بإشارة أشرتها اليهن حين أطلت علينا صغراهن من شباك
الصالون، فدع الحديث والثرثرة في هذا الشأن حتى لا تفلت
العصافير من أيدينا !!

وظل « المترو » يخطف بنا الفضاء في ضوء القمر، والوجه
الحسن يلحظنا من الشباك حيناً بعد حين، وكذلك كانت لحظات
خالدة في ركب الليالى، نعمت بها، واستروحت من عيرها نسيم

الخلود ، أجل فقد طار بي الخيال إلى آفاق الآمال آمال الشباب
المشرقة المتهللة ، وقلت ما أهواني بصغراهن . وما أسعدني بها ،
الا تكون هذه أمانة فؤادي في هذا الوجود الصاخب ؟ أسكن
اليها وتسكن الي ، ألا تكون هذه نعمة الابد يخلد لها قلبي فيستريح
من عبث الشباب ومخاطره ؟؟

وما زلت أهفو بهذه الأحلام حتى وقف بنا المترو ، ونزلت
ونزل صاحبي ، ثم راح يتبعهن في جرأة تلخلخت لها مفاصلي ،
ورحت أخطو نحوه ونحوهن خطوات وجلة حيية . وكان
صاحبي قد سبقني اليهن ، فما راعني إلا أن رأيته يمد يده إلى
الصغرى باسمها ؛ ثم يتحدث إلى رفيقتها ضاحكا ، كل ذلك وأنا من
خلفه اكاد أجن لفرط خوفي وشدة تحيري ، ونظرت فاذا هو
يضحك اليهن وهن يشاركنه الضحك ، وهو في كل ذلك لا يلتفت
إلى صديقه « العبيط » أو يفسر له هذا اللغز الغريب !!

ودنوا من سينما الكوزمغراف فاذا عم صديقي يقف في
انتظارهم واذا هم جميعا يتحدثون ويضحكون

كانت الفتاة ابنة عم صديقي وخطيبته !! والاثنتان إحداهما
أخته والثانية زوجة عمه ، وكانوا جميعا على اتفاق أن يشهدوا
رواية في السينما ، وكانت ابنة عمه « الملعونة » تعرفني ساعة وقفت
أغازلها ولم أكن أعرفها ، ولقد أرادت أن تسخر مني ومن
« غروري » وأراد صاحبي أن يسخر مني هو الآخر حين لمحني
في المترو فركب إلى جانبي . أراد صاحبي أن يشاركن في هذه
السخرية ساعة أبحث له في الطريق بسر هذه « الصيده » وأراد أن

يجعل من ذلك الموقف قصة طريفة يخزيني بها كما عن له ان
يضحك منى الرفاق والاصدقاء
وعرفت بعد ذلك كيف يكون الخجل ! وكيف يزل الشباب
وييهوى بصاحبه الى حيث لا يرضى
لعن الله « المرأة » وفتنتها !! وسامح الله صديقي وابنة عمه
والآن سأتوب م



Λ-ρ



الآلىء الخداعة

الهزلي، الخراء !!

صديقي وزميلي محمد افندي... شاب في ميعة الصبا، وسيم
الطلعة، رقيق الحاشية، متوقد الذكاء.

توفر على دراسة الآداب بعد أن قطع مرحلتى تعليمه الابتدائي
والثانوى ونال شهادة البكالوريا، وظل يكتب إلى الصحف أول
عهده بدراسة الأدب بحوثاً أدبية وفصولاً تاريخية كان بعضها يظفر
برضا أصحاب الصحف فينشر بتوقيعه المتواضع «م. ح.» ولم يكن
يطمح في أن يتقاضى على رسائله أجراً أو أن يصبح «محرراً»
باحدى الصحف لانه في ذلك الحين كان يعيش من ثروة أبويه
عيشة الرغد والرخاء وكان ينظر إلى التعليم العالى في مصر نظرة
المقت والازدراء لان برأيه - فيما يعتقد - جافة لا تروى غلة
الطالب الذكى الراغب في التبحر والافاضة، لذلك عكف على
الدراسة الحرة والاطلاع الواسع فراح يبتاع الكتب العلمية
والادبية فيشبع بها شهوة عقله الشائرة ويذهب إلى دار الكتب
صباحاً ومساءً لينهل من مواردها العذبة مما لم يستطع الحصول
عليه من الكتب المتداولة

وهكذا ظل محمد افندي... ينعم بحياته الدراسية الطليقة،
ويمرح في نعماء والده، ويتفياً ظلالها الوارفة، لا يكدر صفوه
مكدر سوى تأنيبهما له على ترك المدرسة والاشتغال بالأدب
والكتابة للصحف وتضييع الوقت فيما لا ينفع ولا يفيد!! وهو

على الرغم من لومهم له وتعنيفهما إياه لم يكن لينبأ بلومهم -
وتعنيفهما أو يتحول عن طريقه الذي حبه وهام به حتى ملك
عليه قلبه وحواسه

ومات أبوه فتملك ثروته من بعده وراح ينفق منها عن سعة،
ويمرح في ربيع الشباب، فلم يدع باباً من أبواب اللهو إلا ولجه،
وظل في سكرة الشباب والفراغ والغنى نشوان لا يفيق ولا
يفكر في عاقبة أمره أو يرعوى عن غيه ونزقه

ثم ماتت أمه فورث البقية الباقية من مالها وظل سادراً في
غلوائه ومبازله حتى بدد كل ما يملك وعاد إلى كتبه واجما حزينا،
يقرأ، ويقرأ، لكن القراءة والبحث لا يدران مالا وهو لا بد أن
يعيش كما يعيش الناس، ولا بد أن يكبد ليحصل على طعامه وكسائه
فهل تدركه حرفة الادب فيأكل من شق قلبه كما يأكل الادباء؟

هو الآن في إدارة الصحيفة التي اشترك في تحريرها يعرض
أمره على صاحبها ويطلب عملاً في إدارتها أو تحريرها. وكان قد
غاب عن مجلسنا شهوراً عديدة فلم أعرف مصيره وما آل إليه
حاله. والتقيت به خارجاً من غرفة المدير مطرقاً حزينا رث
الشياب تبدو عليه دلائل الهم والفاقة، وسلمت عليه ذاهلاً لفرط
اشفاقى عليه وسألته:

- كيف حالك اليوم وماذا حال بينك وبين مجلسنا وسهراتنا؟

فتلغثم وغص بريقه وبدت على وجهه علائم الخجل ثم قال:

- لا تسأل كيف حالي فإن الكتاب يعرف من عنوانه،

وسلني علام عولت ومن أي الاعمال ستعيش أجبك: انني

فقدت ثروة أبوى و غاضت ابتسامة الحياة و جف موردها فلم يبق
الا أن أعمل كما تعملون ، وها أنا اليوم في داركم التمس عملا ، وقد
وعدنى مدير كم ان ابدأ العمل بعد أيام

ولم تمض ايام قلائل حتى اصبح صديقي القديم محمد افندى
« زميلا » لى فى التحرير نظير عشرة جنيهات يتقاضاها عن كل شهر
ومنذ ذلك اليوم لم يعد يفكر إلا فى عمله الجديد !! اما سهراته
الأولى ، ولياليه الطويلة الحمراء و غزله و حبه و اناقة و زهوه فقد
طوت صحيفتها الايام ، و اتت عليها الاعوام

كان بين ابناء الاعيان « وجيها » انيقا معروفا بحسن هندامه
و فاخر ثيابه و كان « صديق الادباء » يغشى مجالسهم إذا فرغ من
هوه و سهراته ، يساجلهم الشعر و يبادلهم الآراء ، و يعطف على
المعوزين منهم فيمد اليهم يد المساعدة

ثم تغير حاله فأصبح لا يعنى بتجميل مظهره او يتعهد هندامه ،
فبقايا ثيابه القديمة من « ايام العز » هى كل آماله ، و هو بها قانع
لا يفكر فى الحصول على سواها ، و اندمج بين زملائه الصحفيين
فعاش عيشهم المضطرب « المبهدل » و اختار لسكناه غرفة صغيرة
فى شارع محمد على « بنسيون » يدفع ايجارها جنيهين كل شهر فلا
يبقى فى يده من مرتبه سوى ثمانية جنيهات يحار فى تصريفها فلا
يعرف كيف يسد بها حاجته

وظل كذلك تتقاذفه امواج الحياة و هو لا يتعلق الا بأوهى
اسبابها فاذا انقضى الشهر وجد نفسه قد استدان و استدان حتى
لا يبقى مرتب الشهر المقبل بتسديد ديونه القديمة

وأردت بعض الايام ان اداعبه وكنا قد فرغنا من عملنا
فقلت له :

- بالذمة مخطرش في بالك يا استاذ انك تتجوز ؟
- اتجوز ؟ اعوذ بالله !! يا شيخ خليك عاقل بلاش تخريف
- ليه يا اخي ، ممكن ربنا بوعدك بينت الحلال ، ويكون
عندها قرشين وتعيشوا في الحبات والنبات وتخلفوا الصبيان
والبنات .

- لا يا سيدى من فضلك ولا انا عاوز بنت حلال ولا عاوز
صبيان وبنات خلىنى في حالى يعنى انا قادر آكل اللقمة الا
بطلوع روح !!

- 'يب وماله يا أخى مش يمكن تكون مدبرة ومقتصدة
وتنظم لك معيشتك أحسن من البهدة دى والعيشة المملخطة اللي
انت عايشها

- وحياة أبوك سيبنى بلاش تخريف ووجع دماغ
ومضت الشهور تلو الشهور وصديقى محمد افندى ... لا تزيد
الايام الا « بهدة » واضطرابا ، وظل هكذا لا يعرف لنفسه نظاما
يسير عليه فهو في اول الشهر اشد حاجة الى المال منه في آخره ،
والدائنون كل يوم فى ازدياد وحاجاته الى النقود لا تنتهى ولا
تقف عند حد

فى صباح بعض الايام دخل علينا زميلنا محمد افندى ، ونحن

منكبون على عملنا كشاننا في كل يوم ، ثم سلم وجلس الى مكتبه في صمت وسكون على غير عادته ، وحانت منى اليه التفاتة فاذا هو ينظر الى من خلال نظارته محاولا اخفاء ابتسامته تتلجلج على شفتيه ، ولشد ما كانت دهشتي حين رأيته يرتدى بذلة جديدة !!

قلت له - في دهشة واستغراب :-

- ايه الحكايه يا أبو حمده أنت ورثت في حد تاني وأيام العز

رجعت واللى ايه ؟

- لا ، مورثتش ، دى بذلة العرس

- العرس ؟ تكونش بتحلم ؟

- لا والله صحيح

- صحيح ايه يا شيخ بلاش كلام تهليس

- بذمتى بكلمك جد

وما دام الكلام جداً فقد كان لا بد أن أقوم الى مكتبه كما قام بقية الزملاء ، وهنأناه على زواجه المفاجئ ، ثم بقيت الى جانبه كمن يدفعه الفضول الى معرفة أمر من الامور . ولمح هو في عيني خيال اسئلة كثيرة تطيف برأسى وتهبط الى شفتي فتكاد تدفعها الى شتى الاستفهامات فقال :

أراك تهتم بالكلام ثم تحجم ، وأحس كأنك تريد أن تسألنى . كيف أقدمت على الزواج ؟ أغنية هى أم فقيرة ؟ أهى جميلة ؟ أنت سعيد بها ؟ كل ذلك تريد الجواب عليه أليس كذلك ؟ قلت : ترحمنى إذا تفضلت بالاجابة فاني لا أكاد أصدق اذنى . فانفجرت شفته عن ابتسامه هادئة وواصل حديثه فقال :

- أقدمت على الزواج - وأنا كما تعلم لا أملك من حطام هذه الدنيا غير مرتبي الضئيل الذي لا يفي بحاجاتي الضرورية - بفضل كرم هذه الأسرة الطيبة التي شجعتني على الاقتران بهذه الزوجة الرضية وهي ان لم تكن غنية لكنها جميلة فاتنة ، وأنا بها مغتبط سعيد ، أما المهر وتكاليف الزواج فقد أعفيت منهما ، وبارك الله في هذه الأسرة الكريمة فقد حفظت عهود أبوي وأخذت بيدي في هذه الايام القائمة التي اجتاز دروبها وشعابها ، وكأنها قد أشفقت علي مما آل اليه حالي بعد موت والدي ووالدتي فظلمتني بعطفها ورعايتها ، وها أنا أصبحت زوجاً سعيداً لا أفكر إلا في هناء زوجتي المحبوبة ، ولقد أخفيت عنكم أمر هذا الزواج بادى الامر كي أفاجئكم هذه المفاجأة السارة ، أما أيامي المقبلة وما تتطلب من سعة وانفاق فلست أخشاها ما دامت زوجتي العاقلة الوفية المدبرة قد تكفلت بها مقابل أن أضع في يدها أول كل شهر مرتبي الصغير ، وعليها أن تدبر أمر معيشتنا بهذا المبلغ الضئيل بما وهب الله من عقل راجح ونفس قانعة ونحن الآن في الشهر الاول أوفي شهر التجربة بتعبير أصح ، وسنرى ما يضر الغيب

ومضت الايام والشهور وصديقي محمد افندي ... لايزداد إلا اغتباطاً بزوجه الصالحة ، ولا يشكو من عشرتها إسرافاً أو تبذيراً وأصبح إنساناً آخر فبدت على أسارير وجهه سمات الرضاء والاطمئنان والابتهاج وأقبل على عمله بروح هادئة ونفس سعيدة وتحدثنا بعض الايام عن حياة العزوبة وما تجر على صاحبها

من متاعب واضطراب و حياة الزوجية الهائلة وما تنتظم من سعادة
و غبطة فأفاض في الحديث وأطرى زوجته وأمتدح أخلاقها
الرضية السامية ، و ذكر كيف أصبح مرتبه الضئيل يقوم بكل
مطالبه ومطالبها ، بل كيف أصبح يجد آخر الشهر مبلغاً صغيراً
مدخراً لطوارئ الأيام

ولم يكن صديقي يشكو من زوجته إلا عيباً واحداً لا يصح في
الحقيقة أن يسمى عيباً ، ذلك أنها مفتونة بحب «اللا لى» الخداعة
فتذهب آخر الشهر لتشتري منها عقوداً وخواتم قد لا يتجاوز
ثمناً في كل مرة نصف الجنيه ، على أنه مع ذلك راض مغتبط مادام
هذا العيب هو كل ما يشكوه منها

... و شاء القدر القاهر أن يفجع الصديق في زوجته بعد أن
قضى في عشرتها أعواماً كان في خلالها أسعد الناس وأوفرهم
غبطة وهناء يتفياً ظلال وفائها وحبها
ثم تبدل حاله فعاد إلى أسوأ ما كان عليه قبل الزواج ، وتجهم
له وجه الحياة ، وثقلت عليه خطى الأيام فعادت مملولة بطيئة
لا يودع منها يوماً كالحال الوجه إلا ليستقبل آخر أبغض من سابقه
واشأم ، وراح يستدين كسالف عهده حتى أثقلته الديون ،
وأصبح في حياة العزوبة المضطربة لا يعرف كيف يدبر أمر
معيشته ، ولا كيف يوفى بمرتبه الضئيل حاجاته العديدة ومطالبه
الكثيرة ، ولكي يخفف عن نفسه بعض هذا العوز أخذ يبيع

في اثاث بيته الذي خلفته له زوجته الراحلة يوما بعد يوم ، وهو
بذلك يمهّد لسكنى « البنسيون » كما كان يسكن قبلا وليعود إلى
حياته الاولى عليها أقل نفقة وأروح بالا من تكاليف شقة
بأكملها وما تستلزم من خادم أو خادمة

وما زال كذلك مضطرب الحال مبلبل الفكر حزينا على
زوجه الوفية لا يبدل الثياب السوداء بسواها حدادا عليها ووفاء
لعهد النضير

ولطالما حزنت من أجله وأشفقت عليه كلما طلب مني أن أرافقه
إلى « صالة البيوعات » ليعرض فيها للبيع بعض أثاثه ليبي بشفقة
مطالبه العديدة المتراكمة ، على أنه في النهاية استنفد كل ما كان
يخويه بيته من أثاث ، ولم يزد إلا اضطرابا في عيشه الانكد ،
 واجتمع على نفسه الجزع على زوجته والعوز المذل فذوى عوده ،
 وغاضت ابتسامته الرقيقة ، فلم تبق الايام منه إلا شبحا يتراوح في
ثيابه الاسود البالي !!!

ولقيني ذات مساء على مشرب قهوة تعودنا الجلوس عليها
فجلس إلى جنبي وأخذ يرسل الزفرة بعد الزفرة حتى لا أحسست
بأنفاسها الحارة تكاد تلتهب

قلت له : ما بك ، وما لك كل يوم في شحوب ووجوم ؟

فأرسل زفرة حارة ومال على هامسا :

أكل ما ألقى من عنيت الايام وقسوتها وما أحتمل في سبيل
العيش وأنت بكل ذلك أدري الناس وأعلمهم بخافيته ثم تسألني
ما بك ؟

قلت :

هذا هم عرفناه وألفناه وليس منا سعيد لقد حسبتك تحمل
هما جديداً

فقال على ثانية وقال :

أجل هو هم جديد ، أليس هما جديدا ان أذهب اليوم إلى
البيت لأحمل منه ما أبتاعه فلا أجد الا غرفة النوم بما حوت من
سرير قديم ودولاب متحطم هما كل ما بقي من أثاثي القديم ،
ثم أنسكب على الدولاب أفتح أدراجيه فلا أجد بها غير الأثر
العزيز الباقي من عهد زوجتي الراحلة

قلت :

وما هذا الأثر ؟

قال :

مجموعة صورها العزيزة ومجموعة العقود والحلى التي كانت
تبتاعها في محلات اللاسلى الخداعة في كثير من الاحيان ، وقد
قلبتها من يدي وأذرفت من الدموع ما شاء الله أن أذرف ، ثم
خطر لي أن أحمل من هذه العقود اثنين واستصحبك الى بعض
هذه المحلات علنا نستطيع أن نبيعهما بقروش معدودة أسد بها
حاجتي

ولم أشأ أن أولم نفسه بالرفض فرضيت مكرها ، وقمنا نقصد
الى شارع الموسيقى

سرنا نتجاذب أطراف الحديث في طريقةنا إلى الموسيقى ،

وهو لا يكاد يعي من الحديث شيئاً لفرط ما به من الهم والحزن
والذكريات الاليمية ، فهو يتحدث مرة ويستمع أخرى لكنه
في الحالين ذاهل مشتبك الفكر والبال

ودخلنا إلى الحانوت فعرض على صاحبه البضاعة الزائفة
التي يحملها وطلب إليه أن يشمنها ففحصها صاحب الحانوت
طويلاً ثم التففت إليه وقال له

العقد الصغير بمائة وخمسين جنيتها ، والكبير بمائتين
وخمسين فنظر صاحبي إليه مرة وإلى مرة أخرى ثم وجم
لاتحرك فيه جارحة ، وبعد صمت طويل نظر إليه
وقال له :

- أجنون أنت ؟ أم أنا الذي جننت ؟

فدهش صاحب الحانوت لهذه المفاجأة وقال :

- أما أنا فلست مجنوناً ، وأما أنت فلا أدري

والتفت صديقي بحركة عصبية وقال :

- إذا لم تكن مجنوناً فهاهنا الثمن

فابتسم صاحب الحانوت ومد يده إلى باب خزينته ففتحه
وأخرج منها أوراقاً مالية وأخذ يسلمه الثمن وتناولها صاحبي
وهو يكاد يثب بها إلى خارج الحانوت ، وخرج وتبعته إلى
الباب ؛ ثم رأيته يقفل راجعاً إلى صاحب الحانوت مسرعاً حتى
وقف أمامه وقال له :

- يا خواجه أنا عندى كثير من الصنف ده أروح أجيب لك

كان تشتري ؟

فعادت إلى صاحب الحانوت ابتسامته الرهيبة الغامضة وأجابه
- بكل ممنونية في أى وقت !! ومضينا إلى حيث كنا
كدت أن أفقد عقلى لهذه المفاجأة وهذا السر الغامض ، وأخذ
يقلب الاوراق المالية فى يده والذهول باد على وجهه وهو
صامت لا يتكلم ، ثم خرج من صمته فقال :
- غداً نلتقي لترافقنى إلى حانوت هذا المعتوه فسأصيب ثروة
طائلة من يديه المجنونتين ، سأحمل اليه كل ما حوى الدولاب من
هذه البضاعة وسأسلم ثمنها فأصبح من الاثرياء بفضل غبائه وبلهه
والتقينا فى اليوم التالى فاذا هو يحمل حقيبة صغيرة مملوءة بالعقود
والخواتم ، ومضينا إلى الحانوت مسرعين ، ونظرت إلى اللوحة
المعلقة ببابه فاذا هى مكتوب عليها . (.. الجواهر جى) وهو اسم
بائع الجواهر الحقيقية المعروف فى العاصمة فتولانى ذهول مطبق
وجذبت صاحبي من يده وقلت له قف فانك ستوردنا مورد
الهلاك هذا محل جواهر حقيقية فكيف غشيناها أمس وكيف
قدمنا له بضاعتك الزائفة فاشتراها ، ووجم صاحبي لهذه المفاجأة
الجديدة ، وخارت قواه ، فاستند إلى الحائط ثم تتم بيضع كلمات
تبينت بعضها وفهمت منها أنه مصمم على دخول الحانوت مادام
هو بعينه الحانوت الذى دخله أمس ، وبعد حوار طويل دخلنا
واستقبلنا صاحب الحانوت بوجه باش ثم قدم لكل منا سيجارة
وبالغ فى الحفاوة بنا ، وأخرج صاحبي بضاعته من الحقيقية ثم
نثرها أمامه وأخذ الرجل يفحصها واحدة واحدة وبدأ يشمنها فقال :
- هذا الخاتم بمائه جنيه وهذا بخسماية ، وهذا العقد الكبير

بشهادة و..

حتى انتهى من تسميتها جميعاً ثم سأل صاحبي هل يرضيك هذا
التمن؟

فأجاب في ذهول ووجوم:

- يرضيني

هل تتسلم التمن نقداً أم تحويلاً على البنك؟

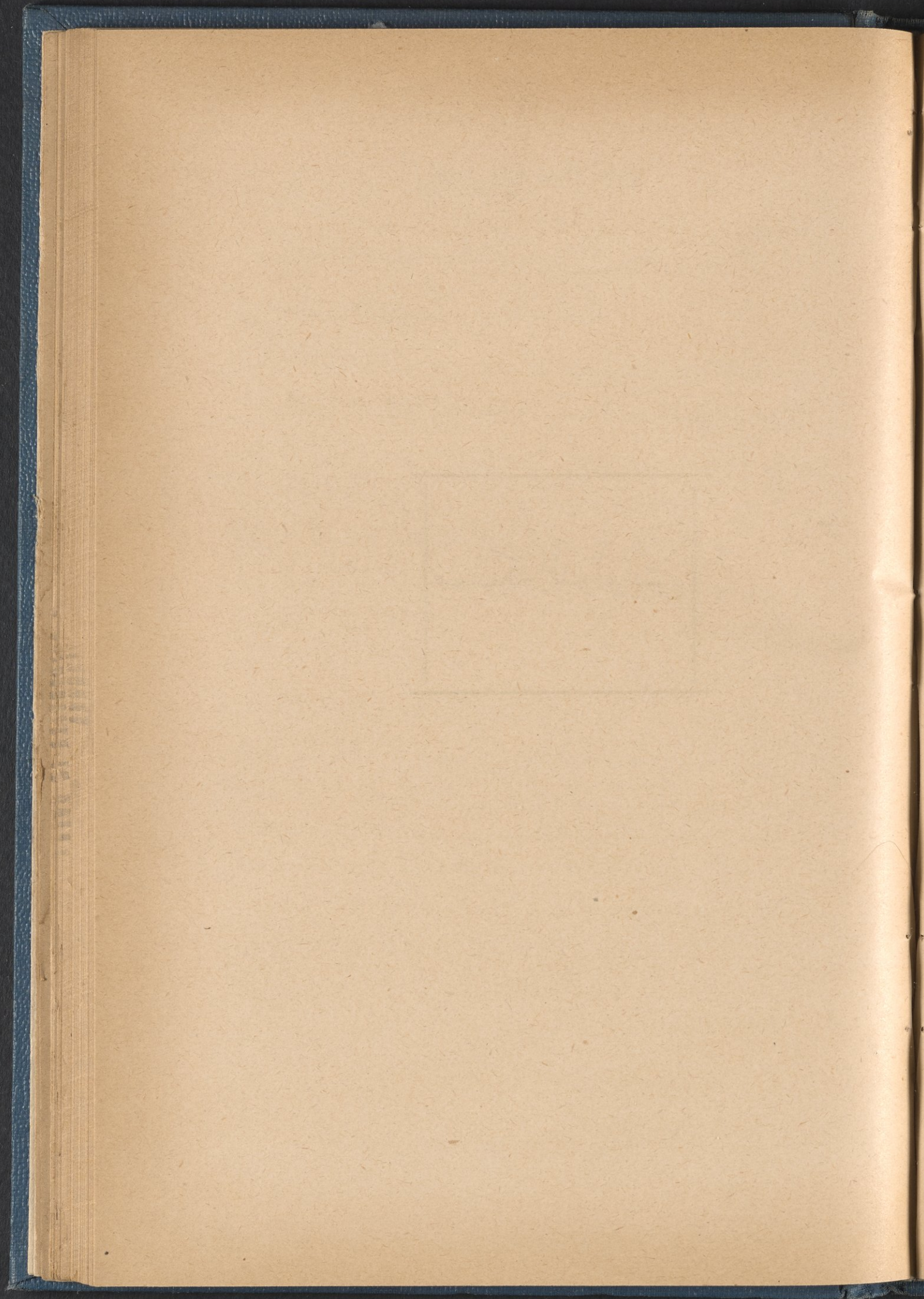
- نقداً

وفتح التاجر خزينته وأسلم صاحبي عشر ورقات من ذات
المائة جنيه وخمسين من ذات الخمسين جنيهاً وقبضها صاحبي في
يده ثم وقف ونظر إلى الرجل نظرة طويلة حائرة ثم قال له:
- أحافظ أنت لقواك العقلية هذه المرة أيضاً؟

فأجابه في هدوء وحزم:

- ليس في الأمر ما يدعو إلى كل هذا، هذه الجواهر أنا صاحبها
وأنا الذي بعثها لعميلنا «إحسان بك» بضعف هذا التمن الذي
اشتريتها الآن به. كان يتردد على محلنا من حين ليشتريها لخليته ثم
انقطع عنا بعد وفاتها !!! اذ ذاك انتفض صاحبي وشهق شهقة
مضطربة تشبه في تلجلجها حشرة الموت

وخرج يتهالك على نفسه متعثر الخطى مذهوب العقل
يفرك الأوراق المالية في يده ويمزقها ثم يدوسها بقدميه وراح
يضرب في فجاج الأرض هائماً في فيافيها لا يعرف أحد من أمره
شيئاً



مملكة الدراویش

مملكة الدراويش !

ملوك ! وأمراء ! ووزراء ! وضباط ! وجنود ! وشعب ! (١)

مملكة !! وسبحان مالك الملك ، يقوم عرشها تحت قبة الباب
الاخضر خلف المسجد الحسيني ، ويحدها من الشمال حارة الوطاويط
ومن الجنوب حارة الميضة ، شعبها جماعة الدراويش ، وملكها
« الشيخ طه السماوي »

رأيته جالسا على عرشه البسيط المتواضع يحف به أمراؤه
ووزراؤه وأتباعه وهو يحول في شعبه بنظرات هادئة مرهوبة ، ولا
تكاد شفاته تنفر جان بكلمة خافتة حتى تتمشى الرهبة في القلوب ،
ويسود الصمت وتشرئب الاعناق

هو شيخ أسمر اللون ، أشرف على السبعين لكنه قوى البنية ،
عريض المنكبين ، مقتول الساعدين ، تبدو عليه أمارات الدعة
والهدوء وتم تقاسيم وجهه عن تجارب الايام وفعل السنين ، فاذا

(١) جماعة الدراويش تخیلات غريبة ، وتصورات عجيبة ، يشهد آثارها
كل من دفعه حب الاستطلاع الى ان يحوب موالد الاولياء في العاصمة وغيرها
من المدن والبلدان ، هناك حيث يرى المالك الوهمية والملوك والامراء والوزراء
الوهميين يجلسون على عروشهم ومن حولهم الخدم والاتباع ، ويسمع من ثرثرتهم
أعجب الاحاديث وأغرب القصص .

جال بنظراته العميقة الهادئة في وجوه القوم ولمح من بينهم «غريباً»
لا يمت الى شعبه بصلته رأيت يخالسه النظرات الخفية الحذرة كأنه يريد
ان يخرق بها باطن نفسه ومستور حسه . وإذا يكون هو مستوعب على
عرشه يتقدم أحد الدراويش فيجلس عند قدميه ثم يستأذنه في
«التخمير» والتخمير عندهم هو كلمات غريبة متقطعة لا اتصال بين
مفرداتها يرتلها الدراويش بصوت أجش متهدج ، فإذا أذن له الملك
أخذ يتمايل في جلسته رافعاً صوته بهذه الكلمات الغريبة والناس
من حوله منصتوز :

« ربك كريم وكان كريم .. جرى إليه معديش حد من غير
أكل .. الزرايب مليانه بهائم والبهائم لابسين طرايش ، عين اللي
يعترض تعمى وكان تعمى »

وهكذا يظل الدراويش في القاء هذه الكلمات التي لا أول لها ولا
آخر والتي لا يمكن لانسان عاقل ان يجد فيها معنى مفهوما مستقيماً
الى ان يحين وقت الصلاة فينصرف الناس لأداء الفريضة ، ثم
يجمعون لسماع غيره وغيره من بقية الدراويش ، ولقد غاضني من
هؤلاء الدراويش اني لم أفهم لكلماتهم معنى فهمت في أذن صاحبي
الذي كان معي وسألته : « هل فهمت شيئاً مما قال هذا الدراويش »
فضحك من جهلي وأخذ يشرح لي طريقة الدراويش فقال :
« الواحد من هؤلاء يسمى في عرف العامة « مكشف » أي انه
يستطيع معرفة مايجول بالخواطر ويكشف عن المغيبات الاستار ،
وهو حين يلقى هذه الكلمات المشوشة المبعثرة يرمى بكل جملة منها
الى معنى معين يفهمه صاحبه من السامعين الذي قيل من أجله هذا »

المعنى ، فان كان بين العامة من الجالسين أحد النجارين مثلاً وسمع كلمة عن النجارة والأخشاب أو نحو ذلك راح يفهم من هذه الكلمة معنى يروق له ويستبشر به ، وان كان من بينهم فلاح ريفي وسمع شيئاً عن الماشية والزرع فهم انه هو المقصود بهذه الكلمة وأخذ يتأول معناها ويكد ذهنه في تفهم مغزاها ، وهكذا لا يقوم كل واحد من السامعين الا ويكون قد حصل على نصيبه من هذا « التخمير » والحق ان هؤلاء الدراويش - على ما يظهر - مهرة أذكاء « يسوقون الهبالة على الشطارة » ويمعنون في تغفيل العامة بهذه الكلمات المهمة المضطربة »

قال صاحبي هذا ثم ضحك ضحكة عالية وقال :

« وأنت منذ دقائق حين وقفنا نسمع هذا الدراويش المجذوب الجالس هناك ألم تدرك ماقاله عنى وعنك ؟ »

قلت : عنى أنا ؟

قال : « أجل عنك انت ، ألم تسمع بعض كلماته ، ألم تقيدها بقلبك ونحن هناك »

قلت : سمعت وقيدت ولكنى لم أفهم شيئاً مما سمعت أو قيدت وقرأت على صاحبي ماقيدته من الكلمات وسألته عما يخصنى أو يخصه منها فأشار بأصبعه الى هذه الكلمات (الزرايب مليانه بهائم والبهائم لابسين طرايش عين اللى يعترض تعمى وكان تعمى) وقال :

« أفهمت الآن يا « زميلي العزيز »

قلت أجل فهمت الآن وعرفت « مربوط الفرس »

أما الشيخ طه السماوى ملك الدراويش فمن هو ؟

الشيخ السماوى الكبير الذى تسمى الشيخ طه باسمه هو أحد
الاولياء ذوى الكرامات . عاش أيام حياته فى طنطا ، واشتهر بين
الناس بالصلاح والتقوى والزهد والتقشف ، واتخذ لنفسه مقاما
بين المقابر يأنس بوحشتها الرهيبة ويعبد الله فى صومعة بناها بيده
لنفسه ، وكان أهل الاقليم يحجون اليه يتبركون به ويسألونه
الدعوات .

واذ كان الشيخ السماوى الكبير يعيش هذه العيشة التقية
الصالحة كان طه عبد البر لصاً فاتكاً يهاجم الضياع والمزارع على
رأس عصابة من اللصوص الجبارة العتاة ، وضج اقليم الغربية
بحوادثه المروعة وجنباياته الشنعاء ، وترصده رجال الامن مرات
ومرات فلم يفلحوا فى ترصدهم . وأخيراً وبعد ثلاثين عاماً قضاها
طه عبد البر يقتحم المخاطر ، ويواجه المهالك ، ويغزو القرى والعزب ،
فى سواد الليل ، زهدت نفسه فى هذه المخاطر وتحول فجأة الى التنسك
والعبادة وسمع بصلاح الشيخ السماوى الكبير فذهب اليه مستغفراً
تائباً ، وظل فى خدمته أعواماً طويلاً . فاذا دعى الشيخ الى قرية
من القرى القريبة كان هو سائس حماره واذا أقام فى صومعته قام
على خدمته وسهر لراحته

وما دام طه عبد البر قد ثبت على الصلاح والتقوى وخدمة
الشيخ فهو إذن يستحق « الشربة الالهية » وهى فى عرف الدراويش
شربة من الماء القراح يغمس فيها الشيخ يده ويباركها بدعوات
مخصوصة فمن أسعده الحظ بشرها انكشف عن بصبرته الغطاء
وأصبح من الاولياء ومن أجل ذلك لا يجوز دونها إلا على من

يثبت صلاحه وتشتهر تقواه ويرى الشيخ عنه رؤيا النور فيصبح
لينفذ ما أمر به في تلك الرؤيا.

وتوفي الشيخ السماوي الكبير الى رحمة الله فقام الشيخ طه
عبد البر مقامه وتسمى باسمه فأصبح يدعى الشيخ طه السماوي
وذاع صيته في الاقاليم وحج الناس اليه من كل فج وتواردت اليه
الهدايا: وتقدم اليه أحد المقاولين ببندر طنطا يرجنوه ان يتنازل
ويسمح له بان يبني له بيتا على نفقته ويقدمه له هدية وبني له بيتاً
فخماً يقيم به الآن في طنطا، فاذا حل موعد المولد الحسيني أو المولد
الزيني حضر إلى القاهرة. والتف حوله الاتباع وال دراويش
وأقاموا في كنفه يظلمهم بكرمه وعطفه ورعايته فيجود عليهم بكثير
مما يحمل اليه من المال والهدايا

وقد تزوج ست مرات من نساء جميلات وهو يعاشر الآن
اثنتين احدهما تبلغ من العمر ستين عاما وهي أم (ولي العهد)
الذي يساعد أباه في تدبير شئون مملكة الدراويش ويهيء نفسه
ليكون ملكا لها بعد أبيه، والثانية فتاة صغيرة لم تتجاوز الثامنة عشرة
مشرقة الوجه جميلة الطلعة هيفاء القوام، وهما يحضرن معه الى
القاهرة كل عام ويعودان معه لانه لا يصبر على فراقهما مدة إقامته
ولا يأمن على بقائهما بعيدتين عنه، أما ولي عهده فهو قتي صغير مدلل
تلوح عليه سيماء السذاجة والبساطة اذا تحدث اليك تمثلت لك في
كلماته البلاهة و«العباطة».



الشيخ مصطفى ... !

يشهد الأديب كل يوم من صور الحياة شتى مناظرها ومختلف ألوانها، وهو بحكم صناعته أكثر الناس اتصالاً بأوساطها المتباينة ونزعاتها المتغايرة، لذلك فهو وحده دنيا تموج بأشباح الغواية والضلال والتقى والصلاح وحيل المحتالين وقضايا المتقاضين وشكوى البائسين وعجائب المخلوقات وشعوذة المشعوذين ونجوى المحبين وما إلى كل ذلك مما تعج به الحياة وتصخب ولقد كانت أحب ساعة إلى نفسى تلك الساعة التى قضيتها بجانب ذلك الشيخ الباسم الفرح الذى قضى من الأعوام خمسة وتسعين عاماً بنى فى خلالها باثنتين وأربعين زوجة، وشهدوا أكبر الأعوام تترى موكبا بعد موكب فذاق مر الحياة وحلوها، واستوعب عظاتها وتجاريبها

هو شيخ فى الخامسة والتسعين !! لكن دم الحياة لا يزال يجرى فى عروقه حاراً، وهو وإن كان قد أصبح ناحل الحسم إلا أن النور الذى يشع من عينيه ينبئك بأنه لا يزال فتياً يرسل على الحياة شعاع الأمل وحب البقاء، يحدثك فلا تشوب صوته رعدة الشيوخ المتهدمين، وتنفرج شفته عن ابتسامة لا تريد أن تفارقهما أبداً، وهو «حانوتى» تعلم من صناعته كيف يكون الصبر والجلد وكيف يصبح الموت - بالعود - أمراً عادياً لا يخيف ولا يفرع فكم قلب بيديه الهرمين جثث شباب ذوى ربيعهم وميعتهم، وكم

وسد الثرى بمن فارقوا الحياة بين هلع الأهل وفزع الاصحاب وهو
فى كل ذلك بالتدريج أصبح لا يشعر إلا بما يشعر به العامل فى أثناء
« شغله » فالميت عنده « حنة شغل » لا يحب ان يفسد عليه صبيانه
عمله فيها ، فاذا تقدم واحد من هؤلاء الصبيان يتدرب على العمل
فى ميت من الاموات تحت اشرافه وبدا منه ما يخالف أصول
« الصنعة » انهال عليه غاضبا بالضرب والتأنيب .

- يا ابن ال خسرت الشغل !!!

قلت له بعد أن اطمأن الى حديثى .

- بالذمه يا عم الشيخ مصطفى صحيح اتجوزت اثنين وأربعين
مرة ؟

فضحك ضحكة عالية ثم نظر الى وعلى وجهه التجدد علام
الدهشة لهذا السؤال ثم قال .

- وفيها ايه يعنى يا سيدنا الافندى لما اتجوز اثنين واربعين مرة ؟

- ولا حاجة ، بس يعنى قصدى استفهم

- أيوه يا سيدى صحيح ، ولسه عاوز أجوز كان ، بس لما ربنا
يوعدنا بقطقوطة كذا بنت حلال

- قطقوطة كان يا عم الشيخ مصطفى ، يعنى متنفعش لو كانت

كدا سن اربعين والا خمسين ؟ !

- اربعين والا خمسين ؟ أعوذ بالله !! ليه يا أخى انت مش

عاوزني أتمتع بالدنيا !!

- لا ، إتمتع ويطول عمرك كان وكان ، لكن بفكر ان

القطاوطه اللي انت عاوزها مترضاش بك علشان انت بقيت راجل
عجوز ، فحملك في وجهي ، ثم تناول يدي بين يديه وضغط عليها
ضغطا شديداً كدت أصرخ من شدة ألمه وقلت له .

- حيلك حيلك يا عم الشيخ مصطفى صدقنا انك لسه صبي
و فتوة كان روح اتجوز ان شاء الله تتجوز عشر قطايط بعد الاثنين
وأربعين اللي اتجوزتم

فعاد يقهقه ويسخر من ضعف الشبان « بتوع الايام دي »
ويذكر ايام صباه فخورا

ثم عن لي أن استدرجه الى معرفة الطريقة التي يلجأ اليها في
استمالة النساء اليه وهو في هذه السن الفانية فسألته .

- لكن قولي يا عم الشيخ مصطفى ، ايه يعنى اللي بيحب
النسوان فيك ويخليهم يقبلوا جوازك ؟

والله يا ابني - وكانت هذه أول مرة سمعت منه كلمة ابني - المسألة
مسألة معروف وطيبة قلب ، أروح البيت من دول علشان « خرقة »
ميت وبعد ما ينتهي الميتم والذي منه أشوف زوجة المتوفى صبية
وحلوه تعجبنى فأتوددها واصبرها على مصيبتها وأقضى لها مصالحها
خصوصا اذا كانت وحيدة ومعندهاش حد يخدمها وأحيانا اذا
كانت فقيرة وربة أيتام أتنازل لها عن أتعابي في دفنة جوزها ويمكن
أساعدها على بقية مصاريف الميتم كان ، وبعد كدا أطلب منها الجواز
وأوريها ان العزوبة حرام ، وتنتهي المسألة في الآخر بالجواز
- طيب . لكن العدد ده كله يا ترى مات على ذمتك والاطلقتة

- أهو بعضه كده وبعضه كده إشي مات وإشي اطلق والحمد لله على نعمة الاسلام والعين والعافية

وخطر لي أن أسأله هل لا يزال يتذكر أسماء هذا العدد الوافر من الزوجات فقلت له:

- لكن تقدر تفتكر أسماءهم كلهم يا عم الشيخ مصطفى؟
فأجابني ضاحكا «أيضا» ثم قال .

- يا ابني ايه الكلام ده هو فيه حد ميفتكرش أسماء نسوانه؟
- لا، غرغى انهم كثير وداشيء يتوه!!!
- يتوه ازاي يا ابني طيب خد عندك:

- أول بختي الله يرحمها ويجعل مقرها الجنة فاطمة بنت المرحوم الحاج اسماعيل النجار، وتاني بختي المرحومه زنوبه بنت ال.....
وراح يعدهن واحدة واحدة ما بين «مرحومة» وما بين «الله يسامحها» المطلقة فلانة بنت المرحوم فلان وفلانة بنت الشيخ فلان حتى تولاني الذهول من هذه الشخصية العجيبة النادرة، وأشفقت على ذا كراتي لا على شيخوخته العسائية فأجريت الحديث معه في نواح أخرى

وأحببت ان اتعرف امل مثل هذا الشيخ في الحياة بعد هذه السنين التي قضاها يستقبل كل يوم جديدا فسألته
- وايه أملك يا عم الشيخ مصطفى في الدنيا؟
- والله يا ابني أمل في الدنيا شيء بسيط ربنا سبحانه وتعالى

ميمتنيش الا لما اشوفه

- وايه هو؟

- هو اني اشوف ابني شيخ حانوتيه مصر و «الشغل» عنده
بالزوفه . لحد ما يقنى أملاك ويعيش مع زوجته واولاده في نعمة
كبيرة وبعدها «معلش» الواحد يموت !!

واذ ذاك أخفيت ابتسامتي الغامضة التي بدت على شفتي لهذه
الامنية العجيبة من ابن الخامسة والتسعين . وأطرقت أفكر في
هذا «الشغل» الذي يريد الشيخ أن يزيد ويربوين يدي ابنه .
هذا الشغل هو جثث الموتى ، أو هر بعبارة أصبح جثثنا نحن .
يتربها ذلك الشيخ الفاني ليقدمها لابنه كي تدر عليه أخلاف
النعم وكي يصبح بها شيخ حانوتية مصر . ويقتنى البيوت والاملاك
خشيت أن يطول وجومي وتفكيري فرفعت رأسي ونظرت
الى الشيخ نظرة لا أعرف وقعها من نفسه . وقلت له .
- ان شاء الله تعيش وتعمر يا عم الشيخ مصطفى لحد ما تشوف
ابنك زى ما أنت علوز

- الله يسترك يا ابني ويطول عمرك

ورأيت أن أقنع بهذا الحديث الطريف فسلمت عليه وانصرفت



لله يا أسيادي !!

لله يا بادي !!

﴿ قصتان واقعتان ﴾

— ١ —

ظل أحمد باشا .. اللواء المتقاعد خمسة عشر عاما في أخريات أيامه يتردد على المسجد الزينبي ظهر كل يوم يؤدي فريضة الظهر وعصر كل يوم يؤدي فريضة العصر ، وكان أثناء خروجه بعد صلاة الظهر يرى خارج الباب رجلا نحيل الجسم رث الثياب مقوس الظهر تلوح عليه أمارات الضعف والاستسكانة ، يمد يده للباشا في ذلة وضراعة طالباً « إحسان لله يا باشا » ويرثي الباشا لحاله و كبر سنه وبؤسه فينفحه قرشا ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى أصبح الأمر عادة لا يتخلف عنها مدى خمسة عشر عاماً لم ينقطع الباشا في خلالها عن أداء فريضة الصلاة وأداء هذا هذا الاحسان معا

ويخرج الباشا في أحد الايام على عاداته فيعطى الشيخ قرشه المعهود فيمسك الشيخ بيده في رفق وأدب ويرجوه أن يسمح فينتحي به ناحية ليرجوه في أمر من الامور ، ويدهش الباشا لهذا الرجاء ثم لا يسعه إلا أن يحبيه إلى طلبه فينتحي به ناحية فيهمس الشيخ في أذنه : « يا باشا ربنا يطول عمرك أنت غرقنتي بخيرك

خمسناشر سنة تسمح يا باشا النهاردة تشرب عنبدى شاي ؟ !
ويسمع الباشا من السائل المسكين هذه الدعوة الجريئة الغريبة
فيحملك فيه لفرط دهشته ويقرأ الشيخ على وجه الباشا علائم
الدهشة فيميل إلى أذنه قائلاً : « أجبر بخاطري يا باشا ربنا يجبر
بخاطرك » ولا يسمع الباشا إلا أن يجيب الدعوة جبراً خاطر الشيخ
وحباً في استطلاع أمره فينصرف على أن يلاقيه بعد صلاة العصر
ليذهب معه إلى حيث يشاء !!!

فاذا كنت في شارع زين العابدين بحى السيدة زينب رأيت
الباشا في عربته ورأيت شيخاً في ثياب مهلهلة بالية يجلس بجوار
السائق والعربة تقطع بهما الطريق إلى الجبل حيث ترى هناك
الاكواخ القذرة الصغيرة منتشرة بين الهضبات والمنخفضات
بجوار « سيدى أبو السعود » وتصل العربة إلى هذه الجهة النائية
المنقطعة عن العمران فيحس الباشا في داخل نفسه بخوف
واضطراب لأنه لم يكن يعرف إلى هذه اللحظة ماذا يرد به أو
أين يذهب . ثم تقف العربة أمام سور قديم متهدم بعيد عن
الاكواخ وينظر إلى هذا السور فلا يكاد يرى به منفذاً أو باباً ،
وينزل الشيخ مسرعاً فتعتدل قامته بعد انحنائها ويتبدل صوته إلى
نبرات واضحة قوية لارعدة فيها ولا تهدج فيبسط يده مشيراً
إلى باب صغير في هذا السور القديم « تفضل يا باشا وسألتك بالله
أن تكتم السر » ، وهنا لا بد أن ينحنى الباشا لطول قامته وقصر
الباب ثم يدخل فلا يكاد يسير بضع خطوات حتى يقف ذاهلاً
أمام منزل فخم البناء جميل الشكل وقف على بابه خادم زنجى في

في ثياب بيضاء نظيفة يتقدم في أدب و نشاط فيتناول مظلتته ويحني رأسه مشيراً إلى « الصالون » كل ذلك والباشا لا يزداد إلا ذهولاً ويمشي إلى الصالون فإذا هو صالون فخم الاثاث حسن الترتيب يدل كل مافيه على ذوق جميل وإحساس دقيق ثم يغيب الشيخ ربع ساعة ويظل الباشا في ذهوله واندهاشة إلى أن يقبل عليه رجل طلق الوجه ضاحك السن يلبس جبة وقفطاناً وطربوشاً تدل كل مظاهره على الثراء والنعمة، ويجلس قبالة الباشا والباشا يتفرد في وجهه فلا يكاد يصدق ناظره حين يرى بعض ملامح صاحبه الشيخ في هذا الوجه لكنه لا يرى بقية سماته العبراء المعفرة !!! ويبدأ الرجل فيتحدث إلى الباشا بعبارات واضحة الحروف مهيبة اللفظ ليزيل عن الباشا وحشته ويقص عليه قصته:

كان أبي ياسيدي الباشا شحاذاً و كان جدى من قبله شحاذاً فورثت عنهما مالا « وخير الله كثير » و علمنى أبي صناعة الشحاذة فمضى على بها خمسون عاماً تزوجت في خلالها ثلاث مرات، ماتت واحدة و طلق الثانية وأعيش الآن مع الثالثة. لكننى يا باشا لم أفعل ما فعله أبى وجدى من البخل والتقتير. فحافظت على صناعتهم ولم أضيع كل ما ورثته عنهما و بنيت هذا المنزل ورزقت من زه حتى الأولى ولداً يبلغ الآن العشرين من عمره لم أشأ أن ينشأ كما نشأت ونشأ أجداده في ذل السؤال فعلمته في الكتاب وتركت له الحرية في أن يعيش على هواه على شرط ألا يظهر للناس حقيقة أمرنا وإلا انفضح حالنا وساء مآلنا وسيحضر الآن يا باشا ليقبل يدك، ولا أدري أى دفع بعثنى على

أن أشرح لسعادتك كل هذه التفصيلات لكن يا باشا خيرك خمسة عشر سنة وصية قلبك كفاية»

وينتهى الشيخ من سرد قصته ثم تنحدر من عينيه دموع غزيرة ويقول: «سألتك بالله يا باشا ألا تبيح السر» ويعده الباشا بما أراد ثم يحضر ابنه فاذا هو شاب وسيم الطلعة جميل القسمات أنيق الثياب يتقدم فيقبل يد الباشا في أدب وحياء ويقوم الجميع لتناول الشاي على أحدث نظام وأفخر مائدة

— ٢ —

في حي «الانشا» وعلى مقربة من سكة حديد حلوان كانت السيدة وهيبة هانم زوجة محمد بك... تجلس في إحدى غرف منزلها، وكان البرد قارصا والمطر ينهمر بغزارة فتسمع صوت تساقطه على الأرض واهتز قلبها رحمة اذ سمعت صوت امرأة بائسة تضطرب لشدة البرد وتضطك أسنانها فيذهب صوتها في رعشه متواصلة فلا تكاد تتبينه، وأثر في نفس السيدة هذا الصوت الضارع المرتعش فأطلت ترى صاحبه، ولم تكذب تتبينها حتى أثر في نفسها منظر البائسة المسكينة أبلغ التأثير فقد رأت جسما نحिला عاريا إلا من خرقه بالية ستر نصفه الأسفل، ورأت هذا الجسم النحيل العارى تتولاه الرعشة ويفعل به البرد القارص فعلا يستدر الرحمة ويبعث في أقصى النفوس وأغلظ الا كباد العطف والحنان، وكان أول خاطر خطر في نفسها أن تستر هذا الجسم المضمحل بأقرب ثوب تصل اليه يدها وأمرت الخادمة أن تسرع فتحضر الثوب المعلق بالحمام

وتنزل الخادمة بالشوب مسرعة فتدرك به العجوز السائلة
وتضع الشوب في يدها فتنطاق به مهللة داعية، ثم يقبل المساء وتدعى
السيدة إلى حفلة ساهرة فتأخذ زيتها وتتهيأ لهذه السهرة، ثم
تتفقد خاتمها الغالي الثمن، النادر الوجود، فلا تجده. وتحدث
بالبيت ضجة ويزداد اللغط والهرج، ثم تتذكر السيدة أن
الخاتم المفقود كان في جيب الشوب الذي أمرت به للعجوز
المسكينة، ويحضر إلى المنزل زوجها فتقص عليه الخبر في لهفة
وجزع يائسة من الحصول على خاتمها العزيز

ثم يخرج زوجها إلى رفاقه وأصحابه فيروى لهم ما حدث في
هم وكدر وسبرى بعض هؤلاء الرفاق فيذكر لصاحبنا أن
للشحاذين رئيساً يسود سلطانه عليهم جميعاً، وإذن فليذهب
الزوج إلى حيث يقيم هذا الرئيس عله يعيد الخاتم المفقود نظير
مكافأة يعده بها

فاذا كنت في أكواخ متناثرة هنا وهناك بمنعرجات الجبل
عند «سيدى أبو السعود» رأيت على منعطف الطريق الموصل
إلى هذه الأكواخ قهوة بلدية، ورأيت بين الجالسين رجلاً
وقور اللحية نظيف الثياب تلوح عليه أمارات الجد والنفوذ،
وترى عربة تقف فينزل منها محمد بك... وصديقه، ويسأل محمد
بك عن «الشيخ» فيشير الجالسون إلى هذا الرجل ويتقدمان منه
ويقصان عليه قصة الخاتم، ويصغى الشيخ إلى قصتهما ثم يسألهما
في أى ساعة كان مرور العجوز؟

- في الساعة العاشرة صباحا
وما اسم الشارع الذي كانت تسير فيه ؟
- في شارع الانشا
وفي أى اتجاه كانت تتجه ؟
- من الغرب إلى الشرق
بأى نداء كانت تنادى ؟

- اذ ذاك يصعب على محمد بك أن يجيب على هذا السؤال
الدقيق فيقوم مسرعا الى أقرب شارع ويسأل هذا السؤال لزوجته
تلفونيا ، فتجهد الزوجة ذاكرتها فتذكر أنها كانت تنادى :
« أستروا العريانة الله يستركم » ويعود الزوج فيقرر أمام
« المحقق » أنها كانت تنادى : « أستروا العريانة الخ » وعندئذ
ينطق شيخ الشحاذين بالحكم فيقول : « اذن فالثوب الآن في بيت
أم الرزق » وينادى بأحد اتباعه ثم يأمره ان يذهب فيحضر
الثوب كما هو ، ويحضر الثوب فيضع الشيخ يده في جيبه فيخرج
منه الخاتم المفقود !!! ويدهش صاحبنا مما رأى فيتناول الخاتم
وهو لا يكاد يصدق عينيه ؛ ثم يمنح الشيخ خمسة جنيهات ويعود





اسماعيل الحلبي

السيد الحلبي من أهالي «كفر عوانه» رجل قوى المراس، مقتحم جبار، لا تنتهي حوادثه المروعة، ولا تنقطع سلسلة مخاطره، فهو لا يخرج من السجن إلا على نية ان يعود اليه بعد قليل، ولا يكاد دم قتلاه يجف الا ليريق سواه

خرج ذات ليلة في رهط من أعوانه وأتباعه فاقتحم مزرعة مجاورة واستلب مواشيها ومحصولاتها بعد ان تبادل مع حراس هذه المزرعة الطلقات النارية، وحمى وطيس المعركة بينه وبين هؤلاء الحراس ثم فر مع رجاله بالغنائم والاسلاب دون ان ينال أحدهم مكروه، وحامت حوله الشبهات فخرج اليه العمدة مع خفرائه وشيخهم فوجدته متحصنا بمنزله فلم ينزل اليهم، وظل يعمل عصاه الطويلة في أجسام الخفراء ورؤوسهم وهو بأعلى جدار داره حتى أسال دماءهم. وبينما هو مع الخفراء وشيخهم في هذه المعركة انطلقت رصاصة من بندقية شيخ الخفراء أصابت السيد المذكور في فخذه؛ وظل لا يسمح لاحد أن يسعفه حتى مات في اليوم التالي متأثرا بما أنزف من دمه وحوحم شيخ الخفراء فقضى عليه بالسجن ثلاثة أعوام بتهمة القتل الخطأ

مات السيد الحلبي كما أسلفنا وسجن شيخ الخفراء. وكان

للقتييل أخ جبار فأتك اسمه (اسماعيل الحلبي) ولا بد له ان ياخذ
بثأر أخيه القتييل لكنه كيف يوفق لذلك وغريمه شيخ الخفراء
سجيناً ، وكيف يستطيع ان ينام عن ثأر أخيه ثلاثة أعوام كاملة ؟ .
الامر سهل وبسيط فشيخ الخفراء في السجن لكن أخاه خفير بالبلدة
فليذهب فداء أخيه المقتول وإذن فليترصد له ليلاً وهو عائد من
المركز ليطلق عليه الرصاص فيخر صريعاً ولا ينفي الدم إلا الدم
فاذا كنت في الطريق في كفر عوانة ليلاً والظلام الحالك يخيم
على المزارع الممتدة على الجانبين بصرت باسماعيل الحلبي جاثياً
على ركبتيه مختفياً وراء الاشجار متحفظاً لاطلاق الرصاص على
الخفير وهو راجع من المركز ليلاً . وبصر الجاني المختبئ
بفريسته فيطلق الرصاص من بندقيته على ذلك القادم في الطريق
فيسقط مدرجاً بدمائه . فاذا طلع الصباح كشف نوره عن جثة
القتيل فاذا القتييل ليس إلا رجلاً بريئاً من قرية مجاورة قدم ليلاً
في هذه الطريق وهو لا يعلم ان المنية تقوده الى الهلاك بغير ذنب أو
جريرة ، ويعرض القاتل بنان الندم على ان أفلت غريمه من يده وهو
لا مقصد له في قتل بريء مسلم ليس له في الجناية أى سبب . ثم يذهب
دم هذا القتييل هدرًا وتذهب معالم قتله فتطوى أوراقه دون أن
يقف المحققون للجاني على أثر

وإذن فما يزال اسماعيل الحلبي يطالب دم أخيه ، المقتول من
شيخ الخفراء ، وما يزال يترصد ليلاً ليقتل أخا شيخ الخفراء فداء
لدم أخيه . لكنه في هذه المرة لا يحب ان يخطئ في قتله كما أخطأ
في المرة السابقة فليذهب إذن الى (نفيسه الجرا ديني) خاليلة غريمه

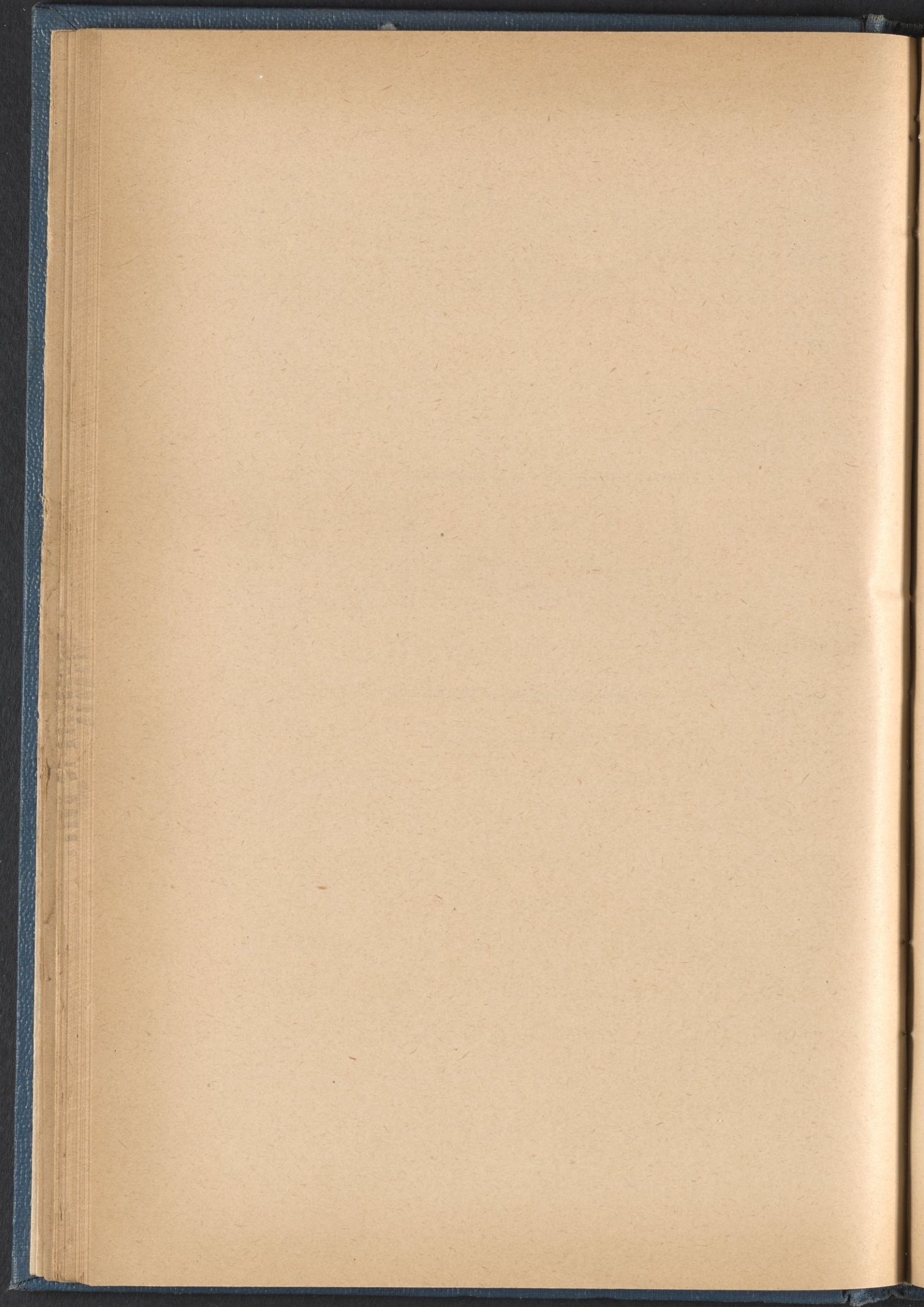
وليهددها بالقتل اذا هي لم تنفذ ما يطلب منها تنفيذه « فعليك أيتها المرأة - ان كنت تخافين على عمرك - ان تقودى خليلك الى الحقل ليلا وعليك ان تقدمى له الخمر ليشرب حتى لا يعي وسأكون فى انتظاركما محتفيا وراء النخيل حتى اذا أحسست بوجودكما وسمعت حديثكما وتبينت صوت خليلك متهدجا من فعل الخمر أطلقت الرصاص عليه شفاء لنفسى وأخذاً بشأراً أخى المقتول فاذا خشيت ان تصيبك رصاصتى فى الظلام فابتعدى عن خليلك حين ترين السيجارة مشعلة فى يدي واحتمى فى جذع نخلة حتى لا يصيبك الموت »

وتذهب نفيسه إلى خليلها فتودد اليه وتتثنى بين يديه وتعرض عليه ان يرافقها الى الحقل (علشان ينبسطوا شويه) وتنسبط أسارير وجه الخليل لهذه الليلة المقبلة ويظل يهتف فى أعماق نفسه لهذه الساعة الفرحة المعرودة . فبعد يوم ينقض متأسكفاً ، سيجلس الى خليلته تحت ستار الليل الكثيف وسيشرب من يدها زجاجة الخمر التى ستحضرها له من خمارة خريستو بقال القرية ، وسياكل معها الفرخة المحمرة الشهية !!!

وفى سواد الليلة الموعودة يجلس بين باسقات النخيل وبجانبه نفيسه تساقيه الغرام وكؤوس المدام فيشرب ويشرب من يديها حتى تطيح الخمر برأسه وتدور به الارض الفضاء ثم تبصر نفيسه نار السيجاره تنبعث من خلف الاشجار فى ظلام الليل فتسلسل من جانب خليلها الى ناحية بعيدة فلا تكاد تبعد عنه خطوات حتى تدوى طلقات النار فى الفضاء ويخر خليلها صريعاً يتخبط فى دمه

ثم ينقض اسماعيل الحلبي على فريسته مع رجاله فيجهزون على القتل بمداهم وعصيمهم الغليظة ويربطونه بحجر ثقيل ثم يلقونه في ترعة الجنابية لسكنهم يخشون فضيحة الامر لقرب هذه التركة من القرية فيحملونه ثانية الى ترعة بعيدة هي ترعة الخطاطبة ، ويكون الفجر قد أوشك ان ينبثق نوره فيعودون الى بيوتهم بنية ان يعودوا في الليلة المقبلة ليحملوا الجثة مرة ثالثة الى (فرع رشيد) حيث يقذف به التيار القوي الى بلد بعيد فتضيع معالم الجريمة وينجو القتل من العقاب .

وفي الصباح يبحث الناس عن الخفيير فلا يجدونه ، ويطول البحث عنه والتسقيب فلا يعثر له على أثر ، في مساء هذا اليوم تسوق الصدفة بعض غلمان القرية الى مكان الحادثة فيعثر بعضهم على خرطوشتين ويعثر الثاني على آثار دماء تمتد على الارض الى ان تختفي في المزارع ويحضر رجال التحقيق فيوالون البحث ويتبعون آثار الدماء حتى تصل بهم الى مكان الجثة فيخرجونها من ترعة الخطاطبة ، ويشهد بعض القرويين بانه رأى نفيسه الجرا ديني تسير الى جهة النخيل ليلا مع خليلها القليل ، ثم تأمر النيابة بالقبض على نفيسه فتظل منكرة مصرة على الانكار أياما طويلا حتى يكاد المحققون يطوون أوراقهم يأسا من الوصول الى معرفة الجناة ، لكنها تخور عزيمة في النهاية فتعترف بتفاصيل الجريمة وتساق مع اسماعيل الحلبي وشركائه الى محكمة الجنایات وتقضى عليهم بالسجن المؤبد .



البرنس !!

البرنس !!!

شخصية حقيقية

البرنس !!!... كذلك أراد المغفور له السلطان حسين ان يلقب صاحبنا بلقب « البرنس » وان لم يكن من الامراء أو النبلاء، و تشاء الاقدار ان يحى اسمه من هذا الوجود ولا يبقى له من الاسماء والالقاب إلا هذه الكلمة : البرنس !! فاذا سألته هو ذاته عن اسمه . أجابك على الفطرة النقية وبغير تردد « البرنس » أشرف على الستين من عمره ، قصير القامة غليظ البطن ، واسع العينين ، يرتدى الجبة والقفطان والطربوش ، تراه في خطواته البطيئة ومشيته المتهالكة يتمم ببعض الادعية والاوراد، ثم تراه أمام الضريح الزينبي يمسك بيده قلبه الرصاص القصير ويكتب على ورقة صغيرة آياتا من الشعر يبين فيها السبب الذي جاء من أجله .

لصبحي بيك مسألة سألتك أن تحليها
غداً يشرى فداديننا فيها باركي فيها
وهو بعد قليل أمام ضريح الامام الحنفي يكتب له آياتا
أخرى ويضعها عند مقامه من أجل مسألة أخرى ، ثم يعود إلى
أصحاب الحاجات فيبلغهم أنه أوصل رسالانهم إلى الأولياء وانهم
سيرون بعد أيام نفحات الامام الحنفي والسيدة زينب والسيدة

نفيضة !!!

منذ خمسين عاما أو تزيد كان الذهاب إلى الجيزة يرى في طريقها عصر كل يوم شيخا كـ لا يتكى على عصاه بيده اليسرى ويضع يده اليمنى على منكب صبي صغير، ويسير الاثنان إلى أن يبلغا سراى «البرنس حسين». ويتلقاهما عند الباب الخارجى أحد الخدم فيذهب بهما الى حيث يكون «أفندينا» فى انتظارهما ليتلقى على الشيخ دروس الشريعة واللغة العربية، فإذا انتهى من درسه أخذ يلاطف الصبي ويداعبه ويأمر له فى كثير من الاحيان بمنح كريمة. أما هذا الشيخ الكهل فهو «السيد محمد» أستاذ البرنس حسين؛ وأما هذا الصبي الصغير فهو «البرنس». كما كان يناديه صاحب الدار، وهكذا ظل هذا الاسم يلزمه الى اليوم، أما اسمه الحقيقى فهو يقرر فى سداجة ونقاء فطرة انه نسيه هو أيضا، لأنه عاش فى كنف هذا الشيخ أيام طفولته ولم يكن يسمع أحدا يناديه بغير البرنس

وتمر الايام فاذا «البرنس الصغير» قد أصبح رجلا، بعد أن انتقل إلى جوار ربه ذلك الشيخ الكريم الذى كان يكفله أيام طفولته، وتطوف به الاعوام ما تطوف ثم تستقر به فى «دار الكتب المصرية» ليقوم بنسخ الكتب القديمة للباحثين والمؤلفين نظير ما يجودون به عليه من أجر ضئيل، ثم يرقى «البرنس حسين» عرش السلطنة المصرية، ولم يكن يخطر ببال أحد ان صاحب العظمة المغفور له السلطان حسين ذا كرا للصبي

الصغير الذي كان يتشرف عصر كل يوم بحظوته مع معلمه الشيخ بعد أن ضرب « الصغير » في فيافي الايام ، واجتوته الاعوام ، وصار رجلاً شارف الخمسين ، ولم يكن يخطر ببال أحد أن يظل صاحب العظمة ذا كراً لهذا الصبي الصغير حتى تشرفت دار الكتب المصرية في بعض الاعوام بزيارة عظمته

فاذا كنت بدار الكتب المصرية في هذا اليوم رأيت صاحبنا البرنس في غرفة المطالعة مع زملائه النساخين ، لكنك لا تراه في هذا اليوم مشغولاً بعمله كبقية زملائه ، فهو عنهم وعن كراساتهم في شغل شاغل بما يستهبط به وحي الشعاعية لينظم قصيدة يستقبل بها صاحب العظمة السلطان ، أما الاوامر الصارمة التي صدرت لجميع من بدار الكتب تحرم عليهم القاء الخطب أو القصائد بغير إذن المدير فهو لا يعبأ بها ولا يقيم لها وزناً ، هو قد انتهى من نظم قصيدته ، وهو لا بد أن يقف بين يدي صاحب العظمة ليتشرف بالقائها ، ويحين موعد الزيارة السلطانية ، ويصل ركاب صاحب العظمة ويشرف غرفة المطالعة بزيارته . وهنا يتحرك « البرنس » فلا يكاد يقف بين يدي عظمته ليلقى قصيدته حتى يزوغ بصر المدير وتدور الارض تحت قدميه خوفاً وجلالاً مما عسى أن يلقي على عاتقه من جراء هذه المخالفة الجريئة ! اذ كيف يسوغ أن يقف أحد النساخين بثيابه الرثة وبغير استئذان ليلقى قصيدة بين يدي عظمة مولانا السلطان ، على أن هذا الخوف لا يلبث أن يزول حين يرى المدير والحاشية صاحب العظمة يتقدم باسمها خطوات نحو « البرنس » وهو يقول .

- عفارم برنس ، برافو برنس ، فين أبوك ؟
- الله يخليك يا أفندينا ، حياتك الباقية يا أفندينا
- مسكين برنس

ثم يتناول بيده الكريمة قصيدة البرنس فيسلمها لصاحب
السعادة فهمي باشا ويأمر له بجائزة مالية
وإذ ذاك يتنفس المدير الصعداء ، ويزول عن نفسه ما ألم بها
من الهم والوجل لولا ما غاظه من جمود البرنس ومحافظة على
كلمة « أفندينا » في خطاب عظمة السلطان كأنه لا يزال صديراً
وكأن صاحب العظمة لا يزال برنسا في قصره كعهد صاحبنا به

وليس البرنس شاعراً متواضعاً يعرف حقيقة منزلته بين
الشعراء ، فهو شاعر متمرد الشيطان لا يرى واحداً من الشعراء
يفضله غير المتنبي ؟؟؟ فرامى شاعر الشباب أحد تلاميذه ،
وهكذا يزعم البرنس ، وبهذه العقيدة يخاطب رامى ، يدخل عليه
مكتبته في بعض الأحيان غاضباً عاتباً .

- يا ابنى يا رامى قصيدتك اللى منشورة النهارده فى الاهرام
نصها مسروق من شعرى

- أهلاً بأستاذى « البرنس » معلهش يا سيدى المسامح كريم
ويضحك رامى مع من حوله ، ثم يعود البرنس إلى كراساته
ينسخ فيها كتيه المخطوطة ،

والبرنس عدا ذلك يعتبر نفسه شاعراً مجدداً أدخل على اللغة
العربية كلمات جديدة وأساليب جديدة ، ويستشهد على ذلك بقوله :

« شلن » برنسك انه اضحى فقيراً في الورى
و يريد بكلمة « شلن » أعطى شلنا ، واذا انتقده رامى في هذا
التعبير فهو جاهل باصول التجديد لا يعرف مصطلحاته ، وتشتعل
نار الجدل بينهما ، وتحدث المناظرة فلا يفصل فيها غير شاعر مصر
الكبير حافظ بك ابراهيم حيث يخرج « الشلن » من جيبه فينفج
به البرنس ، وهناك يدعن البرنس لرأيه ويرضى بحكمه ، أما رامى
فله الويل من تلميذ عاق لا يرعى عهد تلمذته للبرنس ولا يعرف
التحديد !!!

عرفت كيف نال البرنس خطوة المغفور له السلطان حسين
ومن طريف ما نعرف أيضا أنه تشرف بين يدي « مولاي عبد
الحفيظ » وامتدحه بقصيدة نال عليها جائزة سنية ، وهو يتيه على
رامى ويفاخره بهذه المواقف المشرفة ، على ان مدائح البرنس
لا تعرف التفرقة بين المقامات فهي ترتفع وترتفع إلى أن تحظى
بنفحات الملوك والسلاطين ، وتهبط ثم تهبط إلى أن تنزل إلى
مقام موظف صغير او لكل من « يشلنه » بالشلن

يستطيع البرنس - بغير مبالغة - أن ينظم في اليوم خمسين
قصيدة ، في الليلة الكبيرة لمولد الامام الحنفى أو الامام الشافعى
ينتجى البرنس ناحية ويبدأ في نظم قصائده . ولا تمضى غير ساعة
أو ساعتين حتى يكون قد أعد عشرين قصيدة يمتدح بها الاعيان
النازحين من البلاد والتجار القائمين باحياء المولد ، ثم يعود آخر
الليل « يحصل » ثمن هذه القصائد الحسنان . وهو لجميع أفراح
العاصمة الشاعر الذى لا يشق له غبار

الحاجه زهره

الحاجه زهره •

«الحاجه زهره وليه طيبه خالص!! ونادر وجود خاطبه أمينه زيها!!!»

بهذه الكلمات وما يشبهها تتحدث الاسر عن «الحاجه زهره» وهذه السمعة الطيبة والثقة الغالية تتمتع في البيوت الكبيرة، وتجمع منها الاموال والهدايا، وهى لذلك موضع سر الفتيات ونجواهن، وعطف الامهات ورعايتهن.

تزعم فيما تزعم أنها أدت فريضة الحج سبع مرات، ولا تحلو لها الصلاة إلا في الاوقات التى تكون فيها بيوت الاسر «أثناء تأدية وظيفتها» فهى قبل أن تبدأ الحديث عن «القمورة» بذت الباشا، وقبل أن تتحدث عن «صلاة النبى عليه سرى بك اللى متعلم فى بلاد بره ومستخدم فى اسمها إيه دى؟ اللى يقولوا عليها وزارة الاشغال» قبل أن تتحدث عن هذا كله لابد لها من أن تطلب «سجادة الصلاة صبايا ربنا يوعدكم بابن الحلال» وتقوم الى سجادة الصلاة فتصلى ما تشاء ثم تختم الصلاة بالادعية والآوراد وتكون «اللحمة البسيطة» فى انتظارها فتميل اليها «على قد نفسها» ثم يبدأ الحديث.

— يعنى ياخالتي الحاجه رحتي وقلت عدولى بقى لك شهر

وزيادة محدش شافك

— والله يا بنتي الدنيا أعذار ربنا يهنيك كنت مشغولة في
جوازة ابن فوزي باشا وبعدها كان طالتي برد بعيد عنك وعن
السامعين، فضلت راقده لحد أول امبارح، لولا مرسل بيت محمد
بك ما كنت خرجت؛ الواحد منا حتعمل إيه يا ستي، بس ربنا
يوفق القلوب !!

— وفي بيت محمد بك برده لسه مصممين على المهر اللي قالوا
عليه مفيش زيادة؟

— يا ستي المهر ده مش مهم، صلاة النبي عليه ربنا يحرسه
لشبابه!! مال وعز وشباب صلاة النبي أحسن!! ربنا يجعله من
قسمتك ومن نصيبك

— لكن يا خالتي انت عارفه غلو الجهاز الأيام دي، وبابا
زى ما انت شايفه معذور اليومين دول؛ والبنك العقارى طالب
منه القسط.

— ربنا يفرجها يا بنتي القرشين اللي عندي تخدوهم لحد
ما يحلها الكريم

وهنا لابد من أن يعرف القارىء أن «الحاجه زهره» عبارة
عن خاطبة و«بنك تسليف» في وقت واحد، ذلك لأنها تدخر
المال لمثل هذه الظروف، وتقدمه لمن تشاء من «زباينها» نظير
«فائدة بسيطة» وهي تكتسب من ذلك أضعاف ما تكتسبه
من صناعتها الأصلية وليس في إمكان أحد أن يماطلها في رد هذه
المبالغ بفضل ما وهبها الله من لسان طويل وصبر وجلد على
«المطالبة» في الصباح والمساء، ولديها عند الاسر حرمة خاصة

ومنزلة مقدمة على أقساط البنوك والعوائد والاموال الاميرية

ولقد ذاع صيت « الحاجة زهره » في البيوت وطبقت شهرتها الآفاق ، لذلك رأيت أن أتلفظ في الحديث معها وأن أصل إلى نفسها بأسلوب يناسبها ، كي أستل منها ما أريده ، فاتهمزت فرصة وجودها في بيت تجمعني به صلة نسب وقرابة ، وتعاطت حتى أنست إلى حديثي ورحت أسألهما في سذاجة وهي تجيبني مرة و « تزوغ » من الاجابة مرات ، ولقد كانت في حديثها السابق مع إحدى قريباتي تحاول اخفات صوتها حتى يكون الحديث بينهما سراً ، وكنت بالقرب منهما أتشغل عنهما بقراءة صحيفة دون أن أسترعى انتباههما ، ثم دنوت منها مسلماً ، وقدمت لها سيجارة وقلت :

— يعني يا حاجه مش حتهديني بقى بهديه كويسة كده تكون بنت حلال

— ياسيدى ربنا يطول عمرك ، أنا خدامتك ، ويا ما قلت للرحومة نينتك تفرح بك ، لكن حنعمل إيه ياسيدى القسمه كده الله يرحمها ويجعل مقرها الجنة

— تعيش يا حاجه كلنا لها ، وان كنت عاوزه تهديني بعروسه بحق وحقق اليومين دول أشوف كيفك وأديك اللي تطلبه

— لكن ياسيدى الست عمتك بتقول انك مصمم على عدم الجواز ، وبتقول ان السبب في كده كتر قرأيتك في الكتب بتاعت الخواجات ، قطيعه ياسيدى ، تقطع الخواجات واللى يقولوه ، هو

فيه أحسن من الجواز على سنة الله ورسوله؟

— لا ، خلاص يا حاجة دا كان زمان ؛ لكن اليومين دول

عدلت عن فكرى وصممت على الجواز

— أهو كده امال ايه ، دى البلد الأيام دى مليانه عرايس

جمال ومال بس ربنا يجعل لك نصيب

— شوفى يا حاجة أنا يهمنى المال قبل كل شىء ، علشان أنا

راجل مش غنى وعاوز واحدة على الأقل تقدر تساعدني على

المعيشة وخصوصاً بعد ما نصبح عيله ويبي عندنا أولاد

— فيه يا سيدى طلبك وزيادة على كده الجمال كان

— طيب والاخلاق بقي يا حاجة ؟

— الاخلاق يا سيدى فيه من كده وفيه من كده

— كده ايه بقي وكده ايه ؟!!

- يعنى فيه من اللى يقولوا انك تجهم ، اللى يحجم يروحوا

السيما ويتفسحوا ، وفيه من اللى ميعرفوش طريق الباب ، وانت

وكيفك .

- لا أنا احب اللى يروحو السيما ويتفسحوا علشان دول

لازم يكونوا ناس فاهمين الدنيا ايه ومتعلمين ، لكن مش أغنيا ؟

- أمال !! دول أغنيا قوى ، طيب دول أقرب الايام من مدة

شهر واحد شرين عزبة فى أبو المطامير « جنة رضوان » والبنت

متعلمة فى مدارس الا فرنج وزى السنابير اللى فى صندوق الدنيا

- عال قوى ، بس مسألة المهر ايه رأيك فيها ؟

- المهر ده ميهمش ، دول ناس أغنيا ، كفاية الشبكة والمسألة

تكون كده فى السر ولا حد يعرف ان كنت دفعت والا
مدفعتش .

- ودا ممكن ؟

- مش ممكن ليه بس ركك على « الحلاوة »

- دى مضمونة يا حاجة متفتكر يش

وخرجت « الحاجة » بعد أن وعدت أن تعود بالخبر اليقين
و بعد أن تخاطب أم العروسه فى هذا الشأن لأنها هى التى تستطيع
التأثير على أيبها

فى غرفتين صغيرتين فى الدور الأعلى من منزل قديم فى احدى
الحوارى المتفرعة من شارع محمد على تسكن الحاجة زهرة ، وهى
لا تسكن فى بيت من البيوت التى ابتنتها لأنها تحب الاقتصاد
ولا تريد أن تظهر أمام الناس بالغنى حتى تظل تستدر عطفهم، وتنال
رفدهم ، ولقد كانت أول حياتها خادمة فى بيت من البيوت
الكبيرة القديمة ، واستطاعت أن تتصل بكثير من الاسر ، وأن
تحوز ثقتها فى زمن وجيز لما عرف عنها من الصلاح والتقوى
و... وال.. والصدق

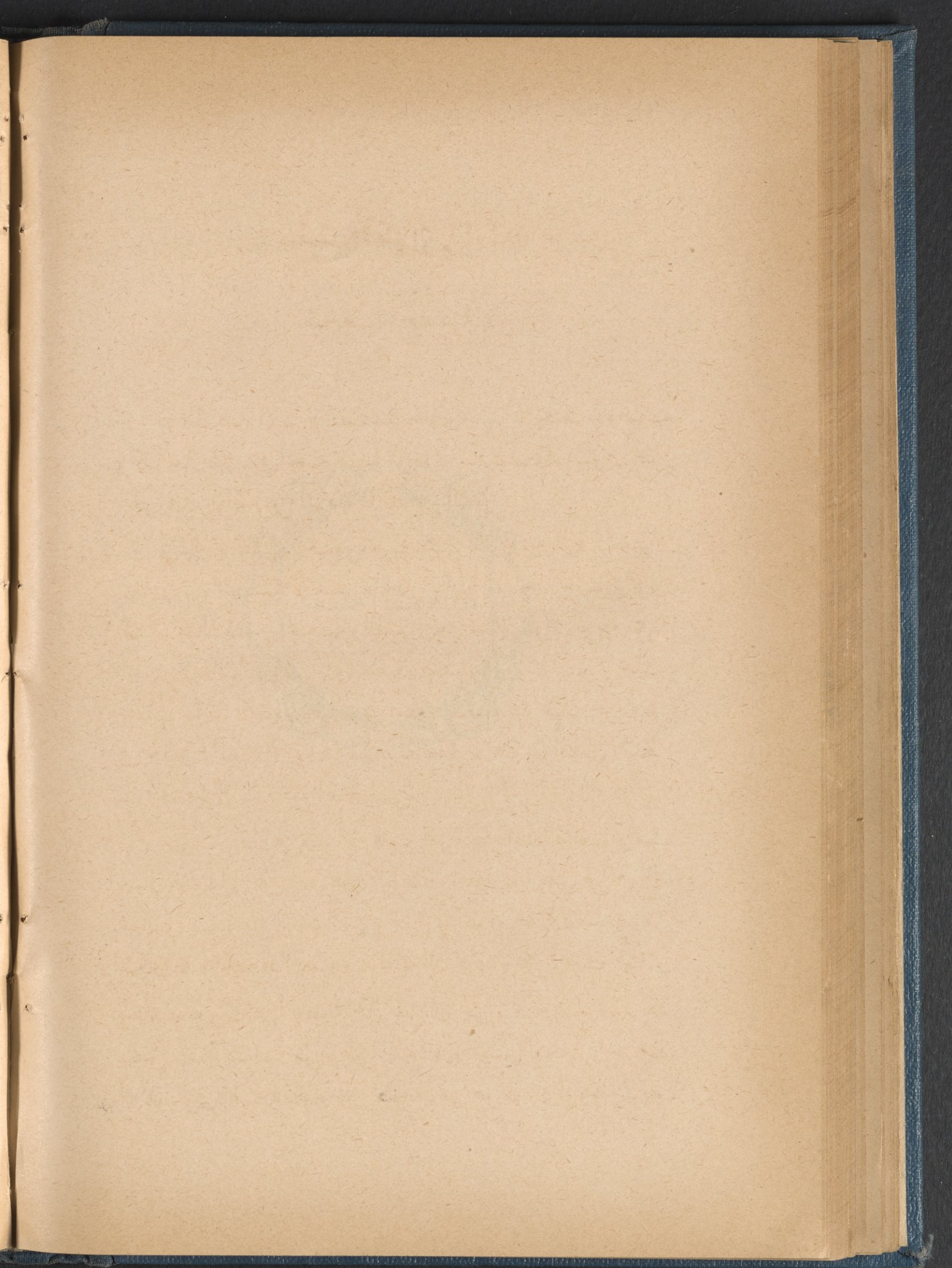
ولها على البيوت « عادة » تتناولها فى كل زيارة ، سواء أ كانت
تزور البيت فى مأمورية تختص بصناعتها ام لا ، وتحمل دائماً
« رزمة » صور مع عناوين ومعلومات مكتوبة عن الشبان
والفتيات بخطوط مختلفة، ولهجات متباينة ؛ تلمح فى بعضها الصدق،
ويخامرك الشك فى صحة الكثير منها !!!

يعتمد كثير من شباننا وفتياتنا على ما تدلى به الخاطبة من
المعلومات، وهي في الحقيقة لا تدلى لهم الا بالمعلومات المزورة
والاخبار الملفقة؛ بل هي في كثير من الاحيان تنصب شراكها
للشباب وللفتاة على حد سواء، فتخدع هذا من ناحية؛ وتخدع هذه
من ناحية أخرى، وتظل تعمل حيلها وصنوف تضليلها، حتى تجمع
بينهما بزواج لا يدوم أكثر من شهر، ثم تشهد المحاكم أبشع
صور لشقاء العائلات، وتهدم صرح سعادتها، وتكون الخاطبة في
الغالب هي أصل هذا الشقاء، ومصدر ذلك البلاء، بما جرت به على
الشباب والفتاة بسبب تحايلها على الجمع بينهما بوسائل تغريها دون
أن يجمعهما تكافؤ وتجانس في الاخلاق والطباع





ستيته الشحاذه



ستية الشحاذة !!

شخصية حقيقية

غرائب هذه الدنيا لا تقف عند حد، وعجائبها لا يحيط بها وصف وكلما جال المرء في أنحاء هذا الوجود تكشفت له صنوف من الحوادث الواقعة هي أغرب مما يتصور الشعراء

في شارع المشهد الحسيني، حيث ينتهي بك المسير إلى قباء معقود تجتازه إلى «الباب الأخضر» أحد أبواب المسجد الحسيني، يرى السائر هناك فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها، شوهاء الوجه، نحيلة الجسم، رثة الثياب، تظهر على عنقها وصدرها آثار الحريق، تجلس بجانب حائط المسجد حيناً، وفي بعض المنعطفات حيناً آخر، وهي في الحالين لا تبدو إلا واجمة مذهوبة العقل ذاهلة عن الناس لا تنظر إلى أحد ولا يسترعى انتباهها شيء.

مررت بهذا الحي منذ أيام فاستوقفني منظر هذه الفتاة، ووقفت أسأل صديقاً لي عن شأن هذه البائسة، أمساوبة العقل هي؟ وإلا فما الذي يبدو على وجهها من وجوم وذهول؟ وكان صديقي من سكان هذه الجهة فقال هذه «ستية الشحاذة» التي أحبت فوزي وهامت به وكان بها بعض الجمال قبل أن تجن وتحرق نفسها، لم يكذب ينطق بهذه الكلمات حتى تولتني الدهشة، وأخذني العجب، وحسبت أنه هو الذي ذهب عقله، وجن جنونه، من هو فوزي، وما شأنه.

وكيف أحبته ، وكيف يتسع قلب هؤلاء للحب والهيام ؟ ..!
قال صاحبي :

كانت هذه الفتاة في العشرين من عمرها ، وكانت على جانب
قليل من الجمال ، واتخذت « الشحاذة » حرفة تقنات منها ،
وتجمع المال فتخزنه في باطن الارض ، وظلت كذلك منذ
درجت من الطفولة الى الشباب ، واتخذت هذا القباء مأوى تأوى
اليه اذا جن الليل وخلت الشوارع من الناس

ويشاء الله ان يتسلل سلطان الحب من القصر ومباهج
الحياة ونورها فيذب الى هذا القباء المظلم الموحش ، ويظل ينفذ الى
قلب « ستيته » رويداً رويداً حتى يخفق ويشتد خفوقه ، ذلك لأنها
خرجت ذات يوم تطوف الشوارع والدروب والحارات تستجدي
الناس ، وتطلب رحمتهم كعادتها كل يوم ، ومرت في هذا اليوم بشارع
السكة الجديدة ، فتقدمت الى شاب أسمر اللون ، مفتول العضلات ،
معتدل القامة ، جميل العينين ، فمدت اليه يدها بالسؤال !! لكنها لم تكدر
تنظر الى وجهه ثم تلقى عليه النظرة الثانية والثالثة حتى قبضت يدها
وأحسست في باطن قلبها بميل يدفعها الى تكرار النظر الى وجه
هذا الشاب ، فانتحت ناحية بعيدة عنه وظلت تنظر اليه من بعيد
دون أن يشعر بوجودها أو يحس بمقامها !!

وهذا المعشوق من سكان « حي الحسين » وهو معروف في
هذا الحي بالجرأة والاقدام والشجاعة ، يلتف حوله « الفتوات »
فيغشى معهم الملاهي والقهاوى ويطوف بهم الشوارع ليلا في
طريقهم الى جبل المقطم حيث يقضون به بعض وقتهم كما يفعل

« الصبوات والفتوات » فاذا رأيت فوزى فى ضحوة النهار يجلس بمشرب قهوة بلدية فى خان الخليلى رأيت بالقرب منه « ستيتة الشحاذة » ترنو اليه بعين دامعة ، ونفس موجعة ، لكنها لا تقوى على هذا الكتمان طول الأبد ، فلا بد من أن تبوح لمعشوقها ومالك هواها بما يخفق به قلبها ويضطرب له فؤادها !!!

فى ليلة من ليالى الصيف الحالكه الظلام كان المار من تحت القباء المعقود بمدخل « الباب الاخضر » يتعثر فى طريقه بجثث آدمية ، تدب فى الظلام الى مأواها الموحش ، فلا يسمع الا همهمة وأصوات مضطربة خافته ، اولئك هم جماعة الشحاذين والشحاذات ، يدبون الى هذا المأوى المنحدر المظلم وبينهم ستيتة العاشقه ، فاذا انقضى الشطر الأول من الليل ومررت بهذا المنعطف ، سمعت حديثاً وسمراً مختلف اللهجات متباين العبارات ، وسمعت ستيتة تختص « الست خضره » بسرّها وهواها وترجوها ان تذهب فى الصباح الى فوزى لتعرض عليه ان يقبلها زوجة مقابل اربعمائة جنيه تدفعها له من ادخارها فى أيام طفولتها وشبابها ، وتذهب « الست خضره » وهى امرأة عجوز متهدمة تبلغ من العمر سبعين عاماً ، يعتد فيها بعض الناس الصلاح والتقوى « والبركة » - تجر فى قدميها الى حيث يجلس فوزى فتدنو منه ثم تطلب اليه ان يقوم معها الى جهة بعيدة عن الناس لتكلمه فى مسألة « على سنة الله ورسوله » فيدهش الفتى بادى الامر ، ثم يذهب معها الى ناحية بعيدة عن الناس ، فتكاشفه بالامر على جليته ، فتبرق عيناه لالحب الفتاة ولا

لقلبها الخافق بل للجنيهاات الاربعمائه ، ويعدها ان يفكر في الامر
« ويشاور نفسه » ثم تعود الى ستيته فتبلغها الخبر وتطمئنها على
نوال بغيتها !!!

ظل فوزى مشغول البال بالحصول على هذا المبلغ الضخم ،
وراح كل يوم يمر بالباب الأخضر يتفقد ستيته بين الشحاذات ،
فاذا رآها ، حول عنها طرفه ، وتظاهر بعدم اكرامه بها ، وترامستيته
فيلتهب قلبها وتحس كأن نارا تشتعل بين جوانحها . وتمر الايام
والشهور وفوزى يفكر في الزواج من شحاذة بائسة مقابل مبلغ
من المال !!! ويرهب الاقدام على ذلك الامر خشية انتقاد الناس
وأقوالهم ؛ لكنه لا يعدم وسيلة من وسائل الاغراء يحصل بها
على هذا المبلغ قبل ان يرتبط معها بعقد زواج ، وإذن فليقابل ستيته
وليظهر لها من الحب بمقدار ما تظهر له ، ثم يعرض عليها ان تكون
في بيته ، قبل الزواج بعيدة عن وسط الشحاذات وعيشهن الأُنكد ،
وتقبل الفتاة فرحة على بيته ، ويظل يعبت بعقلها ويستلب لها حتى
ترضخ لمشيئته فتقدم له المبلغ ليفتح به قهوة تدر عليها الربح الوفير !!!

بعد ان غابت الفتاة عن « الباب الأخضر » أشهر وذاغت
قصتها بين الناس وظن الكثير منهم انها أصبحت زوجة لفوزى
عادت الى الارصفة وتحت القباء في حالة ذهول ونحول ، ثم لوحظ
انها خرجت فجأة من هذا الذهول الى الاضطراب والهذيان ،
وظلت تطوف الشوارع ، ومشارب القهوة ، صارخة جازعة تنطق

بكلمات متقطعة لا يتصل أولها بآخرها ، وأخيراً أطبق جنونها
فأصبحت خطرة مخيفه ، تكثر من ذكر فوزى هائجة عنيفة الحركات
كثيرة المخاطر ، وهم بعض الناس ان يحتمل لادخالها مستشفى
الامراض العقلية لولا انها هدأت وعادت الى ذهولها الاول
وفي مساء يوم من العام الماضي فزع أهل الحى لصراخ شديد
يدوى في سكون الليل ورهبته ، وهرع الناس الى مبعث الصوت
فاذا ستية المسكينة قد أشعلت النار في نفسها وهي تحترق وتدوى
صرخاتها في الفضاء ، ثم ينقذها القدر وهي في الرمق الاخير ، وهما
لا تزال محترقة الجسم والفؤاد يبعث منظرها الشفقة في أقسى
القلوب وأغلظ الالكاد !!!



الکونت دی ملوی

الكونت دى ملوى

منذ خمسة وعشرين عاماً أو تزيد؛ كان الداخل الى البنك الزراعى المصرى يلح بين موظفيه قى في ميعة الصبا ويريعان الشباب، تلوح عليه أمارات الجد والنشاط والذكاء، يقوم بما يوكل اليه من الاعمال فى دقة ونزاهة واستقامة، ذلك هو الشاب المصرى «حسين، ش. افندى» وما زال يجد ويعمل حتى اكتسب رضا رؤسائه وثقتهم؛ فوكلوا اليه بأمورية مصلحة وأسلموا اليه مبلغ النفي جنيه لتنفيذ هذه المأمورية، لكنه لم يكن يمثل دور المجد العامل النشيط إلا لمثل هذه الساعة فاختلس المبلغ وراح يخلق بذكائه النادر شتى المشاكل فى سبيل الدفاع عن نفسه حين اقتضح أمره وذاع سره، ولما لم يجد من صنوف الحيل وضروب المماطلة ما يستر به أمر اختلاسه، فر الى فرنسا قبل ان يصل التحقيق القضائى الى أدواته.

فاذا كنت بباريس وطففت بحى «مونمارتر» وجدت الشاب المصرى يعيش فى وسط طائفة من الرعاع والاباش، ينثر الاموال ذات اليمين وذات الشمال؛ ويؤلف من رجاله عصابة قوية من مختلف الاجناس المقيمين فى ذلك الحى ما بين صينى أفاق، وياباني محتل، ويوناني مارق، وصعيدى مصرى نزح الى هذه البلاد عاملاً فى إحدى البواخر أو خادماً لبعض ذوى اليسار ثم استوطن بباريس

وتزوج من إحدى نساءها وعاش بحى « مونمارتر » ورزق أولادا
وكسب مالا ، من هذه الاجناس المختلفة المتباينة ألف شابنا المصرى
عصابة عملها السرقة والسلب والنهب والاحتيال ، ثم تزوج هناك
وأقام عشرين عاما ، لعب في خلالها أدوارا هامة ، فاتصل بقلم المخابرات
السريه في فرنسا وابتز منه أموالا طائلة !!!

وإذ ذاك لم يعد الشاب المصرى « حسين افندى ش ... » بل
أصبح « الدكتور حسين ش ... بك كونت دى ملوى » فاذا غشيت
أوساط باريس الارستقراطية وطففت بدوائرها التجارية
والقضائية لقيت فتى رائع الشباب ، طلق الحياء ، قوى العارضة ، أنيق
الثياب ، يروح ويغدو في هذه الاوساط ، بين الثقة والاعجاب ، ثم
ترى موظفا كبيرا من موظفى قلم المخابرات السريه الالمانية يتصل
بهذا الشاب « ويرجوه » أن يتفضل ويتنازل بمساعدته في شؤون
المخابرات السرية الالمانية الهامة ، ويقبل صاحبنا هذه المهمة فيلعب
فيها دورا خطيرا يدل على جرأة وهمة وذكاء وإقدام لم يرقلم المخابرات
الالمانية أروع منها ولا أكثر توفيقا ؛ وترى بعد ذلك الدوائر
التجارية الفرنسية تعرض على جناب « الكونت » ان يمنحها بعض
وقته الثمين لتستعين به على قضاء بعض المصالح الهامة التى لا ترى
غيره أهلا لها ، ويتنازل صاحبنا « أيضا » ويقبل القيام بهذه الاعمال
الجديدة مرضاة للوطن الذى يعيش فيه والذى أصبح يعد نفسه
واحدا من ابنائه . وهكذا ظل صاحبنا في كل أدواره موضع الثقة
والاعجاب والتقدير وانكن الدنيا الغادرة لا تظل باسمه لأهلها
أبدا ولا تبقى لبنيتها على حال . فادارة الأمن في باريس قد أصبحت

تثبت حوله العيون والارصاد، والدوائر التجارية الفرنسية لم تعد تنظر اليه بعين الاطمئنان والثقة كما كانت تنظر اليه من قبل، ولا بد من إجراء تحقيقات قضائية دقيقة مع هذا الرجل الغريب، ويجرى التحقيق بعد التحقيق لكن الأدلة لا تكفي لاقامة الدعوى ضده فما العمل؟ اذ ذاك ظهر ان للفتى «زوجات» وانهن جميعاً كن فريسة لدهائه واحتياله فلا بد إذن من أن يقدمنه للقضاء العادل ويصدر القضاء فيه حكمه، لكن أين هو؟ وفي أى حي يقيم؟ بل فى أى دولة يقيم؟

يهبط الفتى الى «روما» شاباً وجيهاً من ذوى اليسار وأحد أبناء البيوتات المصرية العريقة، ويتصل بدوائرها التجارية الكبيرة وبرجال الأمن فينال من ثقتهما أكثر مما نال فى باريس، ويعيش فى أحيائها الراقية عيشة «الكوتات» الكبار. وكانت الحرب قد وضعت أوزارها، وهدأ العالم هدوءاً يتطاب من مثل صاحبنا ان يعيش فى هدوء وسلام، وأن يعود الى وطنه الاصلى فى دعة واطمئنان، فماذا يفعل؟ لا بد ان ينال «شهادة الدكتوراه» فى القانون من جامعة «روما»، ولا بد ان يبذل المساعى الكبار ليعود الى وطنه، الاصلى وبسمح له بالافادة فيه بعد حادثة اختلاسه القديمة من البنك الزراعى المصرى، أما السماح له بالعودة فقد يجد اليه منفذاً، وأما حصوله على شهادة الدكتوراه فماذا هو صانع من أجله؟ تلك هى المشكلة!!! فهو لأجل ان ينال الدكتوراه

لا بد ان يكون قد نال قبلها « الليسانس » فهل سيعجز صاحبنا الداهية
عن ان يدبر لهذا المطلب حلا موقفاً؟ سنرى !!

نحن الآن في القنصلية المصرية بروما حيث نجد « الكونت
دى ملوى » يتواضع فيزور « موظفاً صغيراً من موظفي القنصلية
المصرية ، فتعقد بينهما صلة ود وصداقة يعقّبها دعوات متكررة للغداء
والعشاء والسهرة في دور اللهو الكبيرة ، ويظهر الموظف الصغير هذا
المظهر الفخم من صاحبنا فيبيت طول ليله يحلم به — هذه الصداقة
الجديدة التي كانت سبباً في رغبته وهنائه ولهوّه ، ثم يعقب هذا أن
يزوره « الكونت » المصري فيشرح له مقدار ما عانى من اضطهاد
السلطات الفرنسية له مدة اقامته في باريس ويدكر بتوابع وحسرة
ضياح شهادة « الليسانس » التي حصل عليها من فرنسا ، وكيف ان
الحكومة الفرنسية أصبحت لا ترضى ان تكتب له بدلها ليتمكن
من دخول جامعة روما للحصول على الدكتوراه ، وحين يقرأ
صاحبنا على وجه صديقه الموظف الصغير علائم التأثير والانفعال
يدب الى نفسه يحكم القول والقصص ثم يطلب منه مساعدة
« بسيطة !!! » هي ان يكتب الى جامعة روما خطاباً بتوقيع القنصل
وبختم القنصلية يقول فيه مامعناه « ان الشاب المصري حسين ش ..
قد طلب منا أن نخبر الحكومة الفرنسية بشأن شهادة الليسانس
التي حصل عليها من فرنسا وقد أرسلنا فعلاً الى الحكومة الفرنسية
نسألها هل حصل الطالب المصري حسين ش .. على شهادة الليسانس
حقاً وهل يمكنه أن يحصل على صورة منها اذا كانت صورتها

الاصلية قد فقدت منه ؟ فاجابتنا الحكومة الفرنسية أن الشاب المذکور حصل حقيقة على شهادة الليسانس في القانون وانه غير ممكن ان يحصل على صورة منها ، ويمكنكم ان تعتبروا هذا الاقرار منا بمثابة الشهادة الاصلية اذا كان لابد من معرفة الحقيقة »

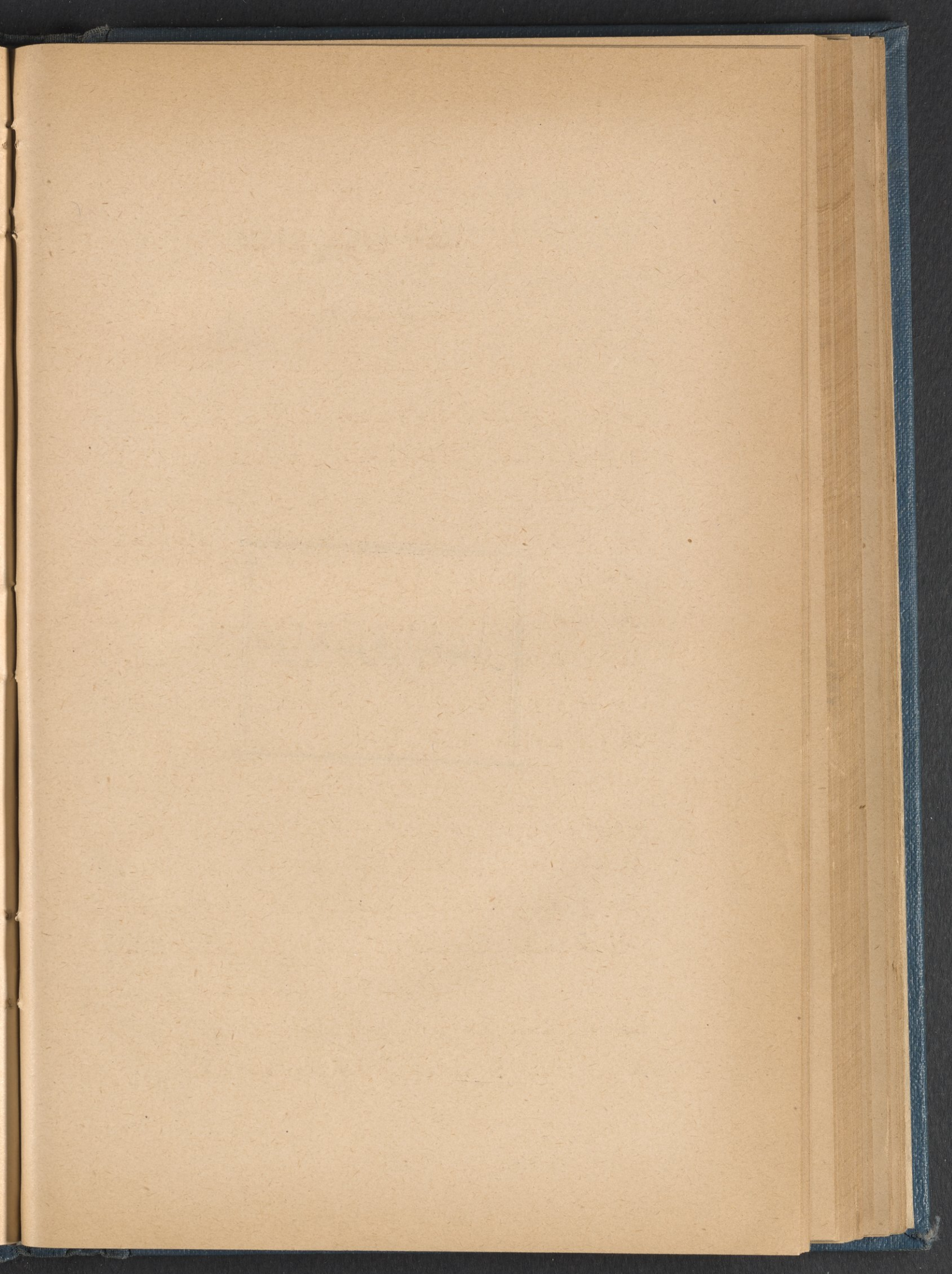
وضع صاحبنا مشروع هذا الخطاب أمام صديقه الموظف وتوسل اليه ان ينقذ مستقبله بهذه المساعدة ، واذا كانت المشكلة القائمة أمامهما هي تقليد توقيع القنصل ، فانه يستطيع بعد قليل من المران أن يحكم تقليد توقيعه ، وتم الاتفاق على هذا ، وكتب الخطاب موقعاً عليه بتوقيع القنصل المزور ، وختم بخاتم القنصلية ، وأرسل الى جامعة روما فلم يسعها إلا قبوله واعتباره بمثابة شهادة الليسانس لانه وارد اليها من جهة رسمية معترف بها

وتقدم الشاب الى جامعة روما ليحصل على شهادة الدكتوراه فوضع له بعض المتتورين « رسالة » في موضوع الدكتوراه ، وظل يلقيه ويدربه وكان كما أسلفنا ذكياً نشطاً متمركزاً على كثير من المسائل القانونية فاستطاع أن ينال الدكتوراه !! ثم عاد الى مصر بعد أن بذل المساعي الكثيرة ليسمح له بالعودة الى ارض الوطن ولم تكذ تظاً قدما حسين ش . . أرض مصر حتى ادعى أنه حاصل على شهادتي دكتور في القوانين من جامعتي باريس وروما وقدم طلباً لقيد اسمه بين محامى المحاكم المختلطة ، وقبل طلبه واتخذ مكتباً فخماً به أنخر الاثاث وعدد عديد من الخدم المصريين والأجانب فى شارع المغربى . وسكن فى عزبة الزيتون ، وأكثر من السيارات يبدل كل يوم واحدة بأخرى وخلق حوله جوا من

الارستقراطية والوجاهة واحتاط به السماسرة يتصيدون له الموكلين
وأرباب الحاجات واتسعت أعماله اتساعا كبيرا
ولكن هذه الوجاهة لم تدم طويلا ، حيث انكشف أمره
وافتح سره وقال القضاء فيه كلمته فعرف الناس حقيقته



فتاوى سوق الخضار



« فتاوية » - روى الخضار !!!

امرأة تقهر الرجال

أما ان يحب الانسان بعض الاحياء الوطنية فيرى رجلا من « أولاد البلد » قد نزعت نفسه الى خوض المعارك في الموالد والافراس ، واشتهر بين أهل الحى بقوة جسمه وجرأة قلبه ، وظل يقتحم المخاطر والمهالك ، فلا يرهب العصي الغليظة تهوى على رأسه وجسمه ، ولا يفزع من المدى يطعن بها في مقاتله ، ولا يزال يغامر بحياته في ضروب « الفتوة » حتى يدين له « صبوات » هذا الحى بالطاعة والامثال ، وينصبونه عليهم « فتوة » يحمي ذمارهم ، ويحمل لواءهم ، ويرد عنهم عادية المعتدين ، فيأتمرون بأمره ، ويخضعون لآشارته . نقول أما ان يرى الانسان رجلا هذه صفاته وتلك مغامراته فذلك أمر جائز محتمل الوقوع .

وأما ان يسمع الناس عن « امرأة » تقهر الرجال ، وتجي منهم الاموال ، وتخضع بقوة عضلاتها ، وشدة بأسها « أحسن شنب في الخط » وتعرف كيف يستحسن « ضرب الروسيه » في بعض المعارك ، وكيف يكتفى في بعضها بـ « شك مقلب » فذلك هو الامر الذى يشير الدهشة ويدعو الى الاستغراب

وليس هذا القول حديث خرافة ، أو خيال متخيل ، أو قصة روائي ، لكنه الحقيقة الواقعة التى يستطيع كل إنسان أن يراها

متى شاء . ففي سوق الخضار وحي المناصرة، يرى السائر هناك امرأة
سمراء، غليظة الجسم، واسعة العينين، مفتولة العضلات، قصيرة
القامة، كبيرة الرأس، شعناء الوجه، مكفهرة الطلعة، تروح وتعدو
في الشوارع والحارات، مرهوبة الجانب، مهيبة الخطوات، تشير
بالسلام ذات اليمين، وذات الشمال، في تؤدة ووقار، ككل ذي جانب
مرهوب وزعامة مرموقة . فاذا لقيها واحد من « الجدعان ولاد
الحتة » رأيتها تقبل عليه تهادى ككسوة المحمل فتبتدره بصوتها
الأجش مسلبة ثم ترفع يدها الغليظة فتضرب بها كفه ضربة قوية
وتهزه هزاً عنيفاً، وتلك هي تحية الفتوات مضافاً إليها كم « حبا
يا صبو » و « ازيك يا مجدع فينك يا واد من زمان ما حدش شافك »
ويحييها هو بما يليق بمقامها السامي و « جدعنتها » المعترف بها
من الجميع ؟!

هذه هي زكية .. « فتواية » سوق الخضار وحي المناصرة على
« سن ورمح » ليس في أهل الحى من ينكر خطرها، أو يجمل قدرها
فهى المرأة الشديدة البأس القوية المراس، السليطة، الجبارة
العاتية التى لا يقوى رجل - مهما بلغ من القوة والبسالة - ان يقف
فى سبيلها، أو يعترض أو امرها، فالعربجية والبياعون على اختلاف
طبقاتهم لابد ان يقدم لها كل منهم « ضريبة » معلومة يدفعها صاغراً
وإلا فالويل له والهلاك ينتظره « وإيه يعنى يا واد انت وحياتة دن
النبي محمد ان ما كنت حتدفع ورجلك على رقبتك اللى عمرك زقزق »
وإذ ذاك لابد من الدفع والخضوع « بس ياست زكية السوق نايم
ولا فيش شغل اعمل معروف وطولى بالك علينا شوية » والامر

لله من قبل ومن بعد ، فمن شاء ان يستغنى عن أسنانه ، ومن أراد أن يكتفي بعين واحد بدل عينين ، وسبعة أصابع بدل عشرة ، ونصف رأس بدل رأس كاملة فليقف في سبيلها وليعص أمرها وليعد بعد ذلك الى بيته ناقصاً عضوين أو ثلاثة من أعضائه

لقيتها !! وكان يوماً من أدق أيامي ، وكان صديقي الدكتور الذي عرفها في السجن واسطة التعارف بيننا ، وانزويت في قهوة بلدية أنتظر قدومها فلم تحضر ، وسألت صاحب القهوة عن سبب تأخرها فأجابني « بانها راحت القسم علشان خنافة امبارح » فقلت له « وإيه خنافة امبارح دى كان يامعلم » ، فقال « لا مافيش دى خنافة بسيطة امبارح مع عسكري النقطة كانت ضربته روسيتين !! » هاهى قادمة تنهادى « يشير صاحب القهوة الى مقدمها » - أهلا وسهلاً حبا يا أمير لا مؤاخذه كنت في القسم وتأخرت عليك شوية .

— أهلا بك يا ست زكية وازيك وسلامات
- ربنا يطول عمرك ، قل لى ياخويا إيه حكاية الجرنان دى اللي انتو عايزينها منى .

— مفيش حاجة ياستى مسألة بسيطة بس احنا عاوزين ناخذ صورتك علشان ننشرها للناس يشوفوها ونكتب عنك انك جدعه ولحدش يقدر يدوس لك على طرف

— معلوم (بتضخم اللام) مين يقدر هنا يدوس لى على طرف والنبي كانت عنيه دى أطلعها على صرابعى .
وعندئذ رأيت المسافة بين أصابعها وعيني ليست بعيدة ، واننى

إذا لم استعمل معها كل ما أحفظ من العبارات البلدية الرقيقة،
فسوف أعود أنا الآخر بعين واحدة ورأس مهشمة، فابتسمت
وقلت لها: أهى كده الجدعنه وأهو ده اللي احنا حنقوله عنك
— لكن يا أفندي بعدين الحكومه تقرا الكلام ده وتتغاض
بعدين تخسر لى القضايا بتاعتي .

— لا أبدا من يقدر يخسر لك القضايا ، ومع ذلك احنا
نشرنا صورة فتوة سيدنا الحسين و كتبنا عنه كتابه على الكيف
— مين ؟ فهمى الفيشاوى ؟

— أمال ؟ كتبنا عن فهمى ونشرنا صورته وطلعت حلوه جدا
— أبوه فهمى واد مجدع أعرفه من زمان

— قولى لى يا ست زكيه !! انت تعرفى طبعا ان السجن للجدةان
فانت كام مرة انسجنتي

— متعديش ، وإيه يعنى السجن ، الواحد مادام حافظه مقامها
وتشرب من دم اللي يقول لها بم ، خلاص ميهماش من سجن ولا
غيره ، طيب أهو العراقي فتوة الحسينيه سجنوه لكن يعنى تفتمكر
السجن يهमे ؟

— السجن يهमे ازاي ، أمال فتوه يعنى إيه . لكن قولى لى
ياست زكيه انت اليومين دول عندك قضايا تانيه ؟

— لا دول قضيتين تلاته وكلها حكايات بسيطة ، كنت عورت
واحد عسكري حب يعمل واد جدع رحت مخر شماه ، وواد تاني
عربجي علوز يزوغ مني كده في مسألة بيني وبينه ، وآخرتها نزلتو على
العربية وسيحت دمه علشان ميعملش وياي أمور الغفله دي ،

والحكاية الثالثة ياسيدى والله على رأى المشل مينوب المخلص الا
تقطيع هدومه ناس فى خناقة وحببت أخلاصهم بصيت لقيت فيهم
واد كده مش علوز يمشل رحت خابطاه روسيه نزل يرف !!
وأردت ان أتلف فى الحديث مع محدثى الفاضلة فأطلب
منها ان ترافقنى الى أقرب مصور لأخذ صورتها فقبلت
- بس من فضلك لما أبعت الواد يجيب البدلة السوداء

ومضينا الى المصور فلم يخف القمر !! فقد تلقاها هو الآخر
بما يليق بمقامها من الاجلال والتعظيم ، ودار بينهما حديث طويل ،
دل على سابق معرفة قديمة ، ثم عادت اليه فى اليوم التالى تطلب منه
بقية « النص دسنة » لتزين به غرفتها كما اتفقنا ، لكنها قبل ان
تنصرف من عنده التفقت اليه وقالت :

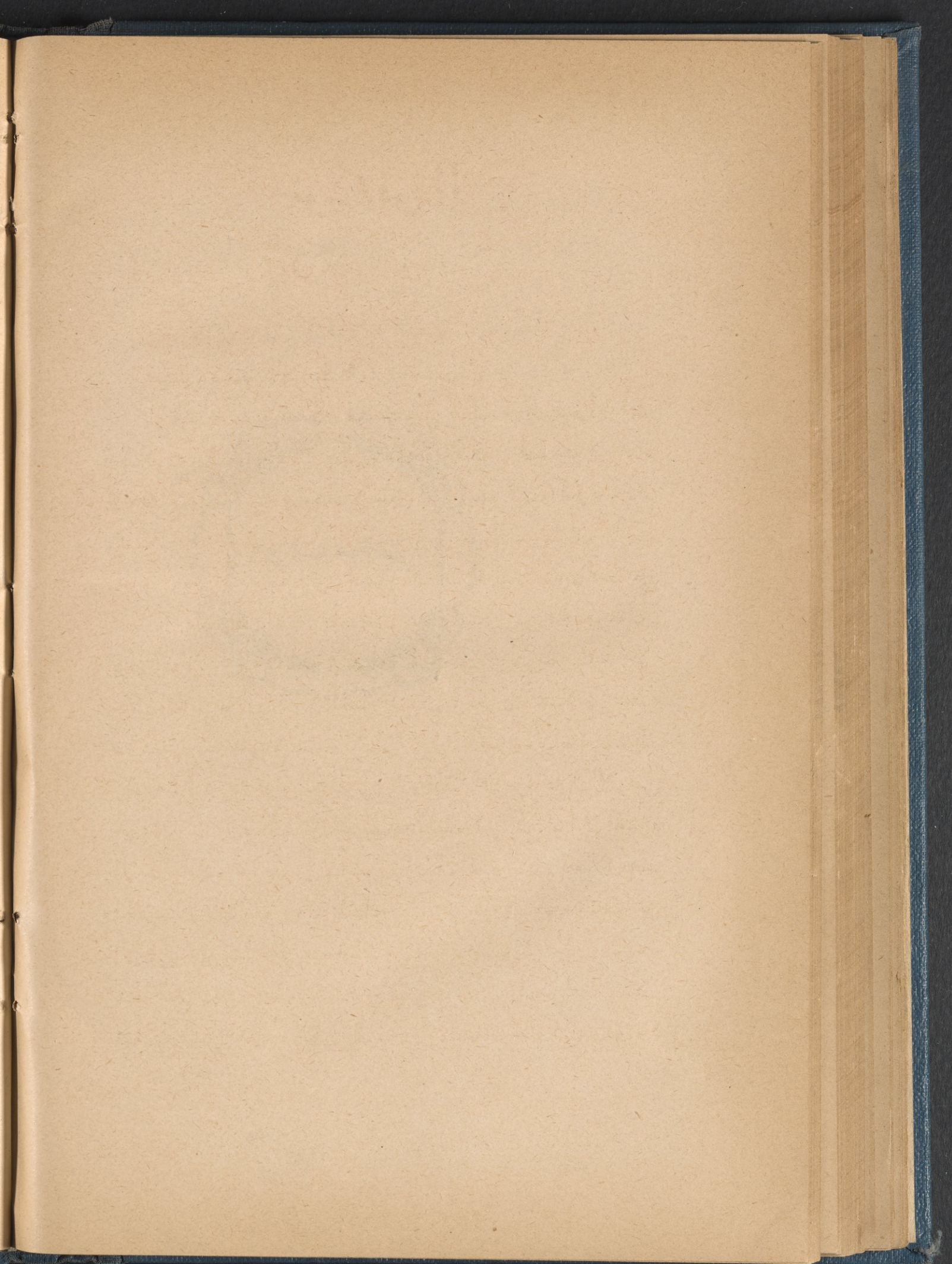
- اسمع ياخواجه وحياة دين النبى محمد متكون الصورة اللى
عملتها دى حتودىها للحكومة انت وبتوع الجرنان الا يكون آخر عمرك
وارتعدت فرائص الخراجة المسكين فأقسم لها باغلاظ الايمان
بالتوراة والانجيل انه لا يعرف من الاثر شيئا ، وأنه يجمل حكاية
الجرنال ، ولا يدرى من أمر الصورة أكثر مما يدرى عن عمله
اليومى لكل أفراد الجمهور على السواء

ومررت بالمصور أتناول منه الصورة المطلوبة للجريدة فحدثنى
المسكين فى وجل وفزع عما سمعه من عبارات التهديد والوعيد ،
وهدأت روعه وأفهمته ألا خوف عليه ولا على سواه
ومما تلى معرفته عن صاحبة هذا الحديث الطريف أنها تجلس
أكثر يومها بمحل بائع سجائر تدخن وتطلب « التعميره الحى »

من القهوة البلدية المجاورة للمحل ويمر بها أهل الحى فى غدوهم
ورواحهم فيحيونها تحية الاكبار والاجلال، والويل والهلاك لمن
تحدثه نفسه بأن يتغاضى عن مكانها، أو يغفل تقديم التحية اليها،
فاذا أقبل الليل طافت بمنطقة نفوذها، وعرجت على سوق الخضار
فى طريقها ثم ذهبت الى « الحارة » فجلست أمام منزلها لتمضى بقية
السهرة مع جاراتها وجيرانها وجلست معهم جميعا مجلس الزعامة
فلا يخالفها فيما تقول أحد ولا يعترض إرادتها معترض
(وبعد) فمعدرة الى « الجنس اللطيف » وألف معذرة !!







موت محقق !!

في بلاد السودان

حدثني صديقي الضابط قال :

لما كانت قبيلة « الدنكا » من القبائل العاتية المستهترة رأت الحكومة أن تنقل إليها مركز « مفلو » ليكون هذا المركز أداة لاختضاع هذه القبيلة وإرهاب أهلها المعتدين بقوتهم وكثرة عددهم وفضيع مخاطرهم ، ولقد كان يجب إلى في سن الشباب أن أركب المخاطر ، وإن أزوج بنفسى في مجاهل هذه البلاد المترامية لأقف على أخلاق أهلها وعاداتهم ، فصادف هذا التفكير من الحكومة فى نفسى هوى ورغبة شديدة فى إتمامه ، فألححت فى سرعة التنفيذ حتى وافق المدير على أن أبدأ فى العمل فذهبت ومعى ١٥ عسكريا ووصف ضابط لاختيار موقع يصلح لبناء المركز الجديد ، وابتدئت هناك « عشة » لمبىتى وأخرى لعساكرى ، وظللنا نجوس خلال الارض حتى اهتدينا الى مكان مرتفع يصلح لبناية المركز لكيلا تغمره الامطار أثناء الخريف (وفصول السنة فى هذه البلاد فصلان فقط الخريف والصيف) وكل منطقة يبدأ خريفها فى وقت مختلف عن الاخرى ، ويبدأ الخريف هناك من مايو وينتهى فى نوفمبر ، وتبعد هذه البلاد عن خط الاستواء بخمس درجات ، لكن هذا المكان المرتفع الذى اهتدينا اليه كان أشبه الاشياء بالغابة الكشيفة فلم أجد

مندوحة من قطع أشجاره حتى أتمكن من معرفة طبيعة أرضه
وصلاحيته للبناء.

بدأت عملي وساعدني على ذلك أفراد مخلصون من قبيلة «الجود»
وهي قبيلة مطيعة مستسلمة، ولقد كان الدافع الحقيقي لهؤلاء على
مساعدي هو خوفهم من قبيلة «الدينكا»

وكان لابد أن أستحضر أخشاباً من أحجام مختلفة وأشكال
متنوعة، ولا أستطيع أن أحصل على هذه الأخشاب إلا إذا
ساعدني أهل هذه البلاد على قطعها وحملها نظير أجر معين بواسطة
المديرية حيث جعلت لكل قطعة ثمناً، كذلك كان يجب أن أحصل
على القش، والقش هناك يكاد يكون كالغاب سمكاً وارتفاعاً،
لغزارة الأمطار وقوة الأرض فجعلت لكل حزمة من هذا القش ثمناً
معيناً، وبعثت في طلب المشايخ لاتفق معهم على تقديم الأخشاب
والقش، ويغدر هؤلاء غالباً برسل الحكومة فيقتلونهم وينكلونهم،
لذلك أرسلت لكل شيخ قبيلة عسكريين يذهب أحدهما بالرسالة ويقف
الثاني في جهة قريبة منه حتى إذا أصاب الأول مكر وعاد الثاني مسرعاً
ليخبرني بالخبر، وبالاختصار حضر مشايخ القبائل، لكنهم حضروا
والشرر يتطاير من عيونهم، والغدر يتمثل في وجوههم، حضر
هؤلاء الحبارة العتاة وقد أثار غضبهم فكرة بناء المركز بالقرب
من قبائلهم فأخذوا يخاطبونني بلهجة البغض والازدراء وعدم
المبالاة. قال لي بعضهم:

— لماذا جئتم إلى هنا؟ هل إذا جاء بسلامكم أحد بدون رغبتكم
سرحبون به أو تطردونه؟

وهنا كان لا بد لي من أن أستعمل الشدة والصرامة في مخاطبة هؤلاء العصاة ، فألقيت عليهم أوامري بشدة وغلظة ولم أدع لواحد منهم مجالاً للكلام . لكنهم على الرغم من ذلك قابلوا شدي هذه بكل استخفاف وراحوا يضحكون ويتغامزون ، واذ ذاك فكرت في الأمر ملياً وتذكرت ان عدد عساكري لا يزيد عن الخمسة عشر وان الأسلحة التي نحملها لا تكفي لصد غارة هؤلاء المشايخ مع رجال قبائلهم الكثيرة العدد ، وصرقهم على ان أعود لحيمتي وأطيل التفكير في الوسيلة التي أخضع بها هؤلاء العصاة ، لا حصل منهم على المساعدة المطلوبة لبناء المركز ، ولا تم مهمتي التي حضرت من أجلها كي لا أعود مخذولاً ، ومضى على هذه الحيرة المطبقة ثلاثة أيام كاملة لم أذق في خلالها طعم الراحة الا لمأماً ؛ وبينما كنت على هذه الحالة القلقة إذ حضر الى أحد المشايخ الموالين للحكومة وهو الشيخ الوحيد الذي نعتبره موالياً للحكومة من قبيلة « الدنكا » لكنه لا يستطيع ان يظهر لاهل قبيلته هذه الموالاة خوفاً من ان يذهب دمه هباء ، لذلك فهو يحضر إلينا خفية ويقدم إلينا تفاصيل أخبارهم وتنقلاتهم وأسرارهم . حضر إلى هذا الشيخ الموالي لا لينقل إلى خبراً عادياً كالذي كان يحمله في الايام السابقة ، بل جاء يخبرني .. يخبرني بماذا ؟ جاء يخبرني با ... الموت !!

« عمرك طاح !! »

ومعنى ذلك في اصطلاح هذه القبائل انني سألقي حتفي لا محالة ، لم يتملكني حيال هذا الخبر خوف أو وجل ، لان اغتيال الارواح

في هذه الأنحاء لم يكن أمراً غريباً ولم أكن أنا قريب عهد بحب مجاهل السودان وتوطين النفس على مخاطره ومهلكه، لكنني أحببت أن أعرف من حديث هذا الشيخ تفصيل الخبر لاحتاط للأمر قبل وقوعه، ولا دافع عن نفسي بكل ما أوتيت من تدبير وحيلة؛ لأن المسافة بيني وبين بحر الغزال بعيدة جداً ولأن رجالي لا يزيد عددهم عن الخمسة عشر، وأخيراً عرفت من هذا الشيخ أن القوم يبتوا امرهم على مهاجمة خيمتي وخيمة عساكري ليلاً انتقاماً منا لأننا في نظرهم سنكون السبب في بناء المركز الذي سيمنعهم من الاغارة على القبائل الأخرى

جلست والشيخ بجانبى، أفكر في طريقة أخلص بها من هذا الموقف، وأطلت التفكير حتى أحسست بأنني أجهدت قواي العقلية وصرت في حاجة إلى الترفيه عن نفسي قليلاً، وخطر لي في هذه الساعة أن أدير «الفونغراف» على في الحانة ما يسكن أعصابي الشائنة لم أكد أضع الآلة على الاسطوانة ولم يكد الفونغراف يردد صوت الشيخ سلامه حجازي بقوته ووضوح نبراته حتى انتفض الشيخ بجانبى وفغرفاه وحملق بعينه وصاح في ذهول يا حفيظ احفظنا يا حفيظ !!! ثم أخذ يسألني في لهفة واضطراب عن سر هذا العفريت !!

هنا سنحت بخاطري سائحة من الأمل، وهنا رأيت أن شبح الموت يجب أن يتوارى أمام فيض العقل الذي ألهم بهذه المعجزات العلية الباهرة:

— قلت هذا من صنع الحكومة يا شيخ.

— قال كيف ؟

— قلت هو لا يتكلم إلا بأمر الحكومة ، والحكومة موجودة

في كل مكان ، وهي ترى الناس والناس لا يرونها

بعد ذلك طار الشيخ الى قبيلته ، وأذاع في قومه نبأ هذا العفريت

العجيب فحضروا جميعا وهم يتهمونه في هذا الخبر بأنه « بلباص

وبلباص بلغتهم معناها الكذاب

سألني المشايخ عن الشيء الذي يتكلم فاجبتهم بما أجبت به الشيخ

الاول وقلت لهم انتظروا حتى يصل الامر من الحكومة وعندئذ

تسمعونه يتكلم . ودخلت خيمتي ، وانتظرت قليلا ، ثم خرجت

زاعماً ان الأوامر وصلت ، وأخرجت لهم الفونوغراف وأدرته

فطارأت ألبابهم وحملت عيونهم وراحوا يسألون عن الشخص

الصغير الجالس في داخله ، ففككته قطعة قطعة وأخذت أريهم

دقائقه ، ثم جمعته وأدرته ثانية فزاد خوفهم وارتجفت أوصالهم

وبدأ الوجل يتسرب الى نفوسهم من سطوة الحكومة وقدرتها

على ان تجعل الحديد يتكلم .

وانفرد واحد منهم يسألني في خوف ورهبة « وهل لدى

الحكومة شيء يمنع الموت ؟ »

قلت له نعم : « وسيصلني هذا الشيء بعد شهر ولا أعطيه إلا

لمن يوالى الحكومة ويخضع لأوامرها » لم يكذب يعم هذا الخبر بين

أفراد القبائل حتى هرعوا جميعاً الى معسكرى الصغير يطلبون

المغفرة ويقدمون ما تريد من المساعدة، وفي مدة وجيزة أتممت بناء
المركز، وخضعت القبائل، ودانت بالطاعة للحكومة، ونجوت من
الموت. وكان الفضل في كل ذلك للفونغراف الذي لم أكن أفكر
ساعة إن أردت الترويح عن نفسي به انه سيكون سببا في هذا
الفوز المبين.



الغريب !

« عشر ساعات تتقاذفه الامواج فوق لوح من الخشب »

هذه صفحات مطوية عن أهوال الحرب الكبرى وغرق
الباخرة التي كانت تقل صديقنا الدكتور احمد ضيف إلى مصر
أحببنا أن نصوغ منها قصة واقعة الحوادث، ولقد كان صديقنا
يشافهننا بما شاهد من هول هذه الايام السوداء وتلك الساعات
الرهيبية فندون نحن على لسانه هذا الوصف بما لم يختلف عن
الواقع الذي شاهده



قصدت اليه في منزله بمصر الجديدة، وكنت منه على موعد
سابق، وقد لقيني بما عرف عنه من أدب جم وتواضع كريم،
وبدأنا الحديث بادی الأمر عن الجامعة المصرية في عهدها
السابق أيام كان يتخلف اليها مدرساً و كنا تتخلف اليها طلابا،
وطاف بنا الحديث في ركب الايام وموكب الاعوام فذكرنا
كيف كان هو أول من نادى بفكرة وجود « أدب مصرى »
تتمثل فيه حوادث هذا الجبل وعواطفه، وكيف احتمل في
سبيل ذلك أول الأمر عنيت المتزمتين العاكفين على القديم، ثم
خشيت أن يستنفد هذا الحديث وقتنا جميعاً قبل أن نبدأ الحديث
فقلت: هل تتفضل فتحدثنا عن غرق الباخرة التي كانت تقلكم

إلى مصر أيام الحرب الكبرى ؟ وكيف ظلمت عشر ساعات
تتقاذفك أمواج البحر على لوح من الخشب كما سمعنا إذ ذاك ؟

لم أكد القى عليه هذا السؤال حتى بدت على وجهه انفعالات
غامضة مرهوبة ، وأطرق هنيهة كأنه يستعرض فيها صور الماضي
بما حوت من رعب وفزع ، ثم زفر زفرة عميقة حارة وقال :
- تسألني كيف غرقت الباخرة التي كانت تقلني إلى مصر ،
وتسألني كيف بقيت عشر ساعات أغالب الأمواج المتدافعة
المفزعة ، ولا تسألني كيف قضيت أيام الحرب في باريس وكيف
ظلمت شهوراً طوالاً أشهد فيها الموت كل يوم مرة وأستهدف
لشتى المهالك والمخاطر تحت وابل من قنابل الطيارين الألمان في
جنح الليل وإغفاءة الفجر ؟ ...
قلت : إذاً أبدأ بالسؤال عن تلك الذكريات
فقال :

قضيت كل أيام الحرب في باريس وشهدت من هول الحرب ما
يكفي بعضه لإحلال الرعب والهلوع في أقسى القلوب وأغلظ الأكباد
لقد ظل الطيارون الألمان يهاجمون العاصمة الفرنسية شهوراً
طوالاً وظالت قنابلهم وسيول نيرانهم تنصب على رؤوسنا في كل مساء
وفي جوف الظلام ، وكان الفرنسيون أعدوا لهذا البلاء النازل
عليهم من سماء الطائرات الألمانية عدة الدفاع ، فوضعوا مدافع
خاعة حول « حزام باريس » وكان كشافوهم يستطلعون بوادر
هذه الطائرات ، حتى إذا رأوا الخطر يدهم المدينة أطلقت قنابل

هذه المدافع رأسية على شكل قوس بحيث تكاد تجتمع كلها في نقطة واحدة وهي وسط المدينة، وبذلك يتعذر على الطائر اختراق هذه الأقواس النارية، وربما ظلت المدينة مروعة بالهجوم والدفاع ساعات وساعات

اتخذ حاكم باريس العسكري كل الوسائل لحفظ سكان العاصمة من نكبات هذه الحرب فأمر بإخلاء جميع الطبقات الأرضية الواطئة « البدروناات » بحيث تكون ملجأ لسكان المنازل ساعة الخطر، ووضعت على أبواب هذه الملاجىء أضواء زرقاء إشارة إلى أنها ملجأ الخائفين، فإذا دوى في أرجاء المدينة صوت نفير جند الحريق المنذر بقدوم طائرات الاعداء رأيت الفتيات في ثياب النوم يفزعن حاملات أطفالهن مختبرات الشوارع للذهاب إلى تلك الملاجىء، يأوين إليها، وكنت ترى الشبان والشيوخ والعجزة والمرضى خارجين من أسرهم في البرد القارس المهلك يتدافعون بالمناكب إلى هذه الحجرات الضيقة الصغيرة، ثم يتكدسون فيها بعضهم فوق بعض، لافرق بين امرأة ورجل، وشيخ وطفل، وشاب، كأنهم في يوم الفزع الاكبر يحشرون!!!

خرجت ذات مساء في ليلة مقمرة أودع صديقاً كان في زيارتي، ورافقته إلى محطة « المترو » بميدان النجم بالقرب من قوس النصر الذي أقيم هناك لنابليون، ورجعت إلى حجرتي

فخلعت ملابسى وتهيأت للنوم ، لم أكد أغمض جفنى حتى تفزع
على صوت النفير النذير ، وعلمت ساعتئذ أن ضيفاً ثقيلاً من
طائرى الألمان أبى إلا أن يزور مدينتنا فى مثل هذه الساعة ، وما
كدت أتهى من التفكير فى هذا الضيف المفاجىء حتى دوت
طلقات المدافع وصاح الجندى الحارس : اطفئوا الانوار المدينة
فى خطر !! ولم تمض دقائق حتى كانت أضواء المدينة أطفئت
جميعها . وهممت بالنزول لا لجأ إلى طابق أرضى لكننى روعت
بصوت فتاة أميركية كانت تسكن بجانبى ، وكانت قد انترتها من
من الفرع نوبة عصبية ، ثم اغمى عليها ، أسرعت لاسعافها ! لكن
الخطر كان يتهددنى ويتهدها إذا نحن أطلنا المكث بالمنزل
والمدافع تدوى طلقاتها فى الفضاء ، وقنابل الألمان تنصب على
سطوح المنازل . وأخيراً رأيت أن ينجو بنفسه من يقدر على
النجاة فتدثرت بثيابه وهرعت إلى الشارع فإذا هو غاص
بطبقات من الناس بعضها فوق بعض ، ورأيت على ضوء القمر
طيارة فرنسية منسلة كالسهم فى الفضاء تقذف رصاصها كأنها
نجوم ذوات أذنان ، وقصدت إلى قوس النصر التجىء إليه ، ثم
نظرت إلى السماء فإذا سيل من نار حامية ينصب على المدينة كما
تنصب الصواعق الماحقة ، ورأيت قنبلة تنفجر بالقرب من موقفى
وتصيب شظاياها جميع من حولى ، ثم رأيت سيلاً آخر من هذه
النيران ينصب بحملته على ركن منزل مرتفع ، ورأيت ركن
هذا المنزل يتداعى حتى يبلغ التداعى من أعلاه إلى طبقته الثالثة
وفى هذا المنزل الذى رأيت ركنه يهدم رأيت سيدة فى سرير

نومها يكاد الهلع يذهب بعقلها وروحها معا. كل ذلك وأنا في مكاني كأن أعصابي قد حالت إلى مادة حديدية لا تتأثروا ولا تنكسر ولقد كانت هذه الليلة أشد ليالي باريس هولا ، فقد تبينا في الصباح ان سرب طيارات المساء كان يبلغ نحو الستين طيارة ، وإن قائد هذه الحملة المروعة كان أحد العمال الالمان الذين عاشوا في باريس خمسة عشر عاما وعرفوا - على طول السنين - مواقع باريس وشوارعها وأهم مواردها الحيوية

فكرت منذ ذلك اليوم المكفهر في أن أنجو بحياتي فأسافر إلى مدينة « بردو » لأنها على الاقل تبعد عن منطقة الخطر بعض الشيء ، ومكثت بها خمسة شهور كنت في خلالها أتوسل إلى الجامعة المصرية في أن تبقيني إلى ما بعد الحرب ، لكن مديرها اذ ذاك - سامحة الله - فاجأني بتلغراف ينبئني فيه بضرورة العودة إلى مصر في الحال ، والا فان الجامعة تتخلى عني ، وتسند منصبى الى آخر

لما حان موعد سفري الى مصر ركبت الباخرة الفرنسية «أوجمنا» وهى احدى بواخر شركة « المساجيرى مراتيم » ، كانت هذه الباخرة ذاهبة الى مدغشقر وعليها نحو مائتين من المدغشقرين الجرحى القافلين إلى بلادهم وبعض ضباط من الانجليز والفرنسيين في طريقهم الى سوريا مع نساءهم وأولادهم ، ولم يكن فى الباخرة من الركاب المصريين غيرى

أقلعت الباخرة من مرسيليا مع ست بواخر أخرى واثنتان
حريبتان انجليزيتان جاءتا لحراسة البواخر الأخرى. نظرت الى
الباخرة أثناء نزولي اليها فاذا في مقدمتها مدفع، وفي مؤخرتها مدفع
آخر، واذا بالباخرتين الحريبتين تحوطان بنا، واذا بمنظر هذه
البواخر جميعا يشبه تمام الشبه منظر اسطول حربي كبير، قلت في
نفسى ما أشد هول هذا المنظر الرهيب أضاقت بنا فجاج الارض
بما ربحت ولم نجد غير هذه المراكب الوعزة المسالك نجوب بها
البحار

لا أكذبك فقد انخلع قلبي حين وجدتني على ظهر تلك
الباخرة، وتمشت الرعدة في كل أوصالى، حتى لحسبت نفسى في
ساحة قتال، ولا أطيل الحديث عن كل ما شعرت به خلال ذلك
فقد أفرد له كتابا خاصا يكون بمثابة تذكار لهذه العهود الحافلة
بشتى المخاطر والمخاوف

أقلعت بنا الباخرة - وان شئت فقل البواخر - ثم أخذت
طريقها إلى شواطئ أفريقيا اجتنابا لما عسى أن تلقاه في طريقها
المعتاد من خطر الغواصات القاتلة، ومضينا سبعة أيام الى أن
وصلنا الى مرفأ «بزرت» من بلاد تونس ثم تابعتنا السير في صباح
اليوم الثامن

ولقد كان حالى في هذه الايام على أسوأ ما تكون حال!؟
ذكرت أهلى وأقاربى واصدقائى، وكنت كلما تطلعت إلى البواخر
المحيطة بنا وذكرت فعل الغواصات وأهوالها، تولتني رعدة الخوف

والوجل . ولقد أنسى كل شيء في هذه الفاجعة إلا ذلك الموقف الذي ألم نفسي وأوجعها فلا أنساه ما حييت . ذلك أننى جلست ذات مساء بجوار سيدة فرنسية وإذا كنت أتحدث إليها وتتحدث الى ، تحولت عن حديثها ومضيت في ذهولى واطراقى وطافت بي الذكريات فانهمرت الدموع من عيني ، كل ذلك وهى بجانبى لا أكاد أشعر اننى انصرفت عن حديثها بل لا أكاد أشعر بوجودها إلى جانبى ، إذ ذاك شعرت بيد رقيقة تهزنى هزاً رقيقاً ، وتنبهت قليلاً حين طرق سمعى صوتها الحنون الهادى وهى تقول : « أنت مسلم تؤمن بالله وقضائه ، وتعلم ان كل شيء بيد الله ، فاذا قدر لك الغرق فأنت غارق لا محالة ، ألا ترانى مع أولادى الصغار لاعبة لاهية ، فما لك نجزع في غير ما يدعو إلى الجزع » وفى الحق أننى خجلت من ضعفة نفسى أمام هذه السيدة ، وأخذت أتعزى بها عن مخاوفى

حادث بسيط !! لا شيء ، لا تخافوا ، باخرة واحدة أصابها غواصة ألمانية فغرقت بجميع من فيها ، لا شيء ؛ لا شيء حادث بسيط من غير شك !!

كانت هذه هى الكلمات الساخرة التى فاهبها فى غير أكثر من ربان باخرتنا الشجاع المستقتل ، قال لى ذلك حين دوى فى الفضاء صوت انفجار مزعج هائل وأسرعنا إلى أحزمة النجاة والصعود إلى أعلا السفينة لتسلم زوارق النجاة

وكان الجرحى المدغشقرون ينامون على ظهر السفينة ،
وهرعنا نحن في هذه الفاجعة لا نفكر في غير النجاة ، وكنا حين
صعودنا على ظهر السفينة ، ندوس بأقدامنا على الجرحى المساكين
وهم يئنون ويستغيثون فلا يسمع لأنيهم أحد ، فالانوار مطفأة
والظلام حالك ، واصوات الاستغاثة تنبعث من جوف الماء ، ونحن
على ظهر باخرتنا وفوق أجسام هؤلاء الجرحى التعمساء نستعد
للنزول إلى زوارق النجاة إذا أصاب باخرتنا ما أصاب جارتها .
في هذا الهول المحيق بنا والموت يتخطف الغرقى من حولنا
والجرحى المساكين يلفظون أنفاسهم الاخيرة تحت ضغط
أقدامنا ، في هذه اللحظة الهائلة الصارخة يقف « الربان » الفرنسي
الباسل فيهدى من روعنا بعبارته الساخرة بالاقدار والاختار ، « لا
شيء ، لا شيء !! باخرة واحدة غرقت بمن فيها ، واحدة فقط !!
فلا تخافوا ولا تجزعوا !!!

نادى منادى السلام ان عودوا الى أما كنكم فالخطر قد زال ،
وعدنا الى أما كننا داخل السفينة ، وهدأ روعنا قليلا وسارت
السفن في طريقها بعد أن نقص عددها واحدة ، ولا شيء فالأمر
هين بسيط - على رأى رباننا - فان سرب بواخرنا لا يزال كثير
العدد ، فهو يتكون الآن من خمس بواخر غير الباخرتين
الحارستين ، والغواصة لعلها قنعت بهذه الفريسة ، ولعلها تدعنا
في أمن وسلام

ساعة الفزع الا كبير !! أجل كانت تلك الساعة ساعة الفزع
والهلع ، وان شئت فقل ساعة الفناء والموت
كنت اذ ذاك متمنطقاً بحزام النجاة كما أمرنا «الربان» ، وكنت
في شبه نوم لفرط ما نالني من الاعمى والتعب من جراء غرق
الباخرة الاولى ، وبينما أنا على هذه الحال بين اليقظة والنوم اذ شعرت
بهزة قوية عنيفة تكاد تقتلع السفينة من أساسها وسمعت صوت
انفجار يدوى في الفضاء فهرعت أتفزع وأثب الى اليمين والى الشمال
على غير هدى ، وكانت الانوار مطفأة ، والظلام حالك ، والاجسام
تتصادم وتتساقط من شدة الرعب والذهول ، هزنى رئيس الخدم
بيده وأنا اتخبط ذات اليمين وذات الشمال وصرخ فى وجهى :
« قضى الأمر لقد أصيبت باخرتنا ! الى سطح السفينة ، الى زورق
النجاة أها الاحمق »

أذكر ان الساعة كانت التاسعة تماما ، وأذكر ولا أنسى أننى
صعدت الى سطح السفينة فوجدتها تنحدر الى قاع البحر بسرعة
مخيفة ! ورأيت أحد النوتية ينزل زورقا الى الماء فصحت به
أهدا الزورق رقم « ٣ » هو زورقى ، ساعدنى على النزول أرجوك

لكننى بدل أن أضع قدمى فى الزورق ترنحت لفرط ما نالني
من الفزع ، وزلت قدمى فهويت فى قاع البحر !! يا لهول تلك
اللحظة !!! هويت الى القاع فقذفتى الامواج وظللت أتخبط هنا
وهناك ، وكانت سارية السفينة قد وقعت على رأس «الربان»
بجانبي فقتلته ، كنت كلما قذفتى تلاموج الى سطح الماء مرة سمعت

اصواتا مزعجة صارخة . أماء ! أبي ، ابنتي ! حبيبي جاك ! الى آخر
هذه الكلمات المتقطعة التي كنت أسمعها وأنا أعالج سكرات
الموت

بين هذه الاصوات الجازعة وفي تلك اللحظات الهالعة سمعت
صوتا أجش قوى النبرات يدوى في الفضاء « لا اله الا الله محمد
رسول الله » وقد علمت بعد ذلك أنه صوت بحار صعيدى كان
يعمل بين بحارة هذه الباخرة ، في هذه اللحظات لحظات النزع
الاخير سمعت هذه الكلمة المقدسة ، وكأن الله قد أرسلها الى
على لسان ذلك البحار المصرى المسلم لاستقبال الموت على الايمان
والتسليم

قلت ابتلع الماء عمداً لاموت ، أجل فعلت ذلك فابتلعت من
ماء البحر جزءاً كبيراً علنى أموت بالاختناق قبل أن يطول عذابي
بين الامواج ، لكننى - ولا أدري كيف - قد عدلت فجأة عن هذا
العزم ، وحل بقلبي من الطمأنينة والتسليم ما حرت في تعليله الى
اليوم ، كنت في هذه اللحظات الرهيبة استقبل الموت راضياً مطمئناً ،
وتحولت مخاوفى ومفازعى الى رضا وهدوء ، وعلمت كذلك كيف
تمر أمام خاطر الانسان شتى الذكريات في دقائق لمحة سريعة كما
تمر مناظر الافلام السينمائية في دورتها السريعة الخاطفة ، وقد
نشرت أمام عيني كل صحف حياتى المطوية ، ورأيت آمال المستقبل
تمر مر الهواء ، وقلت فى نفسى هى ساعة أعرف فيها كيف يموت

الانسان ثم تطوى صحيفتى من هذه الدنيا

كنت فى لحظة النزاع الاخير أطفو على سطح الماء أحيانا ،
وكنت أحيانا تخور قواى فأنزل الى القاع ، وبينما أنا أصد من
القاع فى احدى المرات الى سطح الماء اذ صدمنى فى رأسى لوح
من الخشب ، وصعدت الى سطح الماء ونظرت الى هذا اللوح
الخشبى فاذا عليه اثنان من ركاب السفينة أحدهما دأببها والثاني
عامل تلغرافها اللاسلكى ، ومد أحدهما الى يده فصرت بجانبهما !
كل منا يحتل من اللوح مالا يزيد عن النصف متر بمقدار ما يجلس
ويضع رجليه فى الماء ، وظلت الامواج تعلو بهذا اللوح وتهبط
ونحن فوقه كأننا سمرنا به فلا سبيل الى أن تنزعنا منه

فى هذا الفضاء المظلم اللانهائى ، وبين تلك الامواج الصاخبة
العاتية ، جلست على طرف اللوح الخشبى أنظر الى صاحبي وينظران
الى فى وجوم وذهول ، ثم انفجر صاحبي الطيب يتحدث
ويصخب ويستهر كأن نوبة من الجنون قد أصابته وكان كما
علمت « زبون » غرق ، فان هذه المرة لم تكن الاولى بل كانت
الرابعة ، وتمر بجوارنا الاسماك الضخمة ساكنة كأنها لا تحفل
بنا ولا يلفت نظرها مرآنا

وما زلنا على هذه الحال ، نموت باليأس ونحيا بالآمال ، الى
أن كانت الساعة السادسة صباحا على ما علمنا بعد فقد كان اللوح
يسير بنا كما تشاء الامواج المتدافعة لا كما نشاء ، وكان الأمل يملأ

تفسي في هذه الليلة بالنجاة ، بل ظننت اني نجوت فعلا حين
جلست على اللوح الميمون

في الساعة السادسة صباحا أى بعد عشر ساعات لا يعلم بمدى
آلامنا فيها الا الله لمخنا عن بعد شبح باخرة مقبلة ، وبعد قليل
دنت منا هذه الباخرة فاذا هي احدى الباخرتين اللتين كانتا تقومان
بحراسة بواخرنا قبل الغرق!!! ومدت الينا الحبال فصعدنا اليها
فاذا بها نحو ثلاثين راكبا من ٥٥٠ راكبا فنوا جميعا ولم يبق لهم
من أثر

حملتنا السفينة الى الاسكندرية ، وكم كانت منظرا مفرعا
تتشعر من هوله الابدان حين نظرت بعد صعودي الى الباخرة
فرايت أشلاء الغرق تطفو على وجه الماء ومن بين هؤلاء التعساء
تلك السيدة الفرنسية!! عرقها بثيابها واولادها من حولها
مشتبكون كأنهم أقسموا ألا يفرق الموج بينهم ، رأيتها مع
أولادها لا تضحك أو تلعب في هدوء كما كانت تقول لى معزة
مسلية ، لكنى رأيتها أشلاء تطفو على وجه الماء مع أولادها الصغار



أبو صلاح ملك الربابة !!!

شخصية موسيقية نادرة (١)

الليل هادئ ساكن يصغى للحن السماء، والطرقات موحشة
خرساء، وأستار الظلام تلف القصور الشاهقة في غياهبها، وتحيط
بمنواصيها وذوائبها، هنالك في أحياء ذوى الجاه والثراء تطوف
في هدأة الليلة الليلية، كما تطوف الاحلام برؤوس النيام، ولقد
يروعك في هذا الصمت الموحش صوت خافت ينبعث من احدى
شرفات تلك القصور، وتسمع لهذا الصوت فتتلاحق خطاك
إلى مبعث الصوت والترجيع، حتى تصير بقربه فإذا أنت تسمع
لحنًا شجيًا ساحرًا، ويشيع الطرب في أوصالك، فتقف ذاهلاً عن
الليل ووحشته والفجر وإغفائه، وتسال نفسك عن أصل هذا
الصوت فتحار في معرفة أصله ونوعه، فلا هو صوت ناي، ولا
صوت عود، ولا صوت قانون، وكأن هذا الصوت الذى تسمعه

(١) صالح احمد الشاعر أو «أبو صلاح» كما يعرف في أوساط السماع
والطرب شخصية موسيقية نادرة، وقد نال الخطوة لدى الامراء والعظماء
وكبار السانحة لما يبدية من المهارة الفائقة في التوقيع على وتر واحد وبمختلف
النغمات الافريقية والعربية.

مزيج من هذه الاصوات جميعها ، أو هو كل هذه الاصوات مؤتلفة
متناسقة ، وكأنك في موقفك تسمع لفرقة عازقة مكتملة
فاذا قدر لك أن تخترق الحجب ، وأن تشهد حفل هذا القصر
الحافل الفيت نفسك أمام صفوة من علية القوم وذوى الخطر
والجاه واليسار ، يتساقون ويطربون ، ورأيت هذه « الفرقة
العازقة » عبارة عن شخص واحد في ثياب بلدية زاهية ، وفي يده
كل هذه الآلات الموسيقية مجتمعة في شخص « ربابته المحبوبة »
و « أبو صلاح » في الثامنة والاربعين من عمره ، أسمر اللون
ضاحك الوجه ، لا تفارق الابتسامة شفثيه ، ويظل طربوشه
منبطحاً إلى الوراء تاركاً جبهته البارزة ، وذؤابته المنفوشة تطلان
على سامعيه في غير كلفة أو إكتراث ، وهو غليظ البطن صغير
المنكبين ، وتتحلى أصابعه بالخواتم الثمينة ، ويرتدى الثياب
البلدية الغالية الثمن

وحياة هذا الموسيقى الذى نبت في عالم الفن كما تنبت بعض
الزهور « الشيطاني » حياة عجيبة حافلة بشتى الصور والالوان

كان أخوه الاكبر شاعرا يتغنى بقصص دياب والزناطي
خليفة ، وأبوزيد الهلالى على الربابة . وكان هو إذ ذاك في الثامنة
من عمره فأغرم بسماع الربابة وأحبها حبا ملك عليه قلبه ومشاعره
وأخذ يخلو بنفسه في البيت بعد خروج أخيه فيتناول إحدى
رباباته ويعالج التوقيع عليها بغير قواعد مرسومة ، أو طريقة
مفهومة ، وما زال كذلك حتى استطاع أن يحاكي أخاه بعد شهور

قليلة ، ولقد كانت دهشة اخيه بالغة حين دخل عليه في بعض الايام فاذا به يوقع باجادة واتقان ، واستصحبه في لياليه ، وسمعه الناس فأعجبوا به إعجابا شديدا حتى صاروا يفضلونه على أخيه الا كبر في كثير من الاحيان . أما هو فلم تكن أذنه الموسيقية لتقنع بهذا المقدار من التوقيع الدارج السوقي ، فراح يسمع الالحان المختلفة ثم يعود ليرغم « الربابة » على محاكاتها تماما حتى دهش الناس لهذه الظاهرة الطبيعية الخارقة

واشتهر « أبوصلاح » وذاع صيته منذ عام ١٩١٢ حيث حفات بشأنه الصحف الاجنبية . ومن ذلك ماشرته جريدة ذى اجبسيان مورتنج نيوز بعنوان المغنون المتنقلون في مصر :
« ان الاغاني العربية التي عزفها وغناها صالح أحمد الشاعر الربابي العربي كانت من نوع حاد ممتع شائق ، بحيث كنا نهتز عند سماعها ونقوم ونقعد كال دراويش حين تأخذهم الجلالة السماوية في حلم سامى التصور »

وكتب صديقنا الاديب النابه الاستاذ ادجار جلاد في سنة ١٩٢٧ بجريدة البورص الغراء فصلا شائقا بعنوان « العازف على الربابة » وقد مهد لذلك بمقدمة طريفه في وصف مشرب حانة من حانات العاصمة ثم قال :

« ... غير أننا اذا وصفنا اثنين أو ثلاثة فلا بد من أن نصف « عم صالح » حينما يأتي ليذهب عنا الملل ، لكن من أين يهبط علينا عم صالح ؟ لأحد يعرف ؛ فهو يطوف بنا كل ليلة ومعه كنجته

الفلاحى أوروباته ...

«... ومادة عم صالح الموسيقى غزيرة ومختلفة الالوان،
نغمته العربية تشبه فى أنينها وحزنها قطعة مجنون ليل، وهو
يستطيع أن يخرج بأنامله المارشات الحربية والنغمات المتزنة
لفرقنا العسكرية، ويقال أن عم صالح يوقع ما يوقع من أجل مزاجه
الخاص. ولشد ما كانت دهشتنا حين سأل أحد رواد القهوة
ضاحكا:

«والموسيقى الافرنجية هل تعرف أن تعزفها؟ أظنها صعبة
عليك» فأجابه عم صالح «بتبوية» ازدرأ وقال: «صعبة على أنا؟
اذن فأسمع» ثم ابتداء يوقع «توسكا» فعم السكون الحانة، ودهش
الجميع وتولاهم الدهول
«وعم صالح يستطيع أن يعزف جميع الاوبرات» حزينها
وفرحها على الربابة بحرارة وبشاشة ومقدرة عجيبة»

ويعرف «أبو صلاح» قدر فنه فيعتزبه ولا يقبل ان ينال
منه أحد بكلمة مزاح أو عبارة فكهة وينحى على الكتاب
المصريين باللائمة لانهم أهملوه ولم يشيدوا بذكركه كما فعل أدباء
الافرنج في صحفهم التى تصدر فى مصر وغير مصر. ولقد رأينا
أن نقوم بهذا الواجب ابتغاء وجه الفن الذى يقدره أبو صلاح
يفتخر به، ولقيته فى طوافه على عادته كل ليلة بما يليق بمقام فنه
المبتكر وصيته الذائع وقد حسبنى - بادئ الامر - أرغب فى
سماعه فمد يده إلى جيبه المسحور ليخرج منه «الربابة» العظيمة

التي لا أدري كيف يستطيع وضعها في جيبه مع كبر حجمها
وطولها الذي لا يقل عن متر تقريبا . قلت له .

« لا يا أبو صلاح الطرب دابعدين ، إنما إيه رأيك في اللي
عاوز يكتب عنك صفحة ؟ »

فأجاب مبتسما : « ربنا يطول عمرك يا بيه يعني لما افكرتم
بعد أربعين سنة ! »

فنظرت اليه في دهشة من عتبه المؤلم اللاذع . وقلت له :
« معلش يا أبو صلاح المسامح بريم ، إذا كنا ما كتبناش عنك في
السنين اللي فاتت أدحنا عاوزين نكتب عنك الليله إيه رأيك ؟ »
- الرأي رأيك يا بيه

- احنا غرضنا نكتب عنك علشان الناس يعرفوا ازاي
اتعلمت

- لا والله ياسيدنا البيه ان كان على كده أنا نفسي معرفش
ازاي اتعلمت ، أهو شيء آلهي كده وهبة من ربنا اسمع الحاجة مرة
واحدة وحياة شرفك ما يمكن تفر من ودني أبدا الا لما أكون
عرقها تمام

- حتى الحاجات الافرنجى ، دى يا أبو صلاح ؟

- وأبوها كان مش بس الافرنجى ، والتركي والعجمي
والشامي وكل شيء تسمعه ودنى بفضل من ربي لازم أقوله
بالربابة أم وتر واحد دى !! وأدى الشهادات اتفضل ...

ثم أخذ يخرج من جيبه شهادات مجلدة كثيرة فاذا هي من
ذوى مقامات رفيعة وكلها صريحة في أطرائه والاعجاب بعبقريته

وها نحن نثبت بعض هذه الشهادات تفكها للقراء :-

- ١ -

حضرة المحترم صالح أفندي الشاعر

بعد السلام الرجا حضوركم لسراى سمو البرنس يوسف كال
بالمطرية الساعة السابعة والدقيقة ٢٠ مساء اليوم ١١ ابريل سنة
١٩٢٤ ومعكم الادوات تعلقكم والحذر من التأخير حسب
أمر سمو البرنس

عثمان صالح (بالدائرة)

- ٢ -

يدعو سعادة الحكمدار حضرة صالح أفندي الشاعر صاحب
الربابة للتواجد بمنزل سعادته يوم الاحد الساعة ٩ مساء والرجا
عدم التأخير

يوزباشى محمد طلعت . بكباشى سليم

- ٣ -

هذه الشهادة تثبت مقدرة الشيخ صالح الربابي ، وهو واسع
التجربة ، وأذنه فى غاية الدقة ، وعزفه رقيق ، وإذا كان ابنه يحذو
حذوه ويصل علمه إلى ما وصل اليه علم أبيه فإنه سيتمتع بشهرة
ذائعة فى عالم الموسيقى

امضاء (رسل باشا)

أسلفنا أن أبي صلاح أغرم بالربابة وهام بها وهو فى الثامنة

من عمره ، والآن وقد جاوز الثامنة والاربعين فانه يكون قد
تعلق بها منذ أربعين عاما ، ولقد كانت هذه الصناعة تدر عليه
رغد العيش « أيام زمان » على حد تعبيره فكان دخله اليومي
من صناعته جنهين ، أى إنه كان يحصل في الشهر على ستين
جنهيا مما يجود به عليه محبوبه ، فتزوج ورزق أربعة أبناء ،
أكبرهم سلامه صالح ، ويليه عبد العزيز صالح وهو موظف
بالحكومة ، ويليه عثمان صالح ، وهو الذى نوه بذكره رسل
باشا في شهادته ، ذلك لان أباه علمه التوقيع على الربابه وهو في
الخامسة من عمره فكان موضوع دهشة الجميع ، وقد كبر هذا
الطفل وانتظم في سلك المدارس الاميرية وهو الآن طالب
بالمدرسة الخديوية الثانوية بالسنة الثالثة ، وأصغرهم احمد صالح
وهو طالب بالمدارس الابتدائية ، أولئك جميعا رباهم أبو صلاح
فأحسن تربيتهم ، وانها لنزعة شريفة تلك التى نزع اليها ذلك
الرجل في تربية أبنائه وانه لجدير بمساعدة الحكومة له فى اتمام
تعليم هؤلاء الأبناء بعد أن كسدت صناعته فى هذه الايام
والآن هل أدينا واجبك فى سبيل الفن يا أبا صلاح ؟



السجين !! ..

في عام ١٩١٩ في فجر النهضة الوطنية المصرية ، كان الداخل الى
فناء مدرسة الطب ، يرى بين طلاب تلك المدرسة ، قى أسمر اللون ربع
القامة ، قوى الساعدين ، متهللاً لا تفارق الابتسامة شفثيه ، فاذا جال
طرفك في تقاسيم وجهه والتقي بصرك ببصره ، تولاك الخوف
والرعب كأنك تجيل طرفك في وجه عملاق جبار ، وكأن بصرك
قد تلاقى ببصر مقتحم مخاطر ، تتمثل في نظراته مخاوف الدنيا
ومهالكها لكنك حين تجلس اليه متكلماً أو مستمعاً ، وحين
تتسبط معه في الحديث ، لا ترى منه غير نقاء السريرة ، والسذاجة
المحبوبة الجذابة ، والطلاقة التي يكاد يسبق بها ماتناجي به نفسك
من خفيات الضمير ، ونجوى الفؤاد

هذا هو حلمي بين زملائه طلاب مدرسة الطب في فجر النهضة
المصرية ، يروح ويغدو بين رفاقه وعشيرته متهللاً الوجه ضاحك
السن ، ريفي الحديث ، لا تكلف فيما تسمع من حديثه ولا تعمل ، وهو
التليذ الطيب القلب الذي لا يحابي ، ولا يتملق ، ولا يعرف معنى
المداهنة في أساليب الحياة ، وهو التليذ الذي يخطب طلاب مدرسته
في جراحة وصرافة يدعوهم الى شد أزر الحركة المصرية ، ومناصرة
أبطالها ودعاتها لم يغيره وعد ، ولم يثنه وعيد .

وقضى الله أن يكون حلمي أحد أولئك الذين اهتموا في

المؤامرة السياسية الاولى. وجرت الاقدار بعد ذلك ، بما عرف
الناس من الحكم على فريق من هؤلاء بالاعدام ، ثم ما كان من ابدال
حكم الاعدام بالسجن المؤبد ، وكان بين المحكوم عليهم بالاعدام
بأدى الامر حلمى الذى نحدثك اليوم عن سلسلة مخاطراته بعد أن
حكم عليه بهذا الحكم ، وبما كان من فراره وتنكره ووصوله الى الاستانة .

الآنسة « س . ف . » فتاة حادة الطبع سريعة الانفعال تتحدث
اليك فتتسابق كلماتها الى لسانها ، ولا تكاد تحدثك عن أمر ذى بال
حتى تراها قد « كركبت » الدنيا بشتى الموضوعات ، ومختلف المباحث
والمشروعات حتى لتحار فلا تدرى أى حديث تسمع ، وأى
حديث تدع ، وهى إحدى فتيات النهضة المصرية ، حيث قامت
بشطرها الاكبر من الجهاد المشكور ، واعتقلتها السلطة العسكرية
فى أبان الثورة المصريه مع شقيقتها الآنسة « ع . ف . » ثم أفرجت
عنهما بعد قليل .

رأت هذه الفتاة إذ ذاك ان تعين المسجونين السياسيين على
الفرار فراحت تدبر الخطط العديدة لاجداث حريق بسجن
« قره ميدان » الذى كان يحوى هؤلاء المسجونين ودفعها إخلاصها لهم
واشفاقها عليهم إلى أن تتوغل فى تدبير هذه الخطط ، وكان بين
المسجونين فتى أجنبى يجيد التكلم باللغة العربية كأحد أبناءها ، ولم
يكن ذلك الاجنبى فى الحقيقة مسجوناً سياسياً ، بل كان جاسوساً
يجلس بين المسجونين ليسمع أحاديثهم ويقف على أسرار زوارهم
الذين كانوا يترددون على السجن كل شهر مرة .

لمح هذا الفتى على أسارير وجه الفتاة «س.ف» صوراً
شئى مما كانت تحدث به نفسها ، وظل يراقبها كلها إلى السجن
لزيارة المسجونين حتى تمكن من الوصول إلى بعض خطابات
كانت كتبها سراً على ذمة توصيلها إلى أحد المسجونين ترسم له
فيها طريقة فرارهم إذا هي نجحت في خطة إحراق السجن جرى
في ذلك تحقيق دقيق ، وكان من جراء هذا التحقيق أن حرمت
مصلحة السجون زيارة المسجونين السياسيين ثم أعقبت ذلك
تفريقهم إلى سجون مصر المختلفة

كان سجن الزقازيق من نصيب حلمى ... وظل أهله يترددون
عليه لزيارته من حين إلى حين ، وكان حلمى قبل سجنه كما أسلفنا
أحد طلاب مدرسة الطب ، ولم يكن بينه وبين إتمام دراسته فيها
سوى عام وبعض عام ، إذن عز على حلمى أن يذبل غصن آماله في
المستقبل ، ومنذ ذلك الحين بدأت فكرة الهرب تتجسم أمام عينيه
في غدواته وروحاته ، وراح يكد ذهنه ويعمل فكره في تدبير
وسيلة الفرار من السجن ليلاً !! وبعد أن أتمها أسرها إلى بعض
أهله في إحدى زيارته ليكون في انتظاره حيث يتلقفه في جنح
الليل فيخلع عنه ثياب السجن ويقدم إليه ثياباً أخرى ثم يذهب
إلى حيث يكون المختبأ مهياً

كان حلمى طالب طب قبل أن يكون سجيناً ، وكان دمث
الاخلاق محبوباً من كل أصدقائه وعارفه ، فلا غرابة إذن أن ينال

رضاء حراسه من ضباط السجن وعساكره وهو بحكم معرفته
للشئون الطبية يعمل في القسم الطبي بالسجن «كتومرجي» وتحت
يده كمية كبيرة من الأربطة التي يربط بها المرضى في إصابات كسر
بعض الأعضاء ونحوها هذه الأربطة ما أجملها حين تقتل منها
الحيال ليلا لتكون هي «سلم النجاة» إلى الأرض

والحارس؟ الحارس أو قل الحراس من السهل التأثير على
عقولهم بادی الامر بالاساليب المؤثرة عن الوطنية والضحايا
والدماء والاشترار في الاسلام والوطنية، والحراس بسطاء يمكن
ان ينال المتحدث اللب من نفوسهم ما ينبغي دون عناء أو نصب !!
فاذا استعصى عليه ان يفتح قلوبهم بهذه الوسيلة فلديه المفتاح
«الذهبي» الذي يستطيع ان يفتح به جميع الابواب .

وفي جنح ليلة رهبة الظلام من ليالى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢
لو قدر لانسان أن يتجلبب بغياهب الليل في الطريق المؤدية إلى
سور سجن الزقازيق الخارجى لو قدر لانسان هذا الموقف لرأى
سجينا يتسلق هذا السور إلى الأرض تحمله الحبال القوية المقتولة
من أربطة مستشفى السجن ، هذا السجين المقتحم المخاطر هو
الطالب حلمي . وبعد بضعة خطوات ترى على مقربة من سور
السجن إنسانا آخر يحمل في يديه ثيابا غير ثياب السجن البغيضة
وهنا لا تسمع بينهما حديثا ولا همسا ، فالصمت سائد والليل
رهيب والنجوم الصغيرة تبدو في السماء بنورها الخافت الضائع في
أجواز الفضاء المظلم كأنها تشفق على ذلك المتشبح بظلام الليل
الهارب من عذاب السجن وآلامه ، وتخلع ثياب السجن ثم تلتقي

بعيداً وتلبس تلك الثياب الأخرى، ثم يسير الاثنان في صمت
وحذر شديد دون أن تنفرج شفاههم بكلمة أو همسة
ولما طلع صباح هذه الليلة الحافلة بالمفازع والمخاوف كشف
بنوره عن صدر سجين الأمس غياهب الهموم والاحزان، وراح
السجين في مخبئه يستعد للفرار خارج القطر حيث يأوى إلى بلد
يحميه قانونه الدولي وحيث يقبل على معهد الطب هناك فينهل من
مورده ويقطع آخر مراحلها، وتكون الحال قد بدلت غير الحال
فيعود إلى بلده طبيباً موفقاً يسعد بآماله ويحني ثمارها

بعد ثلاثة أيام من ذلك اليوم وبعد أن نشرت الصحف خبر
فراره مقتضياً موجزاً لا يزيد عن سطرين أو ثلاثة، وبعد أن حار
الناس في تعليل ذلك الهرب الجريء، وبعد أن أسقط في يدر جال
الامن لعجزهم عن معرفة مخبأ السجين الهارب وبعد ذلك كله كان
السائر في ميدان العتبة الخضراء أمام قسم الموسيقى !! يرى أعرابياً
رث الثياب، أشعث الشعر، أغبر الطلعة، حافي القدمين، يقود
جملاً مع أعرابي آخر أنظف منه ثياباً وأحسن أهلاً

هذا الأعرابي الرث الأشعث الأغبر هو الطالب حلمي، وهذا
الأعرابي الآخر هو «دليل الصحراء» العارف بمفاوزها ودروبها
ووهادها وهضابها وهما معاً في طريقهما إلى الشام كعربان البادية
الاجلاف، وهما في القاهرة الآن ليجهزا نفسيهما ببعض الامتعة
للزامة لسفرهما الطويل

بعد رحلة شاقة وليالى سوداء وبعد مخاطرات على الحدود
ومفاوز الطريق ، وصل « حلمي » إلى الشام ومنها إلى الاستانة ،
وهناك خلع عن جسمه ثياب التنكر وراح بين الناس حرا
طليقا ، ثم انتسب إلى مدرسة الطب بالاستانة فكان أحد طلابها
النجباء

ودارت الايام دورتها ، ووفق الله المغفور له الزعيم الخالد
سعد زغلول إلى استصدار العفو عن المسجونين السياسيين ، وعم
البلاد سرور شامل حين طلعت الصحف بهذه البشري ، وخرج
المسجونون فاستقبلتهم الكفانة بمظاهر الغبطة والفرح ، لكن
أين حلمي

كان خبر الافراج عن المسجونين قد أبرق به إلى حلمي
بالاستانة وعاد إلى مصر بعد ان استوثق من مساواته بزملائه
في العفو

..... ويشاء الله أن يعود الطالب حلمي بعد هذه المحن
والكوارث إلى وطنه فيتقدم إلى إمتحانه النهائي ويطفر بالنجاح
والتفوق ، ويصبح اليوم من أطباء مصر المعروفين بالمهاره
وها هو يدير مستشفاه الذي أسسه على أحدث النظم وأدقها



الماور الساهر

﴿ وقعت حوادثها ببلاد السودان ﴾

يتمتع ساحر القبيلة في السودان بما لا يتمتع به حاكم مطلق ،
يهو هناك السيد المطاع ، والزعيم الذي لا يرد له قول ، لأنه - كما
فعتقدون - هو الذي يشفي مرضاهم ، ويستنزل الرحمة على موتاهم ،
ويزيد في نسل الدجاج اذا شاء ويضاعف محصول المزروعات اذا
أراد ، فليس لمن استعصى مرضه واستفحل دأؤه الا « الكجور »
الذي يخاطب الجن ويأمر بطرد الاشباح الشريرة من دار المريض
فتراه يطلق دخان البخور بين جوانب البيت ويقف هو يحمل دفا
كبيراً يدور به حول نفسه وحول المريض ثم يهمهم بكلمات
متقطعة وصرخات داوية ، كل ذلك وأهل البيت في شبه ذهول
بما استولى عليهم من الرعب وتأثير رائحة البخور وتصور
الاشباح كأنها تحوم على رؤوسهم وتتجمع لتخرج إطاعة لامر
الساحر المطاع !!!

ويموت أحد أفراد القبيلة فيذهب أهله بعد دفنه إلى صومعة
الساحر يطلبون منه في ذلة وضراعة أن يكتب لهم كتابة يرسلها
إلى الله على أجنحة الهواء كي يغفر له ذنبه ويدخله الجنة وقد يتمتع
الساحر عن إجابة طلبهم في بعض الاحيان فيستولى عليهم الحزن
والغم ويتوسلون اليه بمختلف الشفاعات حتى يعطف عليهم
ويطلب لميتهم الجنة والغفران

واذا مرض الدجاج و « طاحت به الفرقة » كما يقولون «
هرعوا إلى الساحر ليحضر إلى البيت ويمسك بيده كل دجاجة
على حدة ويصرخ في أذنها صرخات معروفة ثم يعضها في عنقها
عضة خفيفة ويرسلها ثم يتناول غيرها وهكذا حتى ينتهي منها جميعا
و كذلك اذا أصاب الزرع بوار أو تلف جرى له بالساحر
ليلف حوله بكلمات مخصوصة ثم يكتب أربع ورقات صغيرة
لتوضع كل ورقة في ركن من أركان المزرعة

وعلى الرغم من هذا النفوذ العظيم الذي يتمتع به الساحر
في قومه فإنه لا يسلم في بعض الأحيان من أن تثور القبيلة ضده
فتهجم على داره وتخرجه منها قهراً ثم تقيده بالحبال وتشعل فيه
النار، ويكون السبب في ذلك غالباً دهاء رئيس القبيلة وخوفه
على نفوذه من أن يتلاشى أمام نفوذ هذا الساحر، وذلك حيث
يجمع رئيس القبيلة أفراد قبيلته رجالاً ونساء ويفهمهم أن
الساحر قد اتفق مع القبيلة المتأدية على أن يرسل الحن لتفتك
بدجاجهم ومزر وعاتهم، ولا يدبر هذا التدبير ضد الساحر في
العادة إلا الرئيس المتصور لذي لا يعتقد بصحة أعمال السحرة
والدجالين فتراه يختال على محق السحر من قبيلته بهذه الطريقة
وسرعان ما يثور رجال القبيلة على الساحر فينكلون به كما تقدم
حتى لا يذهت إلى الأعداء فيتواطأ معهم

ومن طريف ما يرويه ضابطنا المصري في مذكراته تلك
الحادثة الشائقة التي وقعت له شخصياً حين كان مأموراً لمركز
« مقولو » واسمه الآن مركز « النوب » بمديرية بحر الغزال

بينما كان المأمور جالسا في مكتبه في أحد الايام اذ دخل عليه شخص يقول ان المطر لا يصيب أرضه وأنه من أجل ذلك يطلب مطرا . ولما كان يعرف الشيء الكثير عن سداجتهم فانه تناول ورقة وكتب عليها « اعطه مطرا » ثم أمره أن يقبض عليها بيده حتى يصل الى بلده وهناك يجد المطر قد نزل ، وكان الفصل فصل الأمطار ولم تكن الأمطار تنقطع أكثر من ثلاثة أيام ثم تعود في اليوم الرابع على الأثر أكثر ، وكان المطر قد انقطع منذ ثلاثة أيام حين حضر اليه هذا الشخص ، لذلك فإنه لم يكده يصل الى بلده حتى نزل المطر ، وشاع ذلك الأمر في القبيلة فأصبح المأمور بعد ذلك مرموقا بعين الثقة والاعتبار وأصبح المشايخ في القبائل يأتون اليه كلما انقطع عنهم المطر وهو لا يزيد عن أن يكتب لهم الورقة المعلومة فيحملونها الى بلادهم فرحين مترقبين هطول الأمطار . لكن المصادفات السعيدة لم تستمر دائما فقد وفده عليه شيخ يطلب مطرا فأعطاه ورقة مكتوبة كسابقاتها فتناولها وعاد أدراجه الى بلدته وكانت على مسيرة ساعات قلائل ووصل الى بيته وظل ينتظر الأمطار فلم تهطل ، وعاد إلى المأمور يقول ان المطر لم ينزل - وكان قد مضى على انقطاع الأمطار ثلاثة أيام - فقال له المأمور : « انك لا بد رجل خبيث وغير صافي النية ولا تحب مساعدة الحكومة ولذلك لم ينزل لك المطر »

ومن أظرف ما حدث أنه كان كذلك حقا فتأب الى الله على يديه وأصبح مواليا للحكومة وأعطاه ورقة أخرى وكانت الايام الثلاثة لانقطاع الامطار قد انتهت فلم يكده يصل الى بلدته حتى

هطلت الامطار بشدة وأصبح إلى اليوم مواليا للحكام
خاضعاً لاوامرهم معتقداً أن الحكومة تستطيع أن تمنحه الامطار
كلما أراد وأصبح المأمور بعد ذلك أكبر «كجور» عرفته بلاد بحر
الغزال قاطبة فهو عندهم «الكجور الاعظم»

وإذ ذاك دب الحسد في نفوس السحرة هناك وأخذوا
يخشون على نفوذهم عند الالهالى فأجمعوا أمرهم على أن يذهب
إليه شيخ معمر من شيوخ سحرتهم في جمع حافل من الالهالى
ليعرض أمامه خوارقه والعبه ويطلب منه أن يفعل مثلها فإذا
عجز كانوا هم السحرة حقاً وكان هو كاذباً. وحضر إليه هذا الجمع
في بعض الايام وطلب منه أن يخرج إلى ساحة المركز ليشهد
العب الساحر ويقوم بمثلها إن كان ساحراً، وعندئذ خاف
المأمور على نفوذه السحري أن يتلاشى وأخذ يفكر في طريقة
يقهر بها هذا الساحر العنيد فأسعدته بارقة لاحة من التفكير
فخرج اليهم يتهدى في سكون وكبرياء ثم قال لهم:

- أين ساحركم؟ فقالوا:- هذا هو

وأشار إليه فذهب إلى مكان ووقف بجواره على مرأى من
من قومه وقال له:- أنت ساحر؟ قال:- نعم قال:

- أنظر إلى يدي وفمي قبل أن تبدأ بعرض ألعابك فسأمد
يدي في فمي وأخرج أسناني ثم أعيدتها كما كانت فان استطعت
أن تفعل كما سأفعل جبتك الى ماتريد وقت بألعاب كالتى تريد
أن تعرضها على وإذا لم تستطع فأنت الكاذب وأنا الساحر

وتقدم المأمور إلى الجمع ولوح بيديه الفضاء ثم مد يده في فمه فأخرج منه (طقم الاسنان) وكان مع حداثة سنه إذ ذاك قد خلع كل أسنانه ووضع مكانها أسنانا صناعية ؛ فلم يكدم يده في فمه ويخرج منه أسنانه حتى ضج القوم وعلى صياحهم وأسقط في يد ساحرهم وآمنوا جميعاً بسحره وعجز ساحرهم - طبعاً - عن أن يمد يده إلى فمه فيخلع أسنانه وعاد مطرقاً حزينا حيث عجز عن مجازاة سحر الحكمة !!! وظل القوم بعد ذلك يوالون الحكماء ويخضعون لأوامرهم لأن سحر هؤلاء الحكماء أقوى من سحر سحرتهم ، ولولا هذه البادرة التي أسعف المأمور في محتته لتهدم ما بناه في نفوسهم من الطاعة والخضوع والموالة

الشيخ أحمد

وقعت حوادثها بمرکز بلبیس

كان الشيخ أحمد .. عمدة قرية .. رجلاً طيب القلب ، نقي السريرة ، محمود السيرة ، معروفاً بين الناس بالورع والتقوى ، وكان لسخاء يده وفرط كرمه مثقلاً بالديون لا يقوم بسداد بعضها حتى تقهره الظروف فيستدين ويستدين ، ويظل كذلك

مروعا بطلب الدائنين فلا يفيق من « حجز » الا إلى حجز ، ولا يستمهل دائئا إلا ليرضى سواه وكذلك شاءت الاقدار أن يكون هذا الرجل الكريم هدفا في كل أيام حياته لارهاق دائنيه وعنت مطالبه

فاذا كنت في القرية عصر أحد الايام رأيت الشيخ أحمد يجلس أمام منزله الكبير في عصابة من أصدقائه وعشرائه يتحدثون عن محصول القمح ودودة القطن وبوار المحاصيل وضنك الفلاح ومرض الماشية وما إلى ذلك من أحاديث أهل القرى ومذاكرتهم، كل ذلك والشيخ أحمد ذاهل عنهم لا يساجلهم الحديث ولا يفيق من ذهوله الا إذا وجه اليه بعض الجالسين سؤال في شأن من الشؤون فيضطرب لاجابته بصوت مضطرب وعبارات قصيرة مقتضبة ، ويميل اليه أحد أصفياه فيسأله عن سبب حزنه واكتتابه فيعلم منه ان يبيع مواشيه ومحصول القمح سيكون غداً تنفيذا لامر الحجز الذي أوقعه الخواجه قسطندي وانه لا يملك الآن من مبلغ الخمسمائة جنيه المطلوبة لسداد هذا الدين جنيها واحدا ، ولا يكاد هذا الصديق المواسي يسمع حديث الشيخ أحمد حتى تبدو على وجهه أمارات الحزن والوجعة أشفاقا عليه ورثاء لحاله ، ثم يطرق هو الآخر مليا ويطول صمته وتفكيره ويعود فيخرج من هذا الصمت فيقترح على الشيخ أحمد أن يقوم برفقته فيقصد إلى أحد معارفه في القرية المجاورة ليبثه شكواه ويرجوه في طلب هذا المبلغ الذي يريده دينا إلى أجل معين ، وتشرق أسارير وجه الشيخ أحمد

لهذا الحل الموفق ويدفعه الامل في الحصول على المبلغ المطلوب
فيأمر باعداد مطيتين له ولصديقه ويأخذ ان طريقهما إلى القرية
المجاورة

وبينما هما في طريقهما إلى القرية المجاورة يتحدثان أطيّب
الاحاديث ، ويسألان الله ألا يخيب رجاءهما فيما يقصدان اليه .
ويصلان إلى القرية إذ يلقاها صديقهما أحسن لقاء ، ويعرضان
عليه حاجتهما فيجيبهما إلى ما يطلبان راضيا مغتبطا ويقوم فيحمل
إليهما المبلغ من خزانته ، ويتسلمه الشيخ أحمد شاكر لا هجا
بالدعاء له والثناء عليه حيث أنقذه الله على يديه من فضيحة الغد
وعاره ثم يهمان بالانصراف - والليل قد أقبل بظلمته - فيأبى
عليهما المضيف الانصراف خوفا عليهما من وحشة الطريق
وظلمة الليل وفتك اللصوص :

- والله ما يمكن يا عم الشيخ أحمد تروحوافي الليل المعتم ده
أبدأ ، هو إحنا مش حنقدر على عشا كم . والا إيه ؟
- كتر ألف خيرك يا ابو محمود ، الجهد والمروءة مفهومة
- لكن يا عم الشيخ أحمد السكة وحشة والحرامية اليومين
دول شايفين كيفهم و تتم معا كم مبلغ زى ده ميصحش المجازفة
به في الليل

ويطول الحوار بينهما على هذا النحو ثم تكون الغلبة للشيخ
أحمد ويخرج مع صديقه قاصدين قريتهما فرحين بتحقيق أملهما
ونوال بغيتهما

فاذا كنت في طريقهما إلى قريتهما كشف لك سواد

الليل عن سواد القلوب وهتك الجشع الانساني أستار الرياء
والمداهنة ، ومزق الغدر ثوب الصداقة القديمة التي طال أمدها وامتد
إلى عشرين عاما أو تزيد !!!

« خمسمائة من الجنهات !! يحملها الشيخ أحمد في جيبه وهو
الرجل الضعيف المتهدم وأنا الرجل القوى الشديد البأس ، ماذا
على لو انقضضت عليه فانتزعتها منه قسراً ثم أجهزت على حياته
وجرحت نفسي ثم صحت أغيثوني أغيثوني فإذا أقبل الناس من
قراهم قصصت عليهم قصة ملفقة وأدعيت أن لصوصا انقضوا
علينا فاستلبوا المال من صاحبي بعد أن قتلوه وجرحوني ثم فروا
هاربين ؟؟ لا شيء في هذا وأصبح غنيا ويموت هذا العجوز
فيستريح من عناء الدنيا وآلامها وإذن فلا بدأ قبل فوات الفرصة
كذلك كانت النفس الخبيثة الجشعة تختلج بهذه الخواطر
و كذلك طغى حب المال على هذه النفس فأمات فيها كل شفقة
ورحمة ووفاء

لكن الشيخ أحمد كان يحمل « مسدسا » وهذا الصديق
الغادر لم يكن يحمل غير « مدية » صغيرة فكيف يستطيع أن
يجهز عليه دون أن يحتال على اخذ المسدس ؟

اسمع يا عم الشيخ أحمد هات المسدس اللي معاك أشيله وأنا
ماشي وراك بحيث أتي أحرسك وأنت ماشي قدامي
- ياسيدي خليها على الله ربنا يستر

لألا يا عم الشيخ أحمد الاحتياط أحسن أنت حيخس عليك
إيه لما أنا أشيل المسدس وأكون ماشي وراك وأخذ بالي من

السكة

وكان الشيخ أحمد طيب القلب كما أسلفنا نخلع المسدس من جرابه وسلمه لصديقه الوفي المشفق عليه من فتك اللصوص!!! حتى إذا ما أصبح المسدس بيده وقف أمامه مكفهر الوجه متممراً، ثم قال له بصوت مفرع مخيف - أين المال؟

أما الشيخ أحمد فانه لم يصدق عينيه وأذنيه وحسب أن صديقه «الوفي» يمزح بمافاه به دعاة وتسليية وقطعا لطول الطريق لكن الصديق الغادر لم يكن مازحا أو مداعبا، بل أعاد عليه الطلب مرة ثانية في عبارة أكثر حدة وأشد عنفا فهال الرجل مارأى وما سمع، ونزل عن مطيته كما نزل صاحبه ووقف كل منهما ينظر في وجه الآخر نظرات حادة عميقة:

- شوف يا شيخ أحمد موتك ضرورى مفيش فيه حيلة

- يابنى أنا فى عرضك أنا فى طولك

- مفيش فايدة!!

- طيب يا ابنى الفلوس خدها وأنا يتولى بي ربنا وعليك أمان

الله محدش ياخذ خبر

- دا كلام فارغ أنا مجنون أدى عقلى لغيرى، ومن يضمن لى عدم الفضيحة ثم صوب المسدس إلى رأس الرجل وهم باللاقه وكان الرجل قد خارت قواه وتهدج صوته وأوشك أن يموت قبل أن تصل الرصاصة إلى رأسه فرق قلب صديقه الغادر بعض الشيء واستمع لضراسته الباكية فاذا هو يطلب اليه أن يرحم شيخوخته فيميته ميته غير هذه الميتة، أمامه «السكة»

فليذهب اليها فيسيل منها منديله ثم يضعه في فم الشيخ فيموت
لساعته وإذن فليوثقه قبل أن يذهب هو إلى الساقية ، ويستسلم
الشيخ المسكين إلى قضاء الله فيرتقى موثق اليدين والرجلين خائر
القوى يرتقب الموت من يد صديقه الحميم !!

أما الصديق الحميم !!! الغادر فقد ذهب إلى الساقية وهي على بعد
خطوات من الطريق ، وكانت ساعة رهيبة تلك التي ألقى فيها
بالشيخ أحمد على جانب المزرعة موثق اليدين ينظر إلى شبح
الموت وهو يحوم على رأسه

لم يعد الصديق الغادر بالمندبل المبلل الذي راح يعده للقضاء
على عشيره وولى نعمته وصديقه القديم ، وطال انتظار الشيخ
المسكين حتى لكانه ذاق الموت في هذه اللحظات مرات
وتمضى فترة على هذا المنظر الرهيب في سواد الليل وسكونه
ثم يشاء الله أن ينجو هذا الشيخ من مخالب الموت فيسوق اليه
في هذه اللحظة رجال البوليس أثناء مرورهم لحراسة الليل ، ولم
يكديرهم مقبلين حتى يستغيث بصوت متهدج مبجوح ، وينزل
رجال البوليس فيفكرون وثاقه ويتبينه ضابطهم فيعرفه ويسأله
عن خبره فيقص عليه قصته المفجعة ، ويتوجه الضابط ورجاله
إلى الساقية التي ذهب اليها الشقى الخائن فيبحثون عنه فلا يجدونه
ثم يكشف الضوء عنه جثة غارقة في قاع الماء دون أن يعرف
أحد كيف زلت قدمه في هذه اللحظة الحافلة بضروب الخيانة
والختل والجشع ، ولا كيف وصل إلى قاع الماء فلقى حتفه وهو
يحمل في يده الاثيمة الآلة التي كان يعدها لقتل صديقه وصفيه

كتب للمؤلف تظهر قريبا

شعراء العصر في الميزان

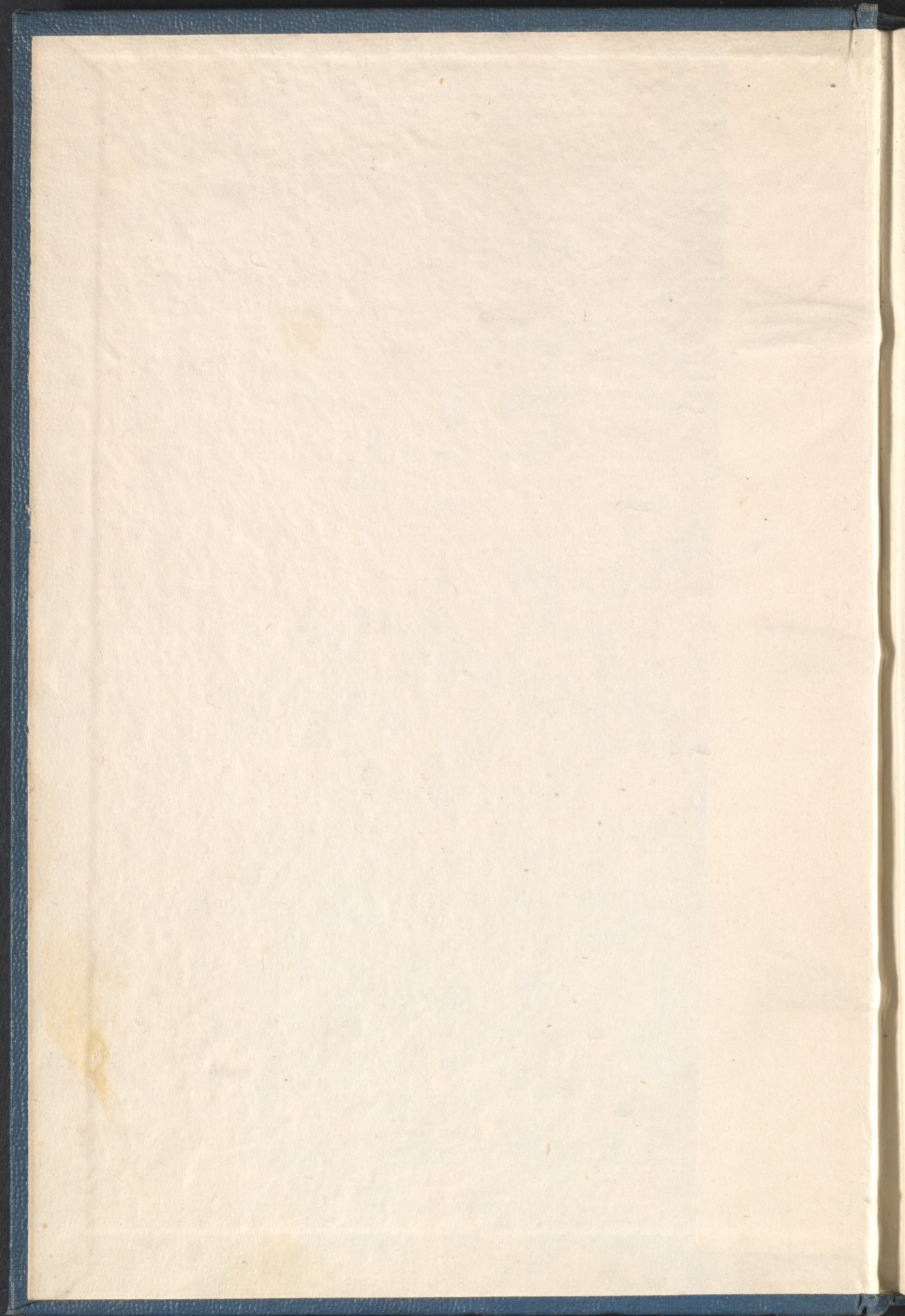
رسائل في النقد والأدب تناول فيها المؤلف بالبحث والتحليل
أظهر شعراء العصر في مصر . في ثلاثة أجزاء

كيف أولف كتي !!!

أحاديث طريفة لأعلام المؤلفين في مصر أبان فيها كل منهم
عن طريقته في التأليف وشعوره نحو مؤلفاته بعد ظهورها
وأحب كتاب اليه منها ، ويعتبر هذا الكتاب الأول من نوعه
في عالم التأليف العربية

شعراونا في مواقفهم الحرجة

رسائل موجزة عن مذاهب الشعراء المعاصرين وأحاديث
شائقة تحدث بها شعراء مصر عن الساعات الرهيبة التي مرت بهم
في حياتهم العامة ومواقفهم الحرجة التي وقفها كل منهم وهم ينشدون
الشعر في المحافل ويخطبون الجماهير



MAR

1978

PJ
7828
B41
M8x

